

الصَّعِيدُ فِي عَهْدِ شَيْخِ الْعَرَبِ هَمَام

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بكلية الدراسات الانسانية
جامعة الأزهر / فرع البنات
القاهرة



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



الصَّعِيدُ فِي عَرَبِ شَيْخِ الْعَرَبِ هَمَام

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
 بكلية الدراسات الانسانية
 جامعة الأزهر / فرع البنات
 القاهرة



١٩٨٧

الاخراج الفنى

البيرو جودجى

اهداء

الى روح أستاذي الجليل

الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

أهدى هذا الكتاب

فهو من ثمار غرسه وتوجيهاته

ليلى عبد اللطيف أحمد

المقدمة

يعالج هذا الكتاب سيرة شيخ العرب همام وحكم جرجا (أو الصعيد) في فترة غامضة من تاريخ مصر في القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري في عصر الحكم العثماني المملوكي ، ذلك العصر الذي يحتل مرحلة هامة من مراحل تطور تاريخنا القومي .

وبالرغم من الأهمية التي يحتلها هذا العصر في تاريخنا فإنه لم يحظ من المؤرخين المحدثين بالعناية التي تستحق وأهميته ، فقد تجاهل المؤرخون والباحثون سواء في مصر أو في الدوائر العلمية في الغرب (١) الفترة الطويلة التي قضتها مصر تحت الحكم العثماني قبل عهد محمد علي ، وقد مالوا إلى اعتبار هذه الفترة غير جديرة بالدراسة الجدية وقنعت أسرة محمد علي في مصر بتشجيع الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخها الخاص (٢) .

وقد شاع بين المؤرخين والباحثين أن مصر قد أصابها في العصر العثماني اضمحلال سرى في كيائها وتغلغل في شتى نواحي حياتها فأدى هذا إلى انصرافهم عن الاهتمام بتناول الحياة فيه وآثروا بالدراسة العصر السابق له وهو العصر الإسلامي حيث كانت الحياة أدنى إلى الازدهار ، والعصر التالي له الذي حفل بأحداث الصراع الوطني ضد الاستعمار الأوروبي الحديث (٣) وبذلك زاد هذا العصر ظلاماً على ظلامه .

(١) لم يبدأ الاهتمام بشكل جدي في الدوائر العلمية في الغرب بتاريخ مصر العثمانية إلا في السنوات الأخيرة .

(٢) د. ستانفورد ج. شو .

الوثائق المصرية في العهد العثماني ١٩١٧هـ/١٩١٤م .

مجلة معهد المخطوطات العربية للمجلد الثاني الجزء الأول مايو ١٩٥٦ ص ١٤٧ .

(٣) أحمد البديري : حوادث دمشق اليومية .

تحقيق ونشر : الدكتور أحمد عزت عم الكروم .

من مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . القاهرة ١٩٥٩ م ص ٦

من المقدمة .

وقد ساعد على هذا الاعمال افتقار هذا العصر الى المؤرخين العمالة
الذين حفل بهم العصر السابق له (١) مع صعوبة الوصول الى المصادر
الأصلية التي ينبغي أن تكون في متناول الباحث في هذا العصر .

فالوثائق الرسمية له والتي يوجد أكثرها وأهمها في دار المحفوظات
بالقلعة مازالت تحتاج الى جهود كبيرة لاعدادها للباحثين بتصنيفها
وترجمة المدون منها بخط القرمة . فقد كانت سجلات المالية الصادرة
من ديوان الدفترى وديوان الروزنامة تكتب بخط القرمة من أجل توفير
السرية لها ، وهذا الخط لا يستطيع أن يقرأه شخص قادر على قراءة
المخطوط العربية العادية بلا درس خاص وفك رموزه هو المشكلة الرئيسية
التي تواجه الباحث في تاريخ مصر العثمانية .

وتتماز الحروف في خط القرمة (٢) بقصرها واستطالتها وتستعمل
فيه رموز لا حصر لها في اتصال حرفين وثلاثة (٣) .

(١) من المؤرخين العمالة الذين حفل بهم العصر المملوكى من سنة ١٢٥٠م :
١٥١٧م .

المؤرخ	أشهر مؤلفاته
١ - ابن حجر	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .
٢ - المقريزى	المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
٣ - ابن فضل الله العمري	مسالك الإحصار في محالك الأضرار
٤ - ابن أبياس	بدائع الزهور في وقائع الدهور
٥ - الفللمشندى	صبح الأعشى في صناعة الإنشا
٦ - السخاوى	التبير المسبوك في ذيل السلوك
٧ - أبو المحاسن بن تخرى بردى	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
٨ - ابن خلكان	وليات الأعيان
٩ - جلال الدين السيوطى	حسن المحاضرة بإختيار مصر والقاهرة .

• محمد مصطفى زيادة : المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادى/التاسع
الهجرى .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٤ (طبعة ثانية) .

(٢) عن نماذج لخط القرمة : انظر ملحق رقم ١ ص ١٥٧ .

(٣) تمكنت من فك رموز هذا الخط بمحاولة قراءة نماذج مختلفة من الوثائق المدونة
به وساعدنى على ذلك :

• ان الاصطلاحات الادارية والجميل المستخدمة في هذه الوثائق محدودة العدد نسبيا
ومكررة أكثر من مرة في سجلات الموضوع نفسه .

ومعظم الوثائق الخاصة بمصر العثمانية مدونة أما بخط القزمية أو باللغة التركية القديمة الوثائقية مما يجعل من العسير على الباحثين (١) الاستفادة من هذه الوثائق .

ويجب الإشارة الى أن السجلات الموجودة في القلعة مختصرة جدا في معلوماتها وهي تقدم تفسيراً ضئيلاً لمعاني المصطلحات المالية والإدارية التي تتضمنها ويمكن فهم معانيها في احوال كثيرة بالاستعانة بأصولها العلمية خصوصا تفسيرات علماء الحملة الفرنسية التي تركها نابليون في مصر والتي أخرجت مؤلفها الضخم عن مصر كتاب وصف مصر :

Description De L'Egypte

وتتضمن سجلات القلعة طائفة عظيمة من المعلومات الإدارية والمالية غير أنها :

لا تلقى ضوءاً على الفساد التدريجي الذي دب في نظام الحكم في مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر نتيجة لانهلال السلطة العثمانية وازدياد الطغيان وإساءة حكم الأوجاقات .

وذلك لأن هيئات الإدارة كما هو مفيد في السجلات لم تتغير . فضلا عن ذلك فهي كلها وثائق كانت تصدرها السلطة المركزية في القاهرة ، فهي على أهميتها لا تقدم صورة كاملة للحياة في مصر في العصر العثماني لأن وثائق الإدارة المحلية لم تجمع بعد أو تتوافر في محفوظات عمومية .

وإذا كانت دار المحفوظات تشتمل على وثائق ذات أهمية كبرى من الناحيتين المالية والإدارية فإن الجزء الباقي من تلك الوثائق الخاصة

= بالإضافة لوجود دليل لاستعمال خط القزمية ولمعاني المصطلحات الحسابية التي تتضمنها السجلات في دار المحفوظات .

وعما ساعدني أكثر على قراءة خط القزمية التي عثرت بين وثائق دار الوثائق القومية بمبايدين (قبل نقلها الى القلعة) على مجموعة حجب صادرة من الحاكم الشرعية وخاصة بفراغ بعض الملزمين عن أداءهم لأخربن وهذه الحجج مدونة باللغة العربية ومرفق بكل منها صورة التقييد الأصلي - بخط القزمية - الذي أخذ به الملزم أرضه .

وبمقارنة الأسماء في الحجة الشرعية بما يقابلها في التفسير ، الأصل وبمقارنة المصطلحات الإدارية في الاثنين أمكن لي حل الكثير من رموز خط القزمية .

(١) لمحمد محمد توفيق : رسالة عن خط القزمية : وهي غير منشورة وكانت بإمارة القاهرة وقد بحث عنها طويلاً في مكتبة الجامعة ولكنني لم أستطع العثور عليها .

بتاريخ مصر العثمانية موجود في المحكمة الشرعية ووزارة الاوقاف وهو ذو أهمية في الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية (١) .

وإذا ما تركنا الوثائق واتجهنا الى ما كتبه المعاصرون من أبناء البلاد انفسهم في تاريخ هذا العصر لوجدناه قدرا ضئيلا فقد بعضه وتسرب البعض الآخر الى الخارج .

والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الذي ينتمي الى أواخر العصر العثماني يؤكد هذا فيعد ان عدد كتب التاريخ التي يعرفها ذكر أن (هذه صارت أسماء من غير مسميات فأنا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدمشة بقيت في بعض خزائن كتب الاوقاف بالمدارس مما تداولته أيدي الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ونقلت الى بلاد المغرب والسودان) (٢) .

كذلك أدت كثرة الفتن في العصر العثماني والنزاع بين الفرق العثمانية والبيوتات المملوكية الى اتلاف الكثير من المكتبات وفي ذلك يقول الجبرتي :

(ثم ذهبت بقايا البقايا في الفتن والحروب واخذ الفرنسيين ما وجدوا الى بلادهم (٣)) .

وقد سجل الرحالة الأجانب (٤) الشيء الكثير عن مصر العثمانية ورغم أهمية ما كتبه هؤلاء الرحالة عن تلك الفترة فانه يجب على الباحث أن يأخذ بحذر شديد فالأوروبيون بسبب الأوضاع العامة في مصر العثمانية لم يتمكنوا من التغلغل في الحياة المصرية ودراساتها دراسة

(١) د. ستانفورد ج. شو S. G. Shaw

الوثائق المصرية في العهد العثماني .

مجلة معهد الدراسات العربية لسنة ١٩٥٦ ص ١٥٥ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار . طبعة بولاي

سنة ١٢٩٧هـ ج ١ ص ٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٦ .

(٤) زار مصر العثمانية عشرات من الرحالة من مختلف الجنسيات منهم :

(١٧٦٩م) الانجليزى James Bruce

(١٦٦٣ . ١٦٧٢) ألماني الأصل فرنسي الجنسية Vansleb

(١٨٠١م) الدانمركي Norden

(١٧٨٢ ، ١٧٨٥) أولي الفرنسي Volney

(١٣٣٧ - ١٧٤١م) الانجليزى Porocke

وافية ، وأحيانا كان يشوب كتابات هؤلاء الرحالة الهوى أو النفاق أو غير ذلك مما يشوه المادة التاريخية .

بالرغم من المشاق التي يلاقيها الباحث في تاريخ مصر العثمانية فإن أهمية وجدة وطرافة المعلومات التي يحصل عليها تهون عليه مهمته وتشجعه على المضي في دراسة هذا العصر .

وقد وجه استاذنا الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الدعوة لقيام حملة علمية منظمة للكشف عن المصادر الأصلية للتاريخ العربى فى العصر العثمانى وخاصة فى العهد الأول منه .

(أى من أوائل القرن السادس عشر الميلادى حتى القرن التاسع عشر) وهو العهد الذى نال أكبر نصيب من اهمال المؤرخين المحدثين (٢) .

وتلبية لدعوة استاذنا الفاضل ويتوجيه كريم منه أقدم هذا المؤلف المتواضع لجلاء جانب من جوانب حياة المجتمع المصرى فى العصر العثمانى .

وأرجو أن يكون هذا البحث لبنة فى البناء التاريخى الذى دعا استاذنا لإقامته .

يتناول هذا الكتاب حياة شخصية عربية عاشت فى الصعيد فى النصف الأول من القرن الثامن عشر م ونحو عشرين عاما من النصف الثانى منه تلك هى شخصية شيخ العرب همام بن يوسف زعيم قبائل الهوارة التى نزلت الصعيد (٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) واستقرت به وكانت لها به سطوة ونفوذ كبير .

وقد كان الهوارة اقوى قبائل الصعيد بأسا وأكثرها استقرارا واقدرها على العمل السياسى .

وقد اشتهر الشيخ همام بأنه اقوى الشخصيات العربية التى سيطرت على الصعيد فى القرن الثامن عشر .

غير أن أهمية الشيخ همام لا ترجع الى سيطرته على الحكم فى الصعيد ، بقدر ما توضح لنا الترجمة لتلك الشخصية الفريدة فى نوعها نظام الحياة فى الصعيد فى تلك الفترة خاصة ، وفى العصر العثمانى عامة ، والقوى التى تنازعت السلطة فيه ، وعلاقاتها بالهيئة الحاكمة فى

(١) البديرى : حواشى دمعق اليومية . تحقيق : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم
الغدة من ٦ .

القاهرة وكيف كان لنظام الالتزام أثر كبير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر العثمانية عامة أو في الصعيد خاصة .

وقد أشار بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في تلك الفترة الى شخصية الشيخ همام والى ما كان يتمتع به من ثراء وسلطة واسعة في الصعيد .

وقد قدم لنا الجبرتي ترجمة مستفيضة (١) للشيخ همام في كتابه عجائب الآثار أشار فيها الى ما كان من كرم هذا الشيخ وعنايته الزائدة بأكرام الضيوف وصلة المحتاجين واکرام العلماء والى ما كان عنده من ادارة واسعة منظمة تحوى جيشا من الموظفين ، وقدم الجبرتي أيضا وصفا للصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير وعلاقات همام والهواره مع الأمراء المماليك ونهاية همام واسرته وكيف ادار على بك الصعيد بعد القضاء على همام .

وبالرغم من أهمية تلك الشخصية فقد اكتنف الغموض حقيقتها (٢) ولم تحظ من الباحثين في تاريخ العصر العثماني بالعناية التي تستحقها وقد شاقني كثيرا أن أبحث حياة الشيخ همام لجلاء الغموض الذي اكتنف حياته ، وحقيقة دوره في حياة الصعيد في تلك الفترة الخامضة من تاريخنا القومي .

كان الشيخ همام زعيما لقبائل الهواره التي وفدت الى مصر من المغرب والتي استقرت أولا في منطقة البحيرة ثم قام زعيمها بدر بن سلام بثورة كبيرة على عهد الأمير برقوق (٣) في (١٣٧٩هـ / ١٣٧٧م) حيث

(١) عهد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) U. A. R. GIBB and Harold Bowen, Islamic society and the west a study of the impact of western civilization on Moslem culture in the Near East.

London Oxford U.R. 2 edition 1962 Vol. 1, p. 228.

(٣) السلطان برقوق (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ / ١٢٨٢م - ١٢٩٨م)

هو مؤسس الدولة المملوكية الثانية أو دولة المماليك الجراكسة وفتح نهاية بيت قلاوون وقد امتاز ببقلية فذة وشخصية قوية ، وقد قدم الجراكسة وأكثر من استجلابهم ، وشن حرب إبادة على العناصر التركية وقد قام بمحاولات ناجحة في سبيل ازالة سلطان المماليك الأتراك واحتلال الجراكسة محلهم في مصر والشام وقد نجح في ذلك وأعلن نفسه سلطانا بالقاهرة ودمشق سنة ٧٨٤هـ / ١٢٨٢م .

• حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة للمالك الثانية .

دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٧م .

كان برقوق اتايكا (١) وقد امتنع بدر بن سلام عن اداء التزاماته واحميا جباية الخراج ووجد الفرصة مواتية لاعادة النفوذ العربي الى مصر فهاجم دمنهور في خمسة آلاف رجل نهبوا اسواقها ، وبيوتها وخربوا قراها وضباعها ، وظل برقوق عاجزا عن قمع الثورة لانشغاله في مقاومة المالك الترك (٢) .

ولكنه ما ان انتهى من ذلك حتى وجه حملة ضخمة الى بدر بن سلام قضت على ثورته وهرب بدر بن سلام الى برقة واخرج برقوق باقى عربان الهوارة الى الصعيد (سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) (٣) واقطعهم منطقة جرجا اتقاء لشركهم ودفعاً لهم الى الهدوء والاستقرار ، وقد كانت تلك المنطقة وقتئذ منطقة خربة فقام الهوارة بتحصينها واستقروا بها واشتغلوا بزراعة قصب السكر فاثروا من وراء ذلك ثراء طائلا لانه محصول نقدي هام .

وقد استقر الهوارة في الصعيد ، وبفضل ما تمتعوا به من ثراء سيطروا على حياة الصعيد ، وواصلوا سياسته التمرد ضد الحكومة

(١) الاتايك :

هو القائد العام للجيش المملوكي ، وكان لقب اتايك يطلق عند السلاطنة على الملوب او المرابي او الوصي ثم أصبح من اللقب التشريف التي تخلف على كبار الأمراء حتى شدا في عصر المماليك لا يطلق الا على قائد المعسكر ومن الواضح ان صاحب هذه الوظيفة تمتع بنفوذ كبير ولكلمة عالية في الدولة بوصفه رأس الجيش وصاحب القوة الضاربة بين كبار الأمراء .

ولا أدل على نفوذ الاتايكية وقوتهم من أن كثيرا منهم وصلوا الى عرش السلطنة إما عن طريق الانفصالي ، أو بفضل قوتهم .
أما اذا ولي الحكيم سلطان قاهر فانه كان يصبح العوبة في يد اتايك الجيش يتحكم فيه كيفما شاء .

د . سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام .

دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٥ طبعة أولى ص ٣٥٤ .

(٢) المماليك الترك :

هم ممالك الدولة المملوكية الأولى وهم من الخوارزمية والتركمان والتتار وقد بدأت دولهم ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وانتهت ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م بقيام دولة المماليك القباية أو دولة المماليك الجراكسة .

د . حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢ .

(٣) محمد مرتضى الزبيدي : شرح القاموس المسمى بتاج الروس من جواهر القاموس القاهرة ١٣٠٦هـ . ج ٣ ص ٦٣٤ .

وسليمان عبد الرحمن : مقال : لقب أمير الصعيد ص ١٥٧ / ١٩٣٤
ص ٥٧ .

الملوكية واثارة ثائرتها ضدهم بتجردهم احيانا ، وامتناعهم عن تقديم الاموال والغلال المطلوبة منهم في احيان أخرى وأيضا مهاجمة الاقطاعات الملوكية .

وقد واصل المماليك بالتالى اربمال الحملات العسكرية لتأديب الهوارة والقضاء على تمردهم وسافصل الحديث عن ذلك فى الفصل الأول الخاص بالهواره فى الصعيد .

وقد كانت ثورات الهواره فى العصر المملوكى بقصد التطلع للاستيلاء على الحكم كشأن كل القبائل العربية فى مصر حينئذ فما أكثر ما ثارت القبائل العربية فى العصر المملوكى من بدايته الى نهايته متطلعة الى الاستيلاء على الحكم معتبره نفسها أحق به من الحاكمين .

وقد بدأت ثورات العرب مع بداية العصر المملوكى فى مصر فقد عملوا منذ البداية على تعويق قيام الدولة المملوكة الأولى وهدمها فى مهدها على عهد عز لدين أيبك ٦٦٨/٦٥٥ هـ / ١٢٥٠م/١٢٥٧م فقام عرب الصعيد بثورة كبيرة ضد المماليك سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م .

وكانت تلك الثورة أهم الثورات العربية فى مصر فقتل اشترك فيها عرب الصعيد والوجه البحرى وكانت بقيادة الشريف حصن الدين ثعلب بنأحية دهروط صربان (١) وقد نادى العرب فى هذه الثورة بأنهم أصحاب البلاد (٢) وامتنعوا عن دفع الخراج وأعلنسوا أنهم أحق بالملك من المماليك وطلبوا المساعدة من الملك الناصر الأيوبى صاحب دمشق للقضاء على دولة المماليك بمصر .

(١) دهروط صربان :

تسمى تلك الناحية ديوت صربام ، ديوط صربان ، ذوة صربام ، وديوط الشريف لأن صاحب هذه القرية هو الشريف ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن يعاقب بن أبى جميل ابن جعفر وهو رئيس الجفارة ومن ذريته الأمير حسن الدين ثعلب صاحب الثورة المشهورة . ودهروط هى ديروط الحالية إحدى مراكز محافظة أسيوط .

على ميالوك :

الخط الجديد التوفيقي لصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة . المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٥هـ . الطبعة الأولى ج ١١ ص ٤ .

(٢) أحمد بن على القرينى : الملوك لخرقة دول الملوك .

صححه ووضع حواشيه . محمد مصطفى زيادة . مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٤م ج ١ ص ٢٨٦ .

وقد انتهت تلك الثورة بالفشل لمواجهة الممالك لها بأقصى وسائل القمع والشدة وقبض على زعيم الثورة الشريف حصن الدين وسجن بالاسكندرية .

وزاد الممالك القود (١) والقطيعة (٢) المفروضة على العرب .

ورغم ما لقيه العرب من أنواع التنكيل والتعذيب في الثورة السابقة فانهم لم ينقطعوا عن الثورة واعتبار أنفسهم أرفع مكانة من الممالك وأولى منهم بالحكم والولاية .

وكانت أهم الثورات العربية من هذا القبيل . ثورة عرب الصعيد (٣) سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م) في مدينتي منفوط وأسيوط تلك الثورة التي وصل العرب فيها الى حد فرض ضريبة على أرباب الحرف واحتقار الحكام وتعطيلهم عن جمع الأموال واتخاذ رئيسين لهم سموها بأسماء مملوكية (بيبرس ، سلا) .

وقد ادرك الممالك خطورة تلك الثورة فقاموا باخمادها بكل سرعة وبكل شدة وعنف :

فهمز العرب وجردوا من أموالهم وأملاكهم ومع ذلك تكررت ثورات القبائل العربية في الصعيد وكان آخر تلك الثورات ثورة ابن الاحدب (٤) شيخ قبيلة عرك بالصعيد سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م بهدف السيطرة على منطقة الصعيد .

وواجه الممالك أيضا هذه الثورة كسابقاتها بأقصى وسائل القمع والتعذيب ومصادرة الأموال وقتل الرجال .

ولم يقتصر تطلع العرب الى الاستيلاء على الحكم على عرب الصعيد وحدهم بل كان الأمر كذلك بالنسبة للعرب في جميع أنحاء مصر .

(١) القود :

هو ما جمعت به قبائل العرب الى الملوكة من الخيل والابل والحيوانات المزينة .
على مبارك : المخطوط التوثيقية ج ١١ ص ٤ .

(٢) القطيعة :

ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا أو ما يقرره في أحوال غير عادية كالغزاة الحربية .

على مبارك : المخطوط التوثيقية ج ١١ ص ٤ .

(٣) القرينى : الملوكة ج ١ ص ٩١٥ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور .

المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٦١هـ طبعة أولى ج ١ ص ٢٠٠ .

ويحفل تاريخ ابن اياس بذكر الكثير من حركات التمرد التي كان يقوم بها عربان البحيرة والشرقية ضد السلطات المملوكية . . . وقد سجل ابن اياس عن تمرد عربان البحيرة الشيء الكثير وكانت أهم حركات تمرد أولئك العربان ما وقع في أعوام : -

٦٩٩هـ ، ١٢٩٩م ، ٧٨١هـ - ١٣٧٩م ، ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م ، ٧٨٣هـ ، ١٣٨١م ، ٨٠٤هـ - ١٤٠١م ، ٨٧٢هـ - ١٤٦٧م ، ٨٧٥هـ - ١٤٧٠م ، ٨٩٢هـ - ١٤٨٦م .

وقد أذاق عربان الشرقية (١) الممالك شر العذاب بتمردهم الدائم عليهم ، وتريصهم المستمر بهم وقد وقع من شيخ عربان الشرقية ابن بقر وأولاده - الكثير من حركات التمرد ضد السلطنة المملوكية .

وقد كان العرب ينتهزون أى فرصة ينشغل فيها الممالك بمشاغل داخلية أو خارجية فيثورون متطلعين للاستيلاء على الحكم كما حدث عند وفاة السلطان الغوزى فقد انتهز عربان الشرقية فرصة اضطراب الممالك ونهبوا كثيرا من البلاد (٢) وخلال اشتباك جيوش السلطان قايتباى مع العثمانيين استهان العرب بالممالك (وزاد طمعهم في الترك (٣)) .

ولكن القسوة المتناهية التي واجه بها الممالك ثورات العرب التي كانوا يهدقون من ورائها الى الاستيلاء على الحكم أدت تلك القسوة واستخدام أشد وسائل القمع الى اخماد ثورات العرب واضعاف شوكتهم حتى أن العهد التالى وهو العهد العثماني لم يشهد أى ثورة يقوم بها العرب للاستيلاء على الحكم بل اقتصرتم حركات العرب في مصر على التمرد بقصد التحلل من تقديم ما عليهم من أموال للدولة وحركات أخرى كان يقوم بها العرب البدو وهي حركات نهب وسلب للأموال دون أن يكون هدف أى الفريقين الاستيلاء على الحكم .

وفى العهد العثماني فرض الهوارة نفوذهم وسيطرتهم على الصعيد بتولى شيوخهم حكم الصعيد في البداية ثم توليهم ادارة معظم أراضى الصعيد بالالتزام مما هيا لهم نفوذا واسعا وسيطرة كبيرة في ظل السيادة العثمانية .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٥٤ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٢ .

وقد صاحب زيادة نفوذ الهوارة توميع اقليم جرجا بتوحيد اقاليم الصعيد كلها من المنيا الى أسوان تحت امرة حاكم جرجا قاصصبحت ولاية جرجا تشمل اراضى الصعيد كلها ورغبة من السلطات الحاكمة فى تقوية سلطة حاكم جرجا لمواجهة خطر القبائل العربية النازلة بالصعيد والمنتشرة بارجائه (١) والتي وافق منها الصعيد مزاجا خاصا (٢) .

وفى العصر العثمانى المملوكى كان الهوارة يرجحون دائما الكفة التى ينضمون اليها من الأمراء المالك المتنافسين ، وكانت صلة الهوارة بحاكم جرجا تتأرجح بين المهادنة أحيانا والتمرد والعداة فى أحيان أخرى .

وفى الحالة الأولى كانوا يمثلون ساعده الأيمن فى تطلعاته ضد حكومة القاهرة وكانوا يصحبونه اليها لتنفيذ أغراضه بها .

وفى الحالة الثانية . .

كانوا يمتنعون عن تقديم المال والغلال المطلوبة منهم ويثيرون القلق فى نفسه وفى نفوس حكام القاهرة .

وقد تمتع الصعيد بوضع خاص فى العصر العثمانى المملوكى وكانت له أهمية بالغة لكونه مركز تموين القطر كله بالغلال ، ولوجود كثير من القبائل العربية به ولكونه ملجأ لكل الأمراء المنفيين والمتمردين يهربون اليه ويحاولون الاستعانة بسيوف العرب وسواعدهم فى استعادة مراكزهم وما كانوا يتمتعون به من نفوذ .

وبين قبائل الهوارة وفى تلك الظروف نشأ شيخ العرب همام ابن يوسف الذى بدل حياة الهوارة والصعيد من القلق والتأرجح بين المتنافسين الى الهدوء والاستقرار والأمن والعدالة .



(١) : S. G. The financial and administrative organization and development of ottoman Egypt 1517-1798.

Princeton U.P. 1962, p. 15.

(٢) سليمان عبد الرحمن مقال لقب أمير الصعيد البلاغ ١٦٢٤/١ ص ٥٧ .

مصادر الكتاب

عندما توجهت لبحث موضوع شيخ العرب همام رأيت أن أبحث عن أسباب ثراء هذا الشيخ وكيف تمت له السيطرة على أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان .

فكانت رحلاتي الى أحفاد الشيخ همام يفرسوط حيث يوجد أحفاد همام من نجلية شاهين ودرويش وزرت بهجورة حيث يوجد أحفاد همام من نجله عبد الكريم (١) .

وقد تجولت في محافظة قنا وقراها عند أقارب الشيخ همام في قنا نفسها وفي شستهور والرئيسية والشاورية وهو ، سمهود ، الحلافى وغيرها من قرى قرى .

وقد زرت تلك المناطق ثلاث مرات بحثا عن وثائق تفيد في موضوع البحث .

وقعلا حصلت من أحفاد همام وأقاربه على مجموعة طيبة من الحجج الشرعية الصادرة من المحاكم الشرعية في القاهرة ومحاكم الصعيد : -

١ - حجج من أحفاد همام

وهي حجج خاصة بعلاقة الشيخ همام بالفلاحين في الصعيد . .
اتضح لي منها كيف كان همام يعامل فلاحيه معاملة طيبة سواء أكانوا هواره أو عربا آخرين أو فلاحين مصريين وكيف كان يمدهم بالقروض التي تساعد العاجزين منهم على زراعة أراضيهم ومن تلك الحجج أيضا اتضح لي أن الشيخ همام كان يسيطر على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان وأنه بلغ حدا من القوة والنفوذ جعله يرغب الأمراء المالكين على التنازل له عن أراضيهم في الصعيد .

ومن تلك الحجج أيضا اتضح لي ما كان عليه الهواره وهمام من ثراء طائل وقوة ونفوذ في الصعيد وما كان لهما من إدارة واسعة حافلة بالموظفين وما كان له من نفوذ على أهالي الصعيد .

(١) زرت أحفاد الشيخ همام ثلاث مرات في أعوام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ .

٢ - حجج دفتر خانة محكمة قنا الشرعية

وقد زرت دفترخانة محكمة قنا الشرعية حيث اطلعت على بعض الحجج الصادرة من محاكم الصعيد والتي اتضح لي منها ما كان عليه الهوارة من ثراء وأوقافهم الهامة وثراء همام وأصل ونسب الهوارة .

٣ - دار المحفوظات بالقلمة

تم درست وثائق الالتزام الزراعى الخاصة بالصعيد (١) والموجودة فى دار المحفوظات بالقلمة بالقاهرة ابتداءً من عام ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م حيث يبدأ أول دفتر للالتزام الى عام ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م وهى السنة التى بدأ فيها محمد على إلغاء التزامات الأراضى الزراعية .

وقد تبعت فى هذه الدفاتر نحو سلطة همام كملتزم وتوسعه فى أراضى الصعيد .

وقد اتضح لي من هذه الدفاتر فئات الملتزمين فى ولاية جرجا قبل ظهور الهوارة كملتزمين لأراضى الصعيد وكيف امتدت أراضيهم من المنيا الى أسوان واتضح لي من تلك الدفاتر أن الشيخ همام قد ورث عن أبيه الشيخ يوسف أراضى واسعة شملت معظم أراضى الصعيد عن طريق حيازتها بنظام الالتزام وكيف ظهر همام فى البداية مشاركا لوالده وللهوارة الآخرين والماليك والأمراء العرب الآخرين فى أراضى الصعيد ثم كيف نمت سلطة همام حتى نحى هؤلاء الشركاء عن الميدان وانفرد هو بمعظم أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان ، ثم مصير تلك الأراضى بعد وفاة الشيخ همام وكيف أدار على بك الصعيد بعد القضاء على همام .

٤ - دفترخانة المحكمة الشرعية بشبرا بالقاهرة

ثم بحثت فى دفترخانة المحكمة الشرعية بالقاهرة (٢) عن حجج تفيد فى موضوع همام فعثرت على بعض الحجج الشرعية الصادرة من محكمة الباب العالى بالقاهرة والتي أوضحت لي كيف وصل همام الى حد من القوة والنفوذ فى الصعيد دفع كبار الأمراء الماليك الذين

(١) تمت بدراسة دفاتر التزامات الولايات القبلية بدار المحفوظات بالقلمة فى السنة من ١٦٦٦/٥/٤ الى ١٩٦٧/٨/١٣ .

(٢) ترددت على دفترخانة المحكمة الشرعية بالقاهرة فى السنة من مايو ١٩٦٧ الى أغسطس سنة ١٩٦٧ .

كانت لهم أراض أخنوها بالالتزام فى الصعيد الى التنسازل عنها
طوعية للشيخ همام لادراكهم لأنه سيكون هو المسيطر على الصعيد
وصاحب النفوذ والسلطة فيه .

٥ - وثائق دار الوثائق القومية بعابدين

ثم درست مجموعة من تقاسيم الالتزام الموجودة فى دار الوثائق
القومية بعابدين (١) ، (قبل نقلها الى القلعة) ومنها أمكن فى حل الكثير
من رموز خط القرمة لأن هذه التقاسيم كانت مرفقا بها حجج شرعية
خاصة بالتنسازل عما تحويه تلك التقاسيم من أراض لحائزين جدد
وبيانات هذه الحجج باللغة العربية وبمقارنة البيانات فى الحجة الشرعية
والتقاسيم الأصل أمكن فى معرفة الكثير من رموز خط قرمة وحلها .

بالإضافة الى أن هذه التقاسيم والحجج قدمت فى فكرة واضحة
عن حركة توارث أراضى الالتزام .

٦ - المصادر التاريخية

وبدراسة الوثائق والمصادر التاريخية مثل قوانين الجبرى
والمقريزى والقلقشندي أبو المحاسن ، السخاوى ، ابن ياس ، ابن زنبيل ،
الاسحاقى ، الخشاب ، مصطفى إبراهيم عزبان وكتب الرحالة أمثال
جيمس برويس ، فانسيليب وفولفى أتضح لى : -

ان الشيخ همام تمتع بنفوذ واسع فى الصعيد استمده من ثرائه
الطائل ومن عصبية القبيلة بزعامته لقبائل الهوارة ذات النفوذ الواسع
فى الصعيد ، وأن الشيخ همام تمتع بسلطة واسعة فى الصعيد فكان
هو الحاكم الفعلى له بالرغم من بقاء مظاهر الادارة العثمانية كما هى كما
كان الأمر بالنسبة للحكم الفعلى للمماليك فى القاهرة بالرغم من بقاء
الوالى العثمانى بشكل ظاهرى (٢) وقد أخذ همام لقب الإمارة تجاوزا
لاستمداده سلطته من الأمير المملوكى حاكم جرجا (٣) .

(١) تمت بدراسة تقاسيم الالتزام والحجج الموجودة بدار الوثائق القومية بعابدين
فى المدة من ١٩٦٧/٤/٩ الى ١٩٦٧/٧/٢٣ .

(٢) أحمد لطفى السيد ، لقب أمير الصعيد بين التكرز والهوارة - البلاغ
١٩٣٤/١/٢٠ .

(٣) محمد القنمى الطننازلى ، إمارة الصعيد تاريخ حواره وعلاقتها بهذا القلق -
البلاغ ١٩٣٤/١/٢٧ .

وقد تمتع همام بشخصية ساحرة (١) امتازت بالكرم والسخاء والعدل والفتنة ، وحسن السياسة مما مكنه من تألف قلوب الناس في الصعيد عربا كانوا أو فلاحين بل وحكام جرجا من الأمراء المماليك مثل صالح بك القاسمي .

وقد سيطر همام على أراضي الصعيد وعلى مسالك التجارة فيه مثل طريق القصير الذي كان يتم عن طريقه نقل جانب من التجارة الهندية الى مصر (٢) .

وقد كسب همام ود القبائل العربية النازلة في الصعيد ومضى يبني قوته وسط رضى الجميع .

وقد قدمت له سلطته كملتزم عليه توفير الامن المحلى وتنظيم استغلال الأرض ، وتحصيل الضرائب من الفلاحين قدمت له تلك السلطات الشيء الكثير من القوة والنفوذ وقد وصل همام الى حد من القوة مكنه من الدخول في علاقات قوية مع كبار الأمراء المماليك فصادق بعضهم مثل عثمان بك القفارى ، صالح بك القاسمي وتحدى بعضهم وأرغمه على التنازل عن أراضيه مثل الأمير إبراهيم جاويش وغيره من كبار الأمراء المماليك .

وبرغم ما وصل اليه الشيخ همام من سلطة ونفوذ وسيطرة على الصعيد فان ذلك لا يدعونا الى التبالغة في تصوير ذلك النفوذ وأنه مكن همام من :

فصل الصعيد عن الوجه البحرى وأن همام أقام دولة منفصلة بالصعيد استمرت من ١٧٦٥ م - ١١٧٩ هـ الى ١٧٦٩م - ١١٨٣ هـ كما ذهب الدكتور لويس عوض (٣) .

فدقائق الالتزام بالقلمة تؤكد أن الشيخ همام كان تابعا للدولة في هذه الفترة وكان يؤدي إليها بانتظام ضرائب الأرض التي اخذها منها بالالتزام فقد أوردت دقائق التزامات الولايات القبلية في السنوات

(١) محمد رفعت رمضان ، على بك الكبير : القاسمة ، دار الفكر العربى ١٩٥٠ ص ٥٠ .

(٢) أحمد لطفي السيد : قبائل العرب في مصر المليقات والجائرة وقبائل أخرى ، القاهرة ١٩٣٥م ص ٨٣ .

(٣) د. لويس عوض . المؤثرات الأجنبية في الأدب العربى الحديث ج ١ ص ٢٢ من القلمة .

السابقة اسم الشيخ حمام بن يوسف كالعادة امام الاراضى التى كانت
فى التزامه ولم تشر الدفاتر الى وقوع أى تغيير وهى :

عين

	دفتر رقم ٤٦٠	٨	لسنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م
	دفتر رقم ٥١٧	٨	لسنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م
بالمخزن	دفتر رقم ٥١٨	٨	لسنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م
التركي	دفتر رقم ٥٢٠	٨	لسنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م
	دفتر رقم ٥٣٥	٨	لسنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م

وقد قدم لى احفاد حمام حجة شرعية من محكمة الباب العالى
بالقاهرة وخلصه :

بتنازل على بك الكبير للشيخ حمام عن معظم أراضى قرية بنى نصر
بمنفلوط .

والحجة بتاريخ أول رجب ١١٨٢ هـ - ١٧٦٨ م (١) فلو كان الشيخ
حمام قد انفصل بالصعيد فى تلك الفترة لما أمكن أن تصدر مثل هذه
الحجة بل لسامت أو بالأحرى انقطعت العلاقات بين على بك والشيخ
حمام .

وقد ذهب الدكتور لويس عوض أيضا الى أن الجبرتى وصف
الشيخ حمام بصفة الملكية (٢) حين لقبه « بالامير شرف الدين » (٣) .

وفات الدكتور لويس أن هذا اللقب لم يستخدم للدلالة على الادارة
أو الملكية فى العصر العثمانى المملوكى الذى عاش فيه حمام وإنما استخدم
بهذا المعنى فى عصر سابق له وهو العصر الفاطمى وأن الجبرتى حينما لقب
حمام بذلك اللقب إنما كان يقصد التفخيم فقط .

(١) هذه الحجة سلمها لى احفاد حمام وهى منشورة بالملاحق - ملحق رقم ٢
ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) د. لويس عوض : للزترات الأجنبية ج ١ ص ٨ من القائمة .

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

ودهب الدكتور لويس عوض أيضا الى أن همام قد أقام
جمهورية (١) في الصعيد مستندا الى :

وصف رفاة الطهطاوى لامارة همام بأنها كانت جمهورية
التزامية .

وقد اتضح لى من البحث أن الشيخ همام لم يطبق نظام حكم
جمهورى فى الصعيد .

وأن حكم همام كان سلطة واسعة ونفوذا كبيرا قدمته له سلطته
كملتزم لمعظم اراضى الصعيد من المنيا الى أسوان بالإضافة الى مسا كان
يسنده من عصبية قبلية قوية فى منطقة كان لقبيلته فيها سابق السيادة
فى العصر المملوكى ولم يكن همام ولا معاصروه يعرفون معنى الحكم
الجمهورى ولا مفهومه .

وقد كان لهماام حكومة واسعة وإدارة حافلة بالمباشرين والموظفين
لتنظيم إدارة اراضيه الشاسعة وما فيها من فلاحين تربطهم بهمام صلات
متعددة وقد اعتاد همام عقد مجالس عامة للتعرف على مشاكل فلاحيه
وأهالى الصعيد وإصدار أوامره (٢) بالحلول التى يراها لفض تلك
المشاكل والمنازعات لتسير الامور بدقة وتنظم الحياة فى اراضيه وقد
كانت علاقات الشيخ همام بالفلاحين تحكمها العادات القبلية بالنسبة
للماملين فى الأرض من الهوارة وتحكمها نظم الالتزام وقواعده بالنسبة
للفلاحين الآخرين وقد كان همام عادلا مع الجميع فالكمل أمامه سواء .

وفى تلك الفترة سيطر على مصر كلها ذلك الأمير الطنوح عسى
بك الكبير الذى تطلع الى فصل مصر عن الدولة العثمانية والذى بعد أن
أعد الطعة لذلك التفت الى القوى الداخلية التى يمكن أن يأتى منها الخطر
على سيادته وتلك هى قوى العرب ومن هنا كان قضاؤه على عرب الحياينة
والهنادى (٣) بالوجه البحرى ثم تحرشه بشيخ الصعيد همام .

فقد قدر على بك بثاقب بصره أن الشيخ همام بما له من سلطة
واسعة فى الصعيد يمثل شوكة فى جنب سلطته على مصر ، وأن الشيخ
همام وصديقه وحليفه صالح بك القاسمى حاكم جرجا حينئذ ربما كانا
السبب فى القضاء على سيادته على مصر فربما أغرت الدولة صالح بك

(١) د . لويس عوض : المؤثرات الأجنبية ج ١ ص ٦ من المقدمة .

(٢) بعض هذه الأوامر منشورة بالملحق - ملحق رقم ٣ ص ١٦٠ .

(٣) الجبرنى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٠٨ .

ووعده بحكم مصر ثمننا لمساعدتها في القضاء على حكمه وربما أغرت الدولة هماما بحكم الصعيد ثمننا لمساعدتها في تحقيق نفس الغرض .

وقد كان على بك يقدر خطورة مركز همام ويعرف مدى ما وصل اليه نفوذ همام في الصعيد ذلك النفوذ الذي اضطر على بك نفسه للتنازل عن اراضيه في الصعيد لهمام كما رأينا ما كان من تنازله لهمام عن اراضى ناحية بنى نصر بمنفلوط (١) وقد حفظ على بك في نفسه ما كان من عداة بين همام وبين استاذة وسيدته ابراهيم كتحدا وكيف اضطر ابراهيم كتحدا الى التخلي عن اراضيه في الصعيد لهمام بعد صراع طويل بينهما .

لذلك ما ان تخلص على بك من آخر زملائه الذين يخشى خطرهم وهو صالح بك القاسمى حاكم جرجا وحليف همام بقتله غدرا بسوقه عصفور بالقاهرة (٢) حتى التفت الى شيخ الصعيد يريد القضاء عليه ، وتحطيم سيطرته ، ونفوذته في الصعيد ولم يرع ما كان لهمام من سابق فضل عليه عندما آواه في أرضه لما نجاه زملاؤه من القاهرة ، ولا ما كان من مساعدات همام له بتقديم الرجال والاموال اللازمين لاستعادة مركزه بالقاهرة والتوفيق بينه وبين صالح بك الذى ذهب معه الى القاهرة بواسطة همام وبمساعدته ، وقضى معه على منافسيه ومهد له طريق السيادة على مصر .

تفائل على بك عن ذلك كله ولم يذكر الا شيئا واتسدا وهو خطورة مركز همام ، وانه ربما حاول فصل الصعيد عن الوجه البحرى بمسند ادراكه لطبيعة نوايا على بك وغدره بحلفائه وزملائه الذين مهبطوا له طريق السيادة .

وربما كان الشيخ همام قد ساورته فكرة فصل الصعيد عن الوجه البحرى نكاية في على بك وزلزلة لحكمه لمصر ولكنه حتى وقت توجيهه على بك لحصلته ضده ، لم يكن قد أعلن تلك الفكرة أو افصح عن شيء منها فهو لم يعلن الحرب رسميا على على بك .

ولكنه اغرى اعداء على بك من الامراء الذين نفاهم الى الصعيد أو خرجوا اليه حاربين من وجهه وهم جماعة صالح بك وباقي القاسمية

(١) عن تلك الحجة انظر ص ١٨ من المقدمة .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٥ .

وجماعة الخشب والفلاح وجماعة مناو ويحيى السكرى وسليمان الجلفى
وجماعة كشكش وغيرهم ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد .

اغرى همام هؤلاء الامراء ببجارية على بك وطلب منهم التقدم الى
اسيوط وامتلاكها تمهيدا لفصلهم الصعيد عن الوجه البحرى ومقسمة
لتقدمهم بعد ذلك اذا ما حالفهم النجاح الى القاهرة لاجلاء على بك عنها
والقضاء على حكمه نهائيا .

وقد شجعهم همام على ذلك وأمدهم بالاموال والرجال والمؤن
والذخائر .

وقدر على بك خطورة الموقف فحشد لهذه المواجهة قوة كبيرة من
الجند والقادة وعلى رأسهم قائده المظفر محمد بك أبى الذهب وكان اللقاء
بين الفريقين فى اسيوط حيث دارت المعركة الحاسمة التى انتهت بفوز
قوات على بك وهزيمة حلفاء همام (١) .

وقد تأكد لعل بك بعد هذا وبصورة قاطعة ان الشيخ همام هو
قوة يجب ازالتها فعلا من طريقه لفرض سيطرته الداخلية خالصة على
مصر كلها وان الشيخ همام شخص لا يؤمن جانيه .

ومن هنا . .

كان توجيهه لقائده محمد بك أبى الذهب لمحاربة همام فى مسقط
رأسه فرشوط ، وقد قبل همام التحدى وقرر المقاومة ولكن ظروف مصر
وطابع الخيانة والفدر اللذين طبع عليهما حكاهم ذلك العصر كانا السبب
فى انتهاء حياة الشيخ همام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩ م فقد اغرى محمد بك الشيخ
اسماعيل أبو عبد الله ابن عم همام بخيائته والتخلى عنه ونشر فكرة
التخاذل بين صفوف جيش همام مقابل تولي رئاسة الصعيد بدلا من همام .

وفتت الخيانة فى عضد همام الذى قرر التقهقر الى الجنوب لتجميع
الصفوف استعدادا للمقاومة .

ولكن الخيانة أدمت فؤاده فمات (مكمودا مقهورا) (٢) قرب
اسنة .

(١) محمد دلت رمضان : على بك الكبير ص ٥٢ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٦ .

وانتهت تلك الأيام الزاهرة التي نعم فيها الصعيد بالأمن والرخاء
والازدهار .

وسأحاول في الصفحات التالية أن أقدم صورة لحياة الصعيد
ونظمه على عهد سيطرة الشيخ همام وكيف إدار همام أراضي الصعيد
وكيف سارت حياة الصعيد السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك
الفترة .

الفصل الأول

الهوةرة فى الصعید

أصل الهوةرة - كیف نزلوا الصعید -
حیاتهم فیه وتحولهم إلى قبيلة مستقرة -
علاقتهم بالمالیك ، بالعثمانیین ، وبالقبائل
العربیة الأخرى فى الصعید .

الهوارة في الصعيد

ينتمي الشيخ همام بن يوسف الى قبائل الهوارة ، تلك القبائل التي هاجرت الى مصر من المغرب في عهد الفاطميين ، الذين شجعوا هجرة قبائل المغرب الى مصر .

وقد استقر المهاجرون في الجانب الغربي من مصر ، غربي الدلتا ، البحيرة القيوم وفي معظم الجهات الغربية من الصعيد .

أصل الهوارة :

وقد اختلف المؤرخون كثيرا في تحديد معنى اسم الهوارة وأصلهم فنسب البعض تسمية الهوارة بهذا الاسم لانتسابهم الى هوار بن المتني من حمير اليمن (١) ونسب البعض تسمية الهوارة بهذا الاسم الى ما كان من تهور المسور بن المتني وخروجه من مصر في طلب ابل له فقددها فذهبت نحو المغرب وهو في أثرها وانه لما أدرك ابتعاده عن مصر وصف عمله بالتهور (٢) وان الهوارة نسبوا اليه لنزوله المغرب وتزوجه هناك وتناسل الهوارة منه .

وقد أرجح البعض أصل الهوارة الى البربر وأرجعه البعض الآخر الى حمير اليمن (٣) .

(١) محمد عبد الحائق البتيتي ، مقال امانة الصعيد امرة هوارة ونسبها البلاغ ١٩٣٤/٢ ص ٣ .
(٢) أحمد بن علي القرطبي : البيان والاعراب عما يارض مصر من الاعراب نشر ومراجعة ابراهيم رمزي - القاهرة ١٩١٦ ص ٥٨ .
(٣) نفس المرجع السابق : ص ٦٠ .

أما الهوارة أنفسهم فقد كان من الشائع بينهم في عهدهم الأول أي قبل عصر محمد على أنهم ينتسبون إلى دحية الكلبي من بني كلب بن وبرة من قبيلة قضاعة من بني مالك بن حمير بن سبأ (١) وأن التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب عند غزوهم إفريقية حجّزوا هناك قبائل من حمير أقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنها جاءت : صنهاجة وهوارة وكتامة .

وقد نفى ابن خلدون هذا الفزو واعتبره من أوهام وأخطاء المؤرخين (٢) .

وابتداء من عهد محمد على . . .

حاول الهوارة إرجاع نسبهم إلى الحسين بن علي ونسبوا أنفسهم إلى أشراف مكة الذين هاجروا إلى المغرب استناداً إلى حجة شرعية أصدرها قاضي مكة في عهد محمد علي لاثبات ذلك النسب (٣) والحجة صادرة من قاضي مكة درويش العجيمي وبخضور كل من :

الأمير «أبو علي» بن الأمير علي الهامي القاطن بقنا والأمير عبد المغيث ابن محمد القاطن بدشنا والأمير عبد الكريم بن الشيخ صمام بن يوسف القاطن ببهجورة ، وبصحبتهم :

محمد باشا علي (محمد علي)

وإلى مصر وما يتبعها والسيد عمر مكرم نقيب أشراف مصر ، السيد محمد المحروقي والشيخ محمد وفا السادات .

وطلبوا أي الهوارة إلحاقهم بسلسلة نسب آباؤهم وأجدادهم وأنهم قدموا للقاضي مراسيم أموية وعباسية وفاطمية وحججاً وأحكاماً قاطمة بصحة نسبهم إلى الحسين بن علي وأن قاضي مكة بعد الإطلاع على تلك المراسيم والحجج حكم لهم بصحة هذا النسب .

والحجة بتاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م .

وقد رأيت أصل هذه الحجة بدفترخانة محكمة قنا الشرعية (٤)

(١) مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبائلها . القاهرة ١٩٥٦م ص ٣٦ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون :

كتاب البر ودروان المبتدا والمثير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المقتضب المجلد الأول - الطبعة الثانية دار الكتاب اللبناني بيروت لسنة ١٩٦٦ .

(٣) قدم لي اتحاد صمارة من علم الحجة عند زيارتي لهم .

(٤) دفترخانة محكمة قنا الشرعية وثيقة رقم ٨١٨ مطبوعة رقم ١ لسنة ١٢٢٣م .

ولكنى لم أر فيها ما يقننى بصحة ذلك النسب فمحمدا على لم يذهب الى
الحجاز الا فى سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م .

واقحام اسم محمد على فى هذه الحجة كان محاولة من الهوارة
لاضفاء الاهمية والتاكيد على ما جاء بها ولعلمهم توصلوا الى ذلك برشوة
قاضى مكة وليس ذلك ببعيد فى وقت لم يكن القضاء فيه منزها عن
الشبهات وقد سعى الهوارة لاستصدار هذه الحجة مجارة للطابع العام
الذى سرى بين القبائل العربية فى هذه الفترة فقد حاولت تلك القبائل
وقتها الوقوف بانسابها عند النبى صلى الله عليه وسلم أو أسرته
أو الخلفاء الراشدين أو الصحابة بوجه عام دون أن تقدم دليلا قويا يثبت
صحة ذلك النسب .

وقد كانت قبائل الهوارة موجودة بالمغرب قبل الفتح العربى له
سنة ٨٠ هـ / ٦٩٧ م فقد ذكر ابن قتيبة (١) بمناسبة الحديث عن
حوادث الفتح العربى للمغرب .

ان (موسى بن نصير أرسل عباس بن أخيل الى هواره وزفاته فى
ألف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم) .

وقد كان لقبائل الهوارة بالمغرب عصبية عظيمة ، نفوذ كبير وقد
استقر فرع منها بالأندلس فى القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى
وعرف باسم بنو زنون أو بنو ذى النون (٢) الذين حكموا طليطلة حتى
استولى عليها الفونس السادس ملك ليون وقشتاله سنة ١٠٨٥ م /
٤٣٣ هـ .

وقد كان لهم قوة وثروة بالأندلس (٣) .

وقد كانت منازل الهوارة على عهد الفاطميين فى منطقة البحيرة من
الاسكندرية غربا الى العقبة الكبيرة من بوقة (٤) وكانت لهم الامرة على
عربان البحيرة (٥) .

-
- (١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ٥٢ القاهرة ١٣٢٨ هـ .
(٢) ليلى يروفلسمال : الاسلام فى المغرب والأندلس ترجمة : السيد محمد
عبد الميز سالك . القاهرة ١٩٥٦ ص ١٢٢ .
(٣) محمد على بن حزم : جبهة أسلاب العرب . تحقيق : عبد السلام هارون
دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ ص ٥٠٠ .
(٤) أبو العباس أحمد بن علي التلمسندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٣٦٤ .
(٥) القويرقى : البيان والاصراب ص ٦٨ .

وظل الأمر على ذلك الى أيام السلطان على بن شيمان ٧٧٨ هـ / ٧٨٣ هـ ، ١٣٧٦ م / ١٣٨١ م حيث قام زعيم الهوارة بدر بن سلام بثورة كبيرة سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م (١) أحمدتها الأمير بركات ونقل على أثرها معظم الهوارة الى الصعيد وذلك بأن أقطع اسماعيل بن مازن منهم ناحية جرجا وكانت خرابا فدمرها وأقام بها حتى قتله على بن غريب منهم فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهواري حتى مات فولى بعده ابنه محمد المعروف بابي السنون حتى مات فولى بعده أخوه يوسف ابن عمر (٢) .

وقد ترجم ابن حجر لاسماعيل بن مازن الهواري فوصفه بأنه أحد أكابر أمراء العرب بصعيد مصر الأعلى وأنه توفي سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م وخلف أموالا كثيرة (٣) .

وقد استقر الهوارة في الصعيد وتشعبت لهم فيه فروع كثيرة وصارت امرة عربان الصعيد كله لأحد رؤسائهم وهو : الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري ، الذي أخذ لقب الامارة رسميا لأن العادة الملوكية القديمة كانت تقتضي بأن يعين السلطان على كل قبيلة من قبائل العرب أميرا منها ويكتب له تقليدا سلطانيا بذلك ويلبس الأمير العربي حينئذ تفريفا أطلس أسود بأقرانه في الترتيب الإقطاعي الملوكي .

وقد ذكر أبو المحاسن (٤)

أن الأمير عمر بن عبد العزيز هو والد بني عمر أمراء الصعيد وأنه أول من ولي الأمرة منهم هنالك وقد توفي الأمير عمر هذا في سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م .

وقد دار جدل حول لقب الامارة - الذي منح للهوارة - بين جماعة من المناصرين للهوارة والمتحاملين عليهم وذلك على صفحات صحيفة الأهرام سنة ١٩٣٣ وصحيفة البلاغ سنة ١٩٣٤ بمناسبة منح الملك فؤاد لقب أمير الصعيد لابنه فاروق .

فقد كتب مناصرو الهوارة يذكرون أن هذا اللقب غير جديد على الصعيد ، وأنه كان لأمراء الهوارة من قبل فتصلى لهم الفريق الآخر يمارض وينفي بشدة أنه كانت للهوارة الامارة في الصعيد .

(١) عن ثورة بدر سلام : انظر المقدمة ص ٨ - ٩ .

(٢) المقريزي : البيان والاعراب ص ٦٠ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . الهندسة ١٤٣٨ ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤) أبو المحاسن يوسف بن قري بردي . الهجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . مطبعة دار الكتب ١٩٥٦ ج ١٢ ص ١٥٦ .

فقد ذكر أحد الكتاب وهو ممن نفوا حصول الامارة للهوارة بعد ذكره لنزول الهوارة في الصعيد واستقراهم به .

ان النفوذ في بلاد اخميم صار لأولاد عمر وفي أعمال البهنسا لأولاد غريب وانه لم يرد في أقوال المؤرخين الا أن نفوذ الهوارة كان محليا وانه لم تكن لهم اماره كالتي سبقت لغيرهم ولم تصدر لهم مراسيم ولا مكاتبات سلطانية على نحو ما صدر لامراء ربعة أو لامراء عرب الشرقية أو لمن سبقهم من امراء الصعيد (١) .

وكان هذا تحاملا على الهوارة صدر من صاحبه دون أن يتحرى الحقيقة ويكلف نفسه بالبحث العلمي المجرد من أى غرض عن امرة الهوارة التي اكدتها لها المصادر المعاصرة . والتي أشرنا الى اثنين منها وهما كتاب البيان والاعراب للمقريزى الذى كان معاصرا للهوارة ولنزولهم الصعيد فقد ولد المقريزى سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م وتوفي سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م . والهوارة نزلوا الصعيد سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م فحدث المقريزى عنهم حديث معاصر لهم شهد احداث نزولهم الصعيد واستقراهم فيه وكان على بينة من أمرهم (٢) .

وقد أكد الفلقشندى وهو معاصر آخر للهوارة ما كان للهوارة من اماره فى الصعيد .

وان الهوارة منذ توجههم من البحيرة الى الصعيد ونزولهم به انتشروا في أرجائه انتشارا واسعا وبسطوا نفوذهم من البهنسا الى أسوان وما بعدها ، وان صائر القبائل العربية بالصعيد خضعت لسيطرة الهوارة وصارت طوع قياهم وان الأمرة على أيام الفلقشندى كانت فى بيتين من الهوارة .

الأول : بنو عمر محمد واخوته وكانت سيطرتهم تمتد من الأشمونين الى أسوان وكانت منازلهم بجرجا ومنتشة اخميم .

الثاني : أولاد غريب وكانت سيطرتهم فى منطقة البهنسا وكانت منازلهم بدعروط وما حولها (٣) .

وقد استمرت اماره الصعيد والسيطرة عليه للهوارة فى العصر العثماني وتؤكد دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة ان الامارة كانت

(١) سليمان عبد الرحمن : لقب أمير الصعيد : البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ .

(٢) أحمد لطفى السيد : لقب أمير الصعيد - البلاغ ١٩٣٤/٣/١١ ص ٣٠ .

(٣) الفلقشندى : سبج الأعلى ج ٤ ص ٦٩ .

للهوراة في الصعيد وانهم حملوا لقب الأمير بصورة رسمية فقد أوردت
الدفاتر أسماء الكثيرين من أولاد عمر مسبوقة بلقب الامارة وعلى
سبيل المثال :

ورد بدفتر رقم ٢٢٤ لسنة ١١٣٥ هـ عين ٤ مخزن تركي أمام
التزام أراضى وقف فى دندرة والقوصية انها وقف مرحوم أمير عبد الله
وأمر موسى من أولاد عمر أمير عريان هواره *

وورد بدفتر رقم ٤٠٧ لسنة ١٩٦٤ هـ أمام التزام رزقة احباسية
كانت معروفة بالمرجة وكوم الباسكية انها من (وقف أمير داود بن أحمد
الناصر بن اسماعيل بن أمير عمر أمير عريان هواره) *

وقد كان أولاد عمر هم الفرع الهام من الهواراة الذين نزلوا الصعيد
وانقسموا كما قدمنا فرعين هما :

أولاد عمر ، أولاد غريب

والفرع الذى يهنا هنا هو الفرع الأول أى بنو عمر لأن الشيخ
همام من قرعهم وكان بنو عمر بطنا كبيرا من بطون الهواراة بالصعيد
وعمر جد الأمراء كلهم ومن أولاده محمد أبو الستون ويوسف اللذان
توليا اماراة الصعيد بالتوالى ثم تولاهما اسماعيل بن يوسف واشتهر
بحسن السيرة وتوفى سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م واشتهر من أحفاده الأمير
شرف الدين عيسى الذى عرف بحبه للفقهاء وميله للبر والاحسان
واتصافه بالقوى وتوفى سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م ومن أولاده الأمير
ريان بن أحمد بن عيسى جد الريانسة توفى سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م
داود بن سليمان بن عيسى وعبد العزيز وعلى ابنا عيسى بن يوسف *
وقد ألف السيد مرتضى الزبيدى رسالة عن نسب الهواراة وامرأهم
بالصعيد سماها :

رفع الستارة عن نسب الهواراة (١)

وبالرغم من أن الممالك هم الذين أنزلوا الهواراة الى الصعيد
واقطعواهم الاقطاعات الواسعة فقد ترمد الهواراة عليهم كثيرا ، ووقعت
احداث كثيرة بين أولاد عمر والممالك سنتناولها بالتفصيل عند الحديث
عن علاقة الهواراة بالممالك *

(١) مرتضى الزبيدى : شرح القاموس ج ٣ ص ٦٣٤ .. وقد بحث كثيرا من هذه
الرسالة بين مخطوطات دار الكتب ومعه المخطوطات العربية فلم أعث عليها ويبدو أنها
فقدت *

وقد أدت فتنة أولاد عمر إلى محاولة الماليك عزلهم وإعادة فرع إسماعيل بن مازن إلى إمارة الهوارة الذين رفضوا ذلك فاضطرت السلطات المملوكية لإعادة الإمارة لأولاد عمر سنة ٨٤٤ / ١٤٤٠ م على عهد الأمير إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهواري (١) .

واستمر الأمراء من أولاد عمر يحكمون الصعيد حتى سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م (٢) ثم كان للشيخ همام بن يوسف وهو منهم السيادة على الصعيد في النصف الأول من القرن الثامن عشر ونحو عشرين عاماً من النصف الثاني منه .

استقرار الهوارة بالصعيد

وقد حدث للهوارة عندما نزلوا إلى جرجا ما حدث لمعظم القبائل العربية المهاجرة فاستقرت طوائف منها واشتغلت بزراعة قصب السكر وقد اشتهر محمد أبو السنون بن عمر بن عبد العزيز الهواري بأنه أكثر من زراعة قصب السكر وإقامة الدوايب للسكر واعتصامه وأثرى من وراء ذلك ثراء طائفاً (٣) .

ولم تنتقل هوارة إلى الصعيد إلا بعد انقضاء الأحداث العنيفة التي وقعت بين الماليك وعرب الصعيد فقد كان عرب الصعيد كثيراً ما يطردون في دفع الخراج المستحق عليهم فضلاً عن فتنتهم المستمرة والتي قابلها الماليك بأعنف وسائل القمع والإرهاب وكان من أبرزها :

• حركة الشريف حصن الدين ثعلب سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م (٤) .

• ثورة منفلوط وأسيوط سنة ٧٠١ هـ / سنة ١٣٠١ م (٥) ثم حلف ابن الأحمد سنة ٧٥٤ هـ / سنة ١٣٥٣ م (٦) .

وقد حفل تاريخ ابن إياس وكتاب السلوك للمقريزي بذكر الكثير من ثورات عرب الصعيد ضد السلطات المملوكية التي كانت تهتم بقمع تلك الثورات وحركات التمرد التي كان يقوم بها هؤلاء العرب وكان

(١) الخافظ محمد السنارى : الجزء التاسع لأهل القرن التاسع ، القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٥٤ .

(٣) المقريزي : البيان والإعراب ص ٦٠ .

(٤) عن حركة الشريف حصن الدين انظر ص ١٠ ، ١١ من المقدمة .

(٥) عن ثورة منفلوط وأسيوط انظر ص ١١ من المقدمة .

(٦) عن حلف ابن الأحمد انظر ص ١١ من المقدمة .

الوزراء بأنفسهم يقودون أحيانا الحملات لقمع عرب الصعيد كما حدث سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م حينما خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر على رأس حملة الى الوجه القبلي لردع العرب الذين كثر عيبتهم وفسادهم وامتناع كثير منهم عن دفع الخراج المستحق على اقطاعاتهم .

وقد انتهت هذه الحملة بقتل المتمردين ومصادرة جميع الخيول التي ببلاد الصعيد ومصادرة سلاح أهل الصعيد جميعا من فلاحين وعربان ومصادرة الكثير من جمالهم أيضا ، وهنا :

« ذل العرب وقدموا الخراج (١) »

وفي عهد السلطان الناصر محمد :

تمرد عرب الصعيد أيضا وأقصدوا البلاد فخرج اليهم السلطان شخصيا على رأس حملة لمعاقبتهن وضيق عليهم السلطان الخناق حتى لقد وصلوا كما ذكر ابن اياس (٢) .

(الى الجبال فماتوا من الجوع والعطش فأسر منهم نحو نصفهم وحملهم الى القاهرة في مراكب حيث سجن منهم جماعة واستخدم الآخرين في حفر الجسور وهم في جنازير الحديد) .

وهكذا .. لم تنتقل هوارة الى الصعيد الا بعد انقضاء الأحداث العنيفة التي وقعت بين المماليك وبين عرب الصعيد والتي قابلها المماليك بقوة بالغة ، اضطرت كثيرا منهم الى الاختفاء أو الهجرة الى السودان فقل عدد العرب المقيمين في أرض الصعيد وأطرافها ، ومن المؤكد أن هذا كان السبب الرئيسي لتسعة استقرار الهوارة في الصعيد فانهم عندما هاجروا الى جرجا في تلك الظروف لم يجدوا مشقة تذكر في السيطرة على الجانب الغربي من الصعيد فاستوطنوه وعظم أمرهم واشتد بأسهم .

ومن الأسباب الأخرى التي ساعدت على استقرار الهوارة بالصعيد اشتغالهم بالزراعة وارتباطهم بالأرض بالإضافة لطبيعة الصعيد المحافظة وحدوده الطبيعية المنقطة التي تخالف طبيعة الوجه البحري المفتوحة والتي ساعدت عربيه على استمرار تمردهم ضد السلطات الحاكمة وفرارهم الى الصحراء الغربية أو الى سيناء أو غرة يحتمون بها من حملات الدولة فلما كان يفعل دائما أولاد بقر بشرقية (٣) وعرب البحيرة الذين كانوا

(١) القرينى : السلوك ج ١ قسم ثالث ص ٩١٤ .

(٢) ابن اياس : بذائع الزهور ج ١ ص ٦٥٨ .

(٣) ابن اياس : ج ٣ ص ٩١ .

يهربون الى برقة ومنها الى بلاد المغرب (١) .

وينقسم هواره الصعيد الى فروع عدة منها (٢) :

أولاد علي ، البلايش ، السماعنة ، الفضيلات ، والوشاشات .

ثم الهامية وهم من نسل همام سبيك الجد الأعلى لشيخ العرب
همام بن يوسف فهو :

همام يوسف أحمد محمد همام عمر ريان همام سبيك وهذا الفرع
هو الذي كانت له السيطرة على الصعيد في النصف الثاني من القرن
الثامن عشر م / ١٢ هـ .

وقد غدا الهواره في الصعيد من كبار الملاك (٣) ونمتوا بشراء
طائل ووقفوا على أولادهم أوقافا هائلة كان أبرزها ما فعله الأمير همام
سبيك جد الهامية والذي أوقف على ذريته مساحة وقدرها ٢٤٢ ألف
فدان من الأراضي الزراعية امتدت من سواقي موسى بالجيزة الى قنا في
نواحي اصفون والأقصرين ، شنهور ، قنا ، والوقف ، هو ، وبهجورة ،
وعزب المصري والقصر وفرجوط وسمهود وبلاد المال والبلينا ، وحوض
جهينة والمنفلوطية وسواقي موسى ومنية ابن خصيب (٤) .

وباستقرار الهواره في الصعيد ابتداء من سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م
مارست طوائف منهم الزراعة ، وبقيت طوائف أخرى تعيش حياة تشبه
حياة البدو زحفت الى أسوان وتحالفت في بادئ الأمر مع بني الكنز (٥)

(١) ابن اياس : ج ١ ص ١٦٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٤٨ .

(٢) محمد عمر الهواري : لقب أمير الصعيد الهواره ونسبهم . البصلع
١٩٣٤/٢/٢٥ .

(٣) Girard, (P.S.), "Mémoire sur L'Agriculture, industrie, et
Le commerce de l'Egypte" in Description de l'Egypte, Vol. Dix-
Septième, Seconde Edition, (Paris, 1830), p. 39.

(٤) حجة شرعية رقم ٧٥٧ مصفحة رقم ٤ دفترخانة محكمة قنا الشرعية .

(٥) بنو الكنز :

أصلهم من ديمية بن نزار بن معد بن عدنان وكانوا ينزلون اللياه ثم قدموا الى مصر
في خلافة المتوكل هل الله العباسي سنة ٢٤٠هـ/٨٨٤م في عدد كثير وسكنوا أسوان شمال
النوبة ، وكانت البجة تمنع الغارات على أطراف مصر الجنوبية فحاربتهم ديمية حتى تغلبوا
عليهم وسيطروا على بلادهم ثم تزوجوا منهم ونشروا بينهم الاسلام ثم استولوا على معدن
الذهب باللاتي فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم ورأس عليهم اسحاق بن بشر مئة ثم
قام نزاع بينه وبين أناربه من بني يونس من ديمية أيضا وكانوا قد ملكوا عيذاب عند
قدمهم من اليامنة فحاربهم وحزبهم وطردهم من عيذاب الى الحجاز ، ولكنه لم يلبث أن =

الذين دأبوا على مهاجمة أسوان فقد أثر تلأشى أهمية قصص وأسوان ونشرهما عذاب لتحول الحجاج والتجارة الهندية عنهم في موقف بنى الكنز فتحولوا الى مشاغبين يذهبون ويسلبون الأهالي فأعزت الحكومة بهم الهوارة الذين زحفوا على أسوان فحاربوهم واجلوهم عنها نهائيا سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م فتشتت أبناء الكنز بعد ذلك في بلاد النوبة والسودان (١) .

وفد زحفت جماعات من الهوارة من سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م : سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م الى جنوب الوادي ودخلت السودان واشتغل بعضهم بالتجارة في شمال دارفور وهؤلاء يدعون الى اليوم باسم الهوارة الجلابية (٢) .

وقد سبقت هجرة هؤلاء الى السودان هجرة فريق آخر من الهوارة دخل السودان منذ قدمه من البحيرة وهم يكونون قبيلة مستقلة تعرف باسم الهواوير تسكن بجوار الكبابيس وتشتغل بالرعى وهم يمتازون بالصفات القوقازية ولم يختلطوا بغيرهم من عناصر الجنوب بخلاف

== قتل في نزهة من بنى بشر عشيرته نفسها فاحضروا اليهم من بلييس رئيسا آخر هو ابن عم اسحاق بن بشر للقول وعرف الرئيس الجديد باسم أبي يزيد بن اسحاق بن ابراهيم ابن مروق واليه ينسب كنز الدولة حامى أسوان . ولم يزل أبي يزيد رئيسا على ربيعة حتى مات فقام برياستها بعده ابنه أبو المكارم حبة الله ويعرف بالأهوج المطاع وهو الذى ظفر بأبي ذكوة الأموى الخارج على الحاكم يأمر الله الفاطمى سنة ٤١٢هـ/١٠٢٠م فأكرمه الحاكم اكراما عظيما ولقبه كنز الدولة وهو أول من لقب بذلك وقد عرفوا ببني الكنز منذ ذلك الحين وظلت الإمارة على الصعيد فهم حتى انفسهم صلاح الدين وقد عرفوا ببني الكنز منذ ذلك لقيامهم بالفورة ضد تشييعا للفاطمييين الذين اخلصوا لهم .

التقريزى : البيان والاعراب من ص ٤٨ الى ص ٥٠ .

ولقد عادت لهم امرة الصعيد فى عهد المماليك وعرفوا بالمندارية وكانت لهم امرة عربان الوجه القبلى من قوس الى آخر حدود مصر الجنوبية. كما ذكر السيد سليمان عبد الرحمن فى صحيفة البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ . مقال بعنوان دولة الصعيد .

وقد ذكر القلقشندي هذا فى كتابه صبح الاصفى ج ٤ ص ٦٩ : واستمروا على ذلك حتى نزل الهوارة الى الصعيد وقد كان بنو الكنز حينئذ فى حروب مستمرة مع الحكومة المركزية تقضى الهوارة على سيادتهم على أسوان وأزاحوهم عنها سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م وكانت الحروب بينهم سجلا بعد ذلك بكثير .

(١) أحمد طهى السيد : مقال لقب أمير الصعيد بين الكنوز والهوارة ، البلاغ ١٩٣٤/١/٢٠ .

(٢) د. محمد عوض محمد : السودان الضامى - سكانه وقبائله - القاهرة - سنة ١٩٥٦م ص ٢٤٩ .

أقاربهم الجلالية في دار فور الذين يعيشون حياة أكثر استقرارا والذين
نسربت اليهم بعض الدماء الغريبة عنهم (١) .

وعندما هاجرت هواره الى الصعيد كان عددها يصل الى نحو أربعة
وعشرين ألف نفس (٢) .

وقد بقيت بقايا من الهواره في البحيرة لم تهاجر الى الصعيد
وماتزال حتى اليوم لها مقر في مريوط وما حولها (٣) .

وقد عرفت بقايا الهواره بالبحيرة باسم هواره بحرى وكانت
العلاقات بين هواره بحرى وهواره قبلى تتراجع بين تبادل الود أحيانا
والعداء الشديد في أحيان أخرى .

ومن النوع الأول ما ذكره الجبرنى . . من استنجد هواره بحرى
بهواره قبلى عندما اعتدى أحد الأمراء الماليك وهو محمد جلبي الصابونجي
على أملاك كبير من كبارهم توفى (فأرسل أولاد المتوفى عرفوهم أن بلاد
أسلافهم أخذها ابن الصابونجي ونازل يتصرف فيها وطلبوا منهم
معوقة) .

فأرسلوا لهم هواره وعبيدا فحاربوه وغلبوه كما ذكر الجبرنى (٤) .

ولما رفض تسليمهم الأرض المفتصة توسط لهم هواره قبلى عند
كبار أمراء الماليك الذين تحلوه وقتلوه وعادت الأرض لهواره بحرى
بمعونة هواره قبلى سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م .

ولكن بعكس ذلك نجد أن هواره بحرى صحبوا الحملة التي قادها
محمد بك قطامش سنة ١١٢٣/١١٢٤ هـ ، ١٧١١/١٧١٢ م عندما عين
حاكما لجرجا وخرج الى هواره قبلى ومعه ألف جندي لمعاقتهم لحضورهم
الى القاهرة مع الحاكم السابق لجرجا محمد بك الصعيدى واشتركهم في

(١) ليس هناك اليوم أى صلة بين الهواره النازحين الى السودان وبين هواره الصعيد
كما أخبرنى الأخيرون عند ترددى عليهم .

(٢) د . إبراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في المصمود
الوسطى . دار الكتاب العربى القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ١٥٦ .

(٣) أحمد لطفي السيد - قبائل العرب في مصر المليقات والجمافرة وقبائل أخرى .
القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ص ١٥ .

(٤) الجبرنى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٠٦ .

احداث فتنة أفرنج أحمد (٤) .

وعندما وصلت التجريفة (الحملة) الى جرجا (تسلط عليهم هواره بحرى ونهبوا دواشينهم وأغناهم ومتاعهم وطواحينهم) (١) .

وقد هزم الهواره أمام محمد بك قطامش فنهب أموالهم وقتل رجالهم وهرب الباقون بعد ذلك الى الجبل ولم يعودوا الى ديارهم الا بعد صدور العفو عنهم من الباشا بوساطة أمير مملوكى صديق لهم هو الأمير إبراهيم بك أو شنب (٢) .

أما العلاقات الودية التي كانت تربط بين هواره بحرى وهواره فبلى فهذا النوع من العلاقات بين فريقين ينتمون الى أصل واحد شيء طبيعي جدا .

أما العلاقات العدائية بينهما فشيء لانتغربه اذا ما عرفنا أن هواره فبلى أنفسهم كثيرا ما كانوا يتنازعون فيما بينهم .

وأول زعيم لهواره الصعيد وهو اسماعيل بن مازن مات مقتولا بيد أحد أقاربه وهو على بن غريب (٣) .

وكثيرا ما قام العداء والصراع بين أبناء الهواره فى الصعيد وكان الصراع بينهم يصل الى حد يفلق السلطات المملوكية فترسل لهم حملات خاصة لفض ما بينهم من نزاع ويحفل تاريخ ابن اياس بذكر الكثير من تلك الحملات نذكر منها على سبيل المثال :

فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ / ١٢٨٠ م يحدثنا ابن اياس (٤) عن خروج حملة بقيادة الأمير يشبك الى جهة الوجه القبلى بسبب تلك الفتنة التي وقعت بين يونس ابن عمر وبين داود بن عمر قريبه (ابن عمه) .

وفى سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٨٦ م يذكر ابن اياس (٥) أيضا ما كان من توجه آقبردى الدودار الى جهة الصعيد بسبب فساد أولاد عمر وصراهم بعضهم مع البعض .

(*) سنتناول الأحداث التي وردت فى هذه الصفحة بالتفصيل فى الفصل الثالث عند الحديث عن علاقة الهواره بحكام جرجا .

(١) نفس المرجع ج ١ ص ٤٧ .

(٢) مصطفى إبراهيم : تاريخ وقائع مصر القاهرة كنانة الله تعالى فى أرضه ص ١٨ .

(٣) المقرئى : البيان والإعراب ص ٦٠ .

(٤) ابن اياس : وقائع الزهور ج ٢ ص ١٨١ .

(٥) نفس المرجع ص ٢٣٣ ج ٢ .

وعندما انتقل الهوارة الى الصعيد كانت أبرز مدنه حينئذ قوض واخميم ولم تكن جرجا مشهورة حتى نزل بها الهوارة فاشتهر أمرها وصارت فيما بعد عاصمة الصعيد واستمرت كذلك حتى نهاية النفوذ الفعلي للهوارة بعد القضاء على الشيخ همام حيث انتقلت العاصمة الى أسيوط وتوارت جرجا وتوارى معها الهوارة الى الظل (١) وأصبح بك الصعيد لا يقضى بجرجا سوى نصف العام فقط والنصف الثاني يقضيه في أسيوط التي غدت أعظم مدن الصعيد بعد أن كانت جرجا هي التي تحتل تلك المكانة من قبل .

ويتصف هوارة الصعيد عامة بالكرم ودمائة الخلق والتواضع (٢) بالإضافة الى اتصافهم بالشجاعة والاعتزاز بالكرامة ولهم تقاليد وعادات خاصة مثل امتناعهم عن مصاهرة غيرهم بالنسبة لبناتهم فقط فهم يفضلون الفتاة أن تظل عانساً (إذا لم تتزوج موارياً مثلها) - ولا تتزوج رجلاً من أسرة أخرى وهي عادة ربما ساعد عليها ونماها وجودهم في الصعيد المحافظ حيث للعادات والتقاليد سيادة تشبه سيادة القانون .

ولا يوجد اختلاط بين النساء والرجال في قرى الهوارة فالمرأة الهوارية لا تشارك زوجها في عمله بالحقل (٣) بعكس الفلاحة العادية .

ويمتاز أولاً همام عامة بنساء ورجال بالجمال وحسن الهيئة بالإضافة للصفات السابقة للهوارة جميعاً .

وقد اشتهر بنو عمر - (وهم أهم فرع من هوارة الصعيد) بالتقوى (فهم بيت ديانة وعبادة في الجملة لاسيما جدهم عمر) كما ذكر عنهم محمد بن حامد الجرجاوى صاحب مخطوط تعطير النواحي والأرجا (٤) .

وقد اهتم الأمراء من أبناء عمر بإنشاء المساجد بجرجا منذ بداية عهدهم فالأمير محمد أبو السنون بن عمر بن عبد العزيز أنشأ مسجداً بجرجا عرف بالجامع الملقب وذلك في حدود المائة الثامنة تقريباً وذكر عنه محمد بن حامد الجرجاوى أيضاً (٥) .

(١) Browne : Travels, Egypt and Syria from the year 1792 to 1798, London 1799, p. 129.

(٢) لحست هذه الصفة في الهوارة عند زيارتي لهم بموطنهم المالية بمحاظة قنا .

(٣) محمد عبد الفتى التفتازانى : اسارة الصعيد البلاغ ١/٢٧/١٩٣٤ .

(٤) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تعطير النواحي ج ٣ ص ٩٤ .

(٥) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تعطير النواحي والأرجا ج ١ ص ٧٨ .

∴ أنه من أجل مساجد جرجا مبنى بالحجر ومشمسور بالمعلق لأن
تحتة قيسارية معدة لبيع ماء الورد. وشبهه اى للعطارة .
ومازال هذا المسجد قائما بمدينة جرجا بعد اجراء التجديدات
المستمرة له .

ومن أشهر مساجد مدينة جرجا حاليا جامع الداودية (١) انشأه
الأمير داود بن عمر الذى حكم جرجا من سنة ٩٢٩ : ١٥٢٢/٩٤٣ م وقد
جده شيخ العرب همام الفرشوطى سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م ثم جده
ديوان الأوقاف ورم منارته سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م وتقام به شعائر
الصلاة الى الآن .

وقد اشتهر الهوارة بتقديرهم للعلماء وصلاتهم الدائمة لهم وكثيرا
مازارهم العلماء فى مواطنهم فتلقوهم بالاكرام بل وكانوا يقطعون بعضهم
أراضى ومنازل ويقدمون لهم الخدم والحشم ويستبقونهم معهم لأفادة
الناس وشرح أمور الدين لهم .

فالشيخ ابراهيم المسيرى الذى ترجم له الجبرتى (٢) (بأنه أحد
العلماء الأذكياء ومن أفراد الدهر البحات فى المضيلات والذى تخرج على
الشيخ سليمان الزيات وحضر دروس فضلاء الوقت وتلمذ على الشيخ
الحفنى أشهر علماء عصره) .

أرسله أستاذه الحفنى الى الصعيد عنما وصله خطاب من أحد
مشايخ الهوارة ممن يعتقدون فيه يطلب منه أن يبعث اليه بأحد تلاميذه
ليفيد الناس بعلمه بناحية بهجورة وهناك تلقاه الناس (بالقبول التام)
وعين له أمير بهجورة اسماعيل بن عبد الله بن عم الشيخ همام منزلا
واسعا وقدم له بخدما وحشما وأقطعته جانبا من الأرض ليزرعها. فقطن
ببهجورة ولعناية شيخها به انطلق يدرس ويفتى ويقوم مجالس الذكر
(فراج أمره وراش جناحه ونفع وشفع وأثرى جدا وتملك عقارات
ومواشى وعبيدا ومزارع) وقد ظل ببهجورة حتى توفي أواخر سنة
١١٨١ هـ .

وكثيرا ما ألف العلماء فى ذلك العصر القصائد لمديح الهوارة
والاشادة بكرمهم وحسن معاملتهم لهم .

فالشيخ عبد القادر بن خليل الرومى الأصل (أى التركى
الأصل) والذى عرف بكذك زادة والذى ترجمه الجبرتى (٣) .

(١) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٧١ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٨٦ .

(٣) الجبرتى : ج ١ ص ٢٧٨ .

بأنه ولد في مكة سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م وتشتبأ بها وحفظ القرآن واشتغل بالعلم على علماء بلده والواردين عليه وسمع أكثر كتب الحديث على أشهر شيوخ الحديث وولى الخطابة والإمامة بالروضة المحلقة .

ثم حضر إلى مصر وتعلم على أيدي أشهر مشايخ العصر مثل الجوهري والحفني والملوي والبلبيدي ثم قام بعدة جولات في تركيا والحجاز والشام واليمن دخل أثناءها الصعيد من طريق القصير وزار مشايخ عربان الهوارة ومنحهم بقصائد طنانة (لآكرامهم له .

ومن أشهر العلماء الذين اختلطوا بالهوارة الشيخ محمد مرتضى (١) الزبيدي الذي حظي بآكرامهم وتقديرهم وخاصة في عهد شيخ العرب همام وقد اهتم هذا الشيخ بمعرفة أنساب الهوارة وأصولهم والف لذلك رسالته التي سماها :

رفع الستارة عن نسب الهوارة

وقد طيل الكثيرون من علماء ذلك العصر يلازمون الهوارة ولم يفادروا الصعيد إلا بعد أن أخنى عليهم الدهر بعد انتهاء عهد الشيخ همام ومثال ذلك :

الشيخ علي الشيبيني الشافعي (٢) الذي تعلم العربية والفقه على مشايخ عصره ثم توجه إلى الصعيد واختلف بأولاد تمام أبناء عم الشيخ همام في بيع القرون (٣) وتمتع بعيهم وسكن عندهم مدة .

وعندما تغيرت أحوال الصعيد غادره الشيخ إلى القاهرة وتوفي بها سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م .

(١) الجبرتي : ج ٢ ص ١٩٦ .

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٣٧٠ .

(٣) بيع القرون : قرية بين دشنا وقنا وكانت ذات إيراد وافر وأراضي خصبة وقد ذكرها الجبرتي باسم بيع القرون .

وقد درست هذه القرية والقب في تاريخ سنة ١٢٣١ هـ .

مصدر رزقي :

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد علماء المصريين إلى سنة ١٦٤٥ القسم الأول البلاد المقدسة مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٣/١٩٥٤ م .

علاقة الهوارة بالماليك

وقد كانت علاقة الهوارة بالماليك علاقة عدائية (١) شأنهم في ذلك شأن سائر العرب القاطنين في مصر ، فقد أنف العرب من الخضوع لدولة الماليك بمصر ووصفوا السلطان إيبك أول سلطان مملوكي بأنه مملوك قد مسه الرق وقالوا عن الماليك بوجه خاص :

إنما هم عبيد للخوارج أي للأيوبيين .

وقالوا أيضا :

نحن أصحاب البلاد ونحن أحق بالملك من الماليك وكفى انفسا خدمنا بنى أيوب وهم خوارج خرجوا على البلاد (٢) ويقصد بالخوارج الذين خرجوا على الدولة الفاطمية وأزالوها وقد بدأت مشكلة كراهية العرب للماليك وثورتهم المستمرة ضدهم منذ بداية العصر المملوكي حتى نهايته .

والعامل الأساسي في ثورات العرب هو الكراهية العنصرية للماليك .

الذين مسهم الرق ويمتدد العرب أنهم أرفع مكانة من هؤلاء الماليك وانهم الأولى بالحكم والولاية (١) .

وقد اشتد خطر العرب في الصعيد وقاموا بثورة عارمة في سنة ١٣٠١/٧٠١ م في منفلول وقد أخذ الماليك هذه الثورة بنفسه بالغ مما أدى الى كسر شوكة العرب .

وان كانت حركاتهم وثورتهم وتمردهم لم ينقطع فإن ذلك لم يمنع يتخذ شكلا سياسيا وانما اتخذ صورة اقتصادية فكانوا يتطردون في نهب الفلال وسلبه المواشي وأحيانا يدفعهم الضيق الاقتصادي الى الامتناع عن دفع الخراج والضرائب المقررة عليهم ومن هذا النوع كانت حركة ابن الأحمد شيخ قبيلة عرك في الصعيد سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م .

(١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور :

المجتمع المصري في عصر سلاطين الماليك . الناشر دار النهضة العربية سنة ١٩٦٢ طبعة أول ص ٥٢ القاهرة .

(٢) إبراهيم علي طرخان :

مصر في عصر دولة الماليك المراكسة ١٢٨٢/١٥١٧ . القاهرة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٠ ص ٣٦٧ .

ومن هذا النوع أيضا كانت حركات الهوارة التي قاموا بها ضد السلطات المملوكية منذ نزولهم الصعيد .

فيالغرم من أن السلطان برقوق هو الذي أنزلهم الصعيد قبيل سيطنته واقطعهم الاقطاعات الوافرة فانهم ثاروا أكثر من مرة .

ففي سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٩٦ م تار الهوارة في الصعيد مطالبين بمنع ارسال القود (*) المطلوب منهم وقتلوا نائب الوجه القبلى (١) واتجهوا الى أسوان واضطروا واليها الى الفرار (٢) وظلوا كذلك حتى استطاع السلطان برقوق اخضاعهم والقضاء على تمردهم .

وللتحد من قوة الهوارة ومنع تكرار ثوراتهم استعان بهم السلطان برقوق كمجاربين في جيشه سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م .

ومع ذلك . . استمر الهوارة يحاولون التمرد ويشتركون في الأحداث السياسية الجارية حسبما تتطلب مصالحهم .

ففي عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م استال الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى عرب هوارة للتمرد ضد السلطان برقوق فوافقوه خدمة لمصلحتهم واشتركوا معه في تمرده ضد السلطان (٣) .

(١) عن القود الفارص ١٢ من الكلمة .

(٢) أدت ثورات الهوارة في الصعيد الى جانب الاخطار التي مهدت البلاد من الجنوب الى أن ينشئ السلطان برقوق نيابة للوجه القبلى اسوة بالوجه البحرى الذى كان هذه الوظيفة مستحدلة بالنسبة له ايضا فى عصر دولة المماليك الجراكسة . ففى الدولة الأنباينة لها أى دولة المماليك البحرية . كان يوجد كاشف للوجه البحرى يمتد نفوذه على جميع أقاليم الدنيا وآخر للوجه القبلى يمتد نفوذه على جميع أقاليم الصعيد وجرى الاصطلاح جسيمية هذا الكاشف والى الولاية وتمتع بنفوذ كبير .

ولم يكن هناك سوى مدينة الاسكندرية التى كان لها نائب للسلطان بسبب كثرة عدوان الفرنج عليها وبسبب كثرة عند الجاليات الأجنبية بها لأنها غدت ثغر مصر الأول منذ سنة ١٣٦٥ م ما تطلب لصلتها قسما خاصا من العناية الادارية .

والبحر أيضا كان يمكنها نائب للخوف من كثرة الأعراب بها وما يقومون به فيها من فتن وثورات بين آن وآخر .

د . سعيد عبد اللطيف عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٣) د . حكيم أمين عبد السيد قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢٠ .

(٤) جمال الدين أبو المعاصين يوسف :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٥٠ ج ١١ ص ٣٥٣ .

وكانت أهم حركات التمرد التي قام بها الهوارة في العصر المالكي تلك التي وقعت في سنوات ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ (٢) م في عهد السلطان جقمق (٨٤٢/٨٥٧ هـ / ١٤٣٨/١٤٥٣ م) .

عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ حينما تمرد أولاد عمر

عام ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م

حيث اشترك الهوارة مع شيخ قبيلة عرك بالصعيد في التمرد ضد السلطان (٢) .

وبالرغم من مواجهة الماليك لهذا التمرد بكل قسوة وشدة عاد الهوارة الى التمرد في العام التالي سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م وطردها نائب الوجه القبلي برسباي وأحمد الماليك تلك الحركة أيضا بكل قسوة وشدة فقد أمر السلطان بقطع رأس يونس بن عمر أمير هوار (٣) الصعيد حينئذ وكل بأقاربه تنكيلا قاسيا .

ورغم استعمال الماليك لأشد وسائل العقاب بالنسبة للهوارة المتمردين فإن الهوارة لم ينقطعوا عن التمرد فثاروا أكثر من مرة ثاروا في سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م .

وقد انتقم منهم الماليك في هذه المرة شر انتقام اذ أرسل لهم السلطان قايتباي (٨٧٢ هـ : / ١٤٦٧/٩٠١ م / ١٤٩٥ م) حملة بقيادة الأمير أقبردى الدودار الذي شنتهم وبألف في تعذيبهم حتى انه دفن الكثيرين منهم أحياء وعاد بكثير من الأسرى وباعهم في أسواق القاهرة بيع الرقيق (٤) .

واستمر تمرد الهوارة على الماليك حتى أواخر العصر المملوكي ففي سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ قام الهوارة بأعنف حركات التمرد ورفضتوا ارسال الغلال والأموال المطلوبة منهم (٥) .

وقد أدى تمرد الهوارة المستمر وثوراتهم الدائمة ضد الماليك الى اتساع جو من عدم الثقة بين الماليك والهوارة بدا ذلك واضحا .

(١) المافظ محمد السخاوي :

النبر المسبوك في ذيل السلوك . يولاى سنة ١٨٩٦ م ص ١٩٩ .

(٢) ابن اياس بدائع الزهور ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) محمد بن حامد الجرجاني : مخطوط تصغير النواحي ج ٣ ص ٩٤ .

(٤) د . ابراهيم طرخان : دولة الماليك الجراكسة ص ٣٦٨ .

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥٤ .

فيما كان من رفض السلطان طومان باي اشتراك الهوارة معه في آخر معاركه ضد العثمانيين زعم حاجته الى مزيد من القوات في ذلك الوقت لانه أحس أن وجودهم بين صفوفه سيمثل شوكة في جنبه تؤرقه أكثر مما يؤرقه جهاده ضد العثمانيين (١) *

وبالرغم من جو عدم الثقة الذي كان بين طومان باي والهوارة فقد اضطر طومان باي الى اللجوء الى الهوارة بعد دخول السلطان سليم القاهرة وطلب مناصرتهم له ضد العثمانيين في مقابل اعفائهم من الخراج لمدة ثلاث سنوات *

ولكن الهوارة أبوا مناصرته وقالوا :

(قد بلغنا أن الروم نقاتل بالنار ومن يطبق النار فانتني راجعا) (٢)
فقد خشي الهوارة مناصرة طومان باي لئلا يكون ذلك سببا للعداء بينهم وبين العثمانيين وتعرضهم لغضبهم وتمثل ذلك في قول أميرهم علي بن عمر للسلطان طومان باي عندما لجأ اليهم طالبا إيواؤه ومساعدته *

. (لا تؤوى من عصي السلطان لئلا نبثلي ببلائه) (٣) *

وقد حفظ السلطان سليم لأبناء عمر هذا الجميل فأبقاهم في حكم الصعيد (٤) *

علاقة الهوارة بالعثمانيين

وقد عقد العثمانيون مع القبائل العربية اتفاقات Treaties (٥) أقروا فيها سيادة شيخ تلك القبائل على المناطق التي كانت لهم السيادة فيها من قبل في العصر المملوكي ، وذلك مقابل تعهد هؤلاء الشيوخ بحفظ الأمن وتنفيذ الزراعة وجمع الضرائب ، وفي مقابل ذلك اعترف العثمانيون بمراكز تلك القبائل وتركوا له حرية التصرف في أراضيها ومن هذه القبائل كانت قبيلة الهوارة وقد أشار ابن زنبيل الى ذلك بقوله :

(١) د. ابراهيم طرخان : دولة المالك الجراكسة ص ٣٦ *

(٢) أحمد بن زنبيل الرمال : تاريخ السلطان سليم مع السلطان ناصرهم الفوري القاهرة سنة ١٢٧٨هـ ص ٤١ *

(٣) محمد بن حامد الجرجاني : مخطوط تصدير النواحي والأراجيح ١ ص ٢٨ *

(٤) Holt (P.M.) The pattern of Egyptian political history from 1517-1788 in political and social change in Modern Egypt. p. 81.

(٥) Shaw : The financial and Administrative organization, p. 13.

(خلع السلطان سليم بعد دخوله القاهرة على شيخ العرب حماد شيخ عرب غزالة باقليم الجيزة وجاء اليه الأمير على بن عمر شيخ هواة فخلع عليه بأمرية الصعيد بمدينة جرجا وخلع على علم الدين شيخ بنى عدى وكتب لهم التواقيع بذلك وخلع عليهم وانصرفوا) (١) •

وقد كانت علاقة الهوارة بالعثمانيين ودية للغاية فى عهد السلطان سليم وابنه سليمان ؛

وقد بلغ من طيب العلاقات بين الطرفين ان الأمير على بن عمر شيخ الهوارة وحاكم الصعيد ، أرسل هدية حافلة للسلطان سليم سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م بلغ من أهميتها انها قدمت للسلطان بعد تقديم هدية خاير بك وضاحب اليمن •

وكانت هدية حافلة حوت مائتى قنطار سكر ، رقيقا ما بين عبيد وجوار ، وخيل وجمال وغير ذلك •

وقد أرسل الأمير على بن عمر هذه الهدية مع رسول خاص من طرفه (٢) •

وقد سر السلطان سليم من هذه الهدية وأعاد الرسول محملا بهدية حافلة منه للأمير على بن عمر وكانت هدية السلطان تشتمل على ملابس فخمة (قفازين) مع مرسوم بإستمرار الأمير على فى حكم الصعيد فعظم شأن الأمير على بهذه الهدية وهذا المرسوم •

وفى عام ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠م أرسل الأمير على بن عمر أيضا هدية حافلة للسلطان سليم قيل انها قومت بستين ألف دينار (٣) •

وقد أقر السلطان سليمان بدوره الأمير على بن عمر على حكم الصعيد فأرسل له سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١م قفطان حرير ومرسوم شريف بأقراره على مركزه واستمراره فيه •

وقد عظم شأن الأمير على بن عمر فى عهد سليم وسليمان ورأى فى دولتهما من العظمة والعز والجاه والمال ما لم يره أحد من أجداده ولا أقاربه (٤) •

(١) أحمد بن زبيل الرمال : تاريخ السلطان سليم ص ١١٤

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٦٨

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٨٤

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٥٥

ولكن العلاقات سبّأت بعد ذلك بين الهوارة والعنبايين فعزل
العشمانيون الهوارة من حكم الصعيد سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٦ م وعهدوا
بالحكم فى الصعيد الى أحد بكوات الماليك وهو سليمان جنبلاط (١) .

وقد ذكر على مبارك (٢) أنه رأى المرسوم الذى تضمن ذلك فى
كتاب لم يستطع الوقوف على اسمه ولا اسم مؤلفه .

وقد ذكر المرسوم : ما كان للهوارة من سيطرة على الصعيد مقابل
تعهدهم بجمع المال والغلال المقررة للدولة وتقديمها اليها وكيف أهمل
الهُوارة فى أداء تلك المهمة ، وقصروا فى تحصيل الخراج اللازم وظلموا
أهل الصعيد ونهبوا أموالهم وأنانهم ولم يهتموا بعمارة الجسور ولا بشئون
الزراعة . لذا غضبت عليهم الدولة وأمرت بمنعهم من حكم الصعيد
وعهدت به لأمرء الماليك .

وهكذا فقد الهوارة ما كان لهم من سيطرة ونفوذ فى الصعيد
نتيجة لمودتهم لسياسة التمرد وقطع الأموال والغلال المطلوبة منهم تلك
السياسة التى مارسوها من قبل فى العصر المملوكى والتى كانت الطابع
المميز لجميع العرب فى مصر .

وعند ادخال نظام الالتزام الى الصعيد فى الربع الأول من القرن
السابع عشر (٣) سيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضى الصعيد
عن طريق شيوخهم على مناصب المتزمين فى الصعيد ، فلم يكن فى
الصعيد حينذاك من هم أغنى من الهوارة ولا من هم أكثر عصبية قبلية
منهم ، لذا كان من الطبيعى أن يسيطر الهوارة على أراضى الصعيد
بالالتزام ، وقد كان الهوارة من الفئات التى سمح لها بأخذ التزام
الأراضى الزراعية منذ بداية ادخال هذا النظام الى مصر (٤) .

وبسيطرة الهوارة على معظم أراضى الصعيد بالالتزام عادت اليهم
السلطة والسيطرة على الصعيد ولكن فى ظل الادارة المملوكية العشوائية
وتابع الهوارة سياستهم فى التمرد على السلطات الحاكمة ومحاولة
الاجتناع عن تقديم المطلوب منهم من أموال وغلال .

(١) Vansleb : The present State of Egypt, p. 81.

(٢) على مبارك : الخطط الترفيقية ج ١٠ ص ٥٣ الى ٥٥ .

(٣) Shaw : The financial and administrative organization .

(٤) حسين أفندى الروزنامى ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية لشر
وتحقيق : محمد شفيق غربال مجلة كلية الآداب للجلد الرابع الجزء الأول مايو سنة ١٩٣٦ .
الباب السابع السؤال الأول فى تعريف التزام المتزمين ص ٣٦ .

ففى عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م تمرد الهوارة على بك جرجا عبد الرحمن^١
بك (١) وعصوه وامتنعوا عن دفع الأموال والغلال المطلوبة منهم^٢.

فأصدر الياشا أمره بمحاربتهم وأرسل لهم حملة ضمت عددا من
البيكات الماليك مثل ابراهيم بك الصغير ، وحسن أغا بلغيا ومبصطفى
كتبخدا القازدوغلى ، انضمت تلك الحملة الى قوات عبد الرحمن بك الذى
تولى القيادة وقد صحب تلك الحملة هوارة بحرى ورجال الأمير حسن
الاخميسى حاكم اخميم ومنافس الهوارة على السيطرة على الصعيد .

وقد انتهت الحملة بهزيمة الهوارة ونهب عبد الرحمن بك لأموالهم
وقتل لرجالهم ، وهرب الهوارة الى الجبل ودخل عبد الرحمن بك الى
فرشوط مقر الهوارة ومقلهم الرئيسى ووضع يده على ما فيها من مخازن
غلال ، وحاول بالاتفاق مع مجموعة من امراء مصر حرمان الهوارة من
أراضيهم بتحويلها بالالتزام الى حيازته هو مع هؤلاء الامراء شركة
وكتبوا للدولة يطلبون ذلك .

ولكن هذا الأمر لم يتم لغزل عبد الرحمن بك من ولاية جرجا
حيث انتقم منه الهوارة بمطالبتة بما خسروه أثناء حملته عليهم واثاروا
ضده زملاءه المنافسين له حتى قتلوه .

ولما ضعف سلطان العثمانيين بمصر وسيطر الماليك على مقاليد
الأمر أخذ بك جرجا وحاكمها يتجه ببصره الى القاهرة ويهتم بحوادثها
السياسية أكثر من اهتمامه بأمور الصعيد ، وأصبح الوجه القبلى حيث
ديار الهوارة منفى وملجأ لكل الأسراء الماليك المهزومين أو المنفيين
واتباعهم ، وكان هؤلاء فى حاجة لسواعد الهوارة وأموالهم ليستعينوا
بهم على هزيمة منافسيهم بالقاهرة فبدأ النفوذ يسود الى الهوارة وبدأ
الهوارة يتدخلون من جديد من الأحداث السياسية الجارية وفقا لما تمليه
عليهم مصالحهم كما كانوا فى العصر المملوكى فائناء وقوع الصراع بين
الفقارية والقاسمية سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م هرب محمد بك جركس
القاسمى الى جرجا ليعيد تنظيم صفوفه فأرسل له منافسه الأمير ذو

(١) عبد الرحمن بك :

أصله كاشف الشرقية وقد اشتهر بالفرسية والشجاعة . تولى ولاية جرجا سنة
١١٠٧هـ / ١٦٩٥م حيث عصاه الهوارة عن دفع المال والغلال المطلوبة منهم فخاربهم ومزدهم
ثم عزل من ولاية جرجا سنة ١١١٢هـ وانتهى الأمر بتأليب الهوارة لزملاء عبد الرحمن
وتحريضهم على قتله حتى تم لهم ذلك سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م .
الجبرى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠١ .

المقار بك حملة لمحاربته فاستعان جركس بالهواره وباقي عربان الصعيد وهزم حملة القاهرة عند البهنسا (١) .

وفي تلك الفترة أيضا حرب أحمد بك الأسر الى الهواره محتما بهم فيبقى عندهم ليعيد تنظيم صفوفه وعندئذ هزمت فرقة القاسمية سنة ١١٤٩ هـ / ١٧٢٩م التجأ الكثيرون من رجالها الى اكابر الهواره ببلاد الصعيد ليستعينوا بهم على استعادة ما كان لهم من نفوذ (٢) .

وفي عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م فر عثمان بك المقارى (٣) الى الصعيد بعلم صراعه مع ابراهيم جاويش بسبب تنافسهما على رئاسة مصر وعندما تذكر على بك الكبير لصديقه صالح بك القاسمي فر الأخير الى الصعيد واستعان بالهواره وعلى رأسهم شيخ العرب همام بن يوسف الذى قدم اليه كل ما كان يحتاج اليه من ذخيرة ومؤن وتقدم بها واستولى على المنيا وطرد منها اتباعا على بك .

وعلى بك الكبير نفسه عثما أخرجه زملاؤه منفيًا من القاهرة الى النوبيات بالوجه البحرى حرب الى الصعيد حيث لجأ الى حمى الشيخ همام طالبا منه أن يصلح بينه وبين زميله صالح بك القاسمي حتى يقبل العودة معه الى القاهرة لمساعدته فى اقضاء منافسيه عنها وفعلًا قسام الشيخ همام بالوساطة بينهما واستطاع اقناع صالح بك القاسمي - (الذى كان على بك قد غدر به قبل ذلك بقليل) - بالانضمام الى صفوف على بك وقدم لهما هنام الهدايا والأموال والرجال لمساعدتهما على استخلاص القاهرة من اعداء على بك (٤) .

وعندما غضب محمد بك أبى الذهب من سيده على بك الكبير فر الى الصعيد وذهب الى الهواره واسترضاهم - (لأنه سبق أن حاربهم فى عهد الشيخ همام) ليتمكن من ضمهم الى صفوفه وقبل الهواره ذلك لانهم رأوا فى هذا الانضمام لصفوف محمد بك أبى الذهب فرصة لاستعادة ما كان لهم من نفوذ خبا بعد وفاة همام فانضموا الى صفوف محمد بك وساعدوه فى نضاله ضد على بك (٥) .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٣ .

(٤) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٥٦ .

(٥) اسماعيل الحشاب : مختلوط تاريخ حوادث وقصص بصر من سنة ١١٢٠ هـ ١٧٠٨م الى دخول الفرنسيين ص ٧٧ .

هكذا وجد الهوارة في مساندة الأمراء المماليك اللاجئين الى الصعيد فرارا من وجه منافسيهم ، فرصة لاستعادة نفوذهم قاهتموا بالأحداث السياسية التي تجرى في القاهرة وغدوا بذلك قوة كبيرة ترجع الكفة التي تنضم اليها وبدا هذا واضحا في عهد الشيخ همام بن يوسف الذي انتهت اليه زعامة الصعيد في النصف الاول من القرن الثامن عشر وحوالي العشرين عاما من النصف الثاني وقد ظل الهوارة يشتركون في الحياة السياسية بتأييدهم فريقا من الحكام ضد آخر حتى عهد مراد بك وإبراهيم بك (١) ولكن بصورة أضعف وأقل تأثيرا عما كان لهم في عهد همام .

وهكذا نجد أن الهوارة تابعوا في العهد العثماني نفس السياسة التي كانوا يتبعونها في العهد المملوكي من تدخلهم في الأحداث السياسية وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم ، وتابعوا أيضا سياسة التمرد والامتناع عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم للسلطات الحاكمة . وبدا ذلك واضحا من الهوارة في القرنين السابع عشر والثامن عشر م حيث كان سلطان العثمانيين بمصر قد ضعف .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٢ ، ١٥ ، ٢١ -

علاقة الهوارة بالقبائل العربية الأخرى

فى الصعيد

كان استقرار الهوارة فى الصعيد ومحاولتهم السيطرة عليه على غير رضا من القبائل العربية الأخرى القاطنة به والتي كان لها نفوذ واسع مثل أبناء (١) الكنز الذين ناصبوا الهوارة العداء فهاجم الهوارة مقرهم فى أسوان وأقصوهم عنها سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م (٢) ودفعوا بهم الى التوبة وابقصاء الهوارة لأبناء الكنز عن أسوان تخلصوا من أقوى منافس لهم على سيادة المناطق الجنوبية من الصعيد .

وقد كان للهوارة منافس آخر قوى فى الصعيد كانت تمثله أسرة الاخميمى وهى أسرة من اصل عربى أخذت لقب الاخميمى نسبة الى اخميم التى أخذ رجالها التزام أراضيها وكانت لهم السيطرة على منطقة اخميم ونواحيها (٣) .

وقد كان أشهر رجال هذه الأسرة فى القرن الحادى عشر هجرى السابع عشر الميلادى الأمير حسن الاخميمى الذى ناصب الهوارة العداء

(١) من أبناء الكنز انظر ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) أحمد بن على المقرئى :

الخطط القريزية المسماة بالوافظ والاعتبار يذكر الخطوط والآثار مكتبة احياء العلوم

لبنان سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ٣٣٧ .

(٣) Bruce (J.) : Travels to discover the source of the Nile
in the years 1768-1769-1770, The second edition, London, 1809,
Vol. 2 p. 8,

وصاحب حملة عبد الرحمن بك (١) عليهم سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م واشترك في تخريب بلادهم ونهب أموالهم ولعل السبب في معاداته للهوارة حينئذ شعوره بمتافستهم له في السيطرة على التزامات الأراضى في جرجا فقد بدأ الهوارة يسيطرون على أراضى جرجا ابتداء من سنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م (٢) حيث ظهر اسم الشيخ حمد محمد همام جد الشيخ همام يوسف كملنزم لأراض واسعة امتدت من المنيا الى أسوان بالإضافة لمجموعة أخرى من رجالات الهوارة مثل الشيخ همام يوسف والد الشيخ أحمد محمد همام الجد الثاني للشيخ العرب همام يوسف وأقاربه مثل حسين أبو بكر - وعبد الكريم أبو بكر همام ، وحافظ أحمد همام .

وقد كان الأمير حسن الاخميمى حينئذ من أعظم الملتزمين العرب في الصعيد .

وقد امتدت التزاماته في اخميم وتوابعها وطهطا ، وشبنويل ، طوخ الجبل ، شرق المرج البحري ، القبلى ، المراغة ، شنهو بلصفورة وأجزاء من ادفا وبني مزار - الروافع - خلجان - بنى سحيم (٣) .

فمن الطبيعي أن يخشى الأمير حسن الاخميمى ورجاله نمو سيطرة الهوارة على أراضى جرجا ومن الطبيعي أن ينضم الى أعدائهم وقد حفظ له الهوارة مصاحبته لحملة عبد الرحمن بك عليهم واشترائه معه في نهب ممتلكاتهم ، وقاموا بعمل مماثل لهذا بمهاجمتهم لخميم مقر الأمير حسن في عام ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م أثناء أحداث فتنة الفرنج أحمد .

فقد نجح الهوارة في اقناع محمد بك الكبير حاكم جرجا وقتلها بتكليف صديقه أيوب بك وهو كان ممن تسبب في إثارة فتنة الفرنج أحمد (٤) وتولى قيادتها معه بالحصول على فرمان من الباشا بقتل الأمير حسن وأولاد أخيه وضرب اخميم وجعلوا هذا ثمنا في مقابل ذهابهم معه

(١) الفيح على بن محمد الشاذلى القرا : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة . تحقيق ونشر د. عبد القادر طليمات : المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ص ٣٥٨ .

(٢) دلائل التزامات الولايات القبلية بالقلمة بدار المخطوطات دفتر رقم ١٨ لسنة ١١٠٥ هـ عين ٣ مخزن تركى .

(٣) دلائل التزامات الولايات القبلية بالقلمة بدار المخطوطات دفتر رقم ١٠٥ لسنة ١١١٤ هـ عين ٣ مخزن تركى .

(٤) سننأول فتنة الفرنج أحمد بالتفصيل في الفصل الدال عند الحديث عن علاقة الهوارة بهاكم جرجا .

الى القاهرة واشتراكهم معه فى فتنة افرنج أحمد ومناصرته بأموالهم
ورجالهم (١) .

وفعلا وافقهم محمد بك على ذلك ووافق طلب الهوارة هوى فى نفس
أيوب بك الذى كان يشغل منصب شيخ انبلد حينئذ والذى كان شريكا
لافرنج أحمد فى حركته (٢) .

لأن أيوب بك كان بينه وبين الأمير حسن الاخميمى عداوة فوجد لها
فرصة للانتقام منه وفعلا استصدر فرمان المطلوب من الباشا وقام محمد
بك والهوارة بهاجمة اخميم ونهبها وقتل الكثيرين من رجال الاخميمى
وأتين من اولاد أخيه ولحسن حظ الأمير حسن فانه كان فى القاهرة فلم
يصب بشئ .

ولكن العداة بين الطرفين لم يقف عند هذا الحد فعندما انتهت أحداث
فتنة افرنج أحمد سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م وهزم محمد بك حاكم
جرجا (٣) فر الى الصعيد وبصحبته الهوارة الذين عادوا ثانية الى اخميم
وقتلوا ما بها من كشاف الأمير حسن ونهبوا بلاده وأوقعوا به وبأسرته
خسائر فادحة .

وقد استمر الصراع بين الأمير حسن والهوارة فترة أخرى قام فيها
الأمير حسن الاخميمى بمصاحبة حملة محمد بك قطامش على الهوارة فى
عام ١١٣ هـ / ١٧١١ م بعد (٤) انتهاء فتنة افرنج أحمد وقد خرجت تلك
الحملة من القاهرة لمقابلة الهوارة لاشتراكهم فى تلك الفتنة وما أحدثوه من
تخريب خلالها وقد انتهت الحملة بهرب الهوارة الى الجبل ونهب أموالهم
وضياعهم وقد انتقم منهم الأمير حسن حينئذ شر انتقام .

ولكن الهوارة الذين أخذوا الأمان بواسطة صديق لهم من الأمراء
المماليك هو إبراهيم بك أبو شنب وتم العفو عنهم وعادوا لسابق عهدهم
حفظوا للأمير حسن ورجاله هذا العمل وسعوا لدى حكومة القاهرة حتى
أفلحوا فى أن يستصدر حاكم جرجا الجديد عن سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م
وهو على بك الأرمنى فرمانا بمحاربة الأمير حسن وهنا هرب الأمير حسن

-
- (١) مصطفى إبراهيم عزبان : تاريخ وقايع مصر القاهرة كثانة الله تعالى فى أرضه
نسخة منقولة عن النسخة التيسورية دار الكتب برقم ٤٠٤٨ ص ٦٧ .
(٢) على بن محمد الشاذل الفراء : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر الموحدة القاهرة
ص ٣٥٥ نشر عبد القادر طليمات .
(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٦ .
(٤) مصطفى إبراهيم عزبان : مخطوط تاريخ وقايع مصر القاهرة ص ١٥١ .

للجبل (١) وقد استمر العداء بين الطرفين فبعد سنوات ذهب الأمير أحمد كمالى الأخميسى الى القاهرة ليسترضى سلطات الحكم فيها ولينتقم من الهوارة وأفلح عن طريق الاتفاق مع حسين بك الخشاب الذى تولى حكم جرجا حينئذ سنة ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م (٢) على أن يتفق مع الباشا على البطش بالهوارة على أن يقوم الأمير كمالى بتسديد حلوان بلادهم للباشا وفعلوا قامت حملة من القاهرة لهذا الغرض وقد انضم اليها الأمير كمالى هو ورجاله وهوارة بحرى ولكنها انتهت بالصلح بين الهوارة والأمير كمالى وعادت الحملة ثانية الى القاهرة .

وقد وقع هذا الصلح غالباً لشعور الأمير أحمد كمالى الأخميسى بأنه وإسرته يقودون معركة خاسرة ضد فريق ستكون له الغلبة وسيستأق نجه وهو فريق الهوارة الذين كان يتزعمهم حينئذ شيخ العرب همام ابن يوسف الذى كان قد بدأ فى الزحف على التزامات أراضى الصعيد وكانت كل الأدلة حينذاك تشير الى عظمته المستقبلية وقد عاصر الشيخ همام آخر عهد أسرة الأخميسى وكان من أشهر رجالها فى عهده الأمير محمد كمالى بن أحمد كمالى الأخميسى والأمير عيسى كمالى الأخميسى آخر الملتزمين الكبار من هذه الأسرة والذى استولى همام على أراضيه فى عام ١١٦٩ هـ // ١٧٥٥ م باذن من الدولة (٣) .

وقد انقضت أسرة الأخميسى من الصعيد كما ذكر الرحالة Bruce (٤) أثناء حديثه عن زيارته لأخميم سنة ١٧٦٩ م فى طريقه الى فرشوط لمقابلة الشيخ همام بن يوسف انذى ذكر عنه أنه قد استولى على أخميم بعد انقراض أسرة الأخميسى ويؤكد هذه الحقيقة أن دفاتر التزام الولايات القبلية بالقلعة قد أوضحت أن الشيخ همام واصل زحفه على اراضى أسرة الأخميسى وأن آخر افرادها وهو الأمير عيسى كمالى قد اختفى نهائياً من دفاتر الالتزام منذ عام ١١٧٠ هـ // ١٧٥٦ م (٥) وستتناول زحف الشيخ همام على اراضى أسرة الأخميسى بالتفصيل فى الفصل الرابع .

هكذا رأينا كيف أفلح الهوارة فى القضاء على كل سيطرة للقبائل العربية الأخرى التى كانت لها السيادة من قبل الهوارة على الصعيد وخلا

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٦٦ .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية . دار المخطوطات بالقاهرة . دبر رقم

٤٣٣ ص ١١٦ عين ٦ مخزن تركى .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 8, (٤)

(٥) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلعة دفر رقم ٤٤٤ لسنة ١١٧٠ مخزن

تركى .

الجو للهوارة الذين مضوا يبتون قوتهم وينهون ثرائهم ويسيطرون على الصعيد .

وقد قدرت الدولة قوة الهوارة فاستخدمتهم في القضاء على القبائل العربية الأخرى في الصعيد والتي كانت تتمرد عليها كما حدث عندما كان عبد الله بن وافي شيخ عربان المفاربة يقوم بالتهب والسلب ويظلم الفلاحين هو وعربانه وينشر الفساد فأرسلت له الحكومة حملة لمحاربته سنة ١٠١هـ / ١٦٨٩ م فانتصر عليها وتكرر تمرد ابن وافي وإخلاله بالأمن ، وتكررت حملات الدولة إليه بلا جدوى وكان عندما تضيق الحكومة الخناق عليه في الصعيد يهرب إلى الوجه البحري متجولا في أنحائه ونائرا بها الذعر والتخريب يعتدى على الملتزمين والفلاحين وينهب أموالهم ويسلب ما في أيديهم حتى أغضب الدولة أشد الغضب فأرسل السلطان مرسوما للباشا سنة ١١٠هـ / ١٦٩٨ م بمحاربة ابن وافي بكل شدة وبارسال حملة جديدة إليه وفعلا خرجت إليه في العام السابق حملة بقيادة أيواظ بك الذي أوقع به الهزيمة ففر إلى البحيرة حيث تلقاه حاكمها وقتل رجاله وأخذ أمواله فاضطر إلى العودة إلى الصعيد حيث أغرى به عبد الرحمن بك حاكم جرجا الهوارة فاحتاطوا به ونهبوا أمواله وجماله ففر أمامهم فتابعوه حتى منفلوط (١) حيث هرب إلى الفيوم وتشتت شمله وانتهى أمره بالفرق مع مجموعة من رجاله .

(علاقة الهوارة بالفلاحين في الصعيد)

مع أن الهوارة استغلوا بالفلاحة وشابهوا الفلاحين إلى حد كبير ، فإن مركزهم الاجتماعي كان أعلى مستوى من مركز الفلاحين ، وكان ينظر إليهم كذلك لأن معظم التزامات أراضي الصعيد كانت في أيدي شيوخهم .

وبصفة عامة كانت العلاقة بين الهوارة والفلاحين علاقة طيبة ، فالملتزم من الهوارة بما كان له من عصبية قبلية قوية كان أقدر على حماية فلاحيه من هجمات القبائل العربية الأخرى بعكس ما كان يحدث مع ملتزمي أراضي الوجه البحري ، فما أكثر ما تعرض الفلاحون هناك لهجمات عربان البحيرة وعربان الشرقية الذين كانوا ينهبون غلالهم ويأخذون أموالهم ومن ذلك ما كان من استبعاد أبناء عبد الدائم بن بقر - من عرب الشرقية - بفلاحي الشرقية وما حولها فما أكثر ما هاجم أبناء عبد الدائم الفلاحين هناك ونهبوا مواشيهم وأغنامهم بل لقد وصل بهم الأمر في بعض الحالات

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٥٩ .

الى نهب حلى نساء الفلاحين وقتل ما لا يحصى عدده من رجالهم (١) وغير ذلك كثير .

وكان هناك نوع آخر من العرب الذين اتخذوا الزراعة حرفة لهم ، ولكنهم لم ينزلوا بالرغم من ذلك عن عاداتهم القديمة ، وخصوصا الحصول بالاكراه على ما يأبون الحصول عليه بكدهم فهم يستجودون عنوة على أجود الأراضى ويحولون مياه الرى . ويقطعون الجسور فى الوقت الملائم لهم غير عابئين بمصالح جيرانهم من الفلاحين المصريين ، ووصل الحد بهؤلاء العرب المستغلجين الى أنهم كانوا يسلبون حاصلات القرى المجاورة لهم بدون مبالاة وذلك كلما قصرت حاصلاتهم عن الوفاء بحاجاتهم (٢) .

وفى بعض الأحيان ومحاولة لإبعاد خطر هؤلاء العرب عن الفلاحين حاول الحكام وضع بعض القرى فى حماية بعض هؤلاء العرب المستغلجين لحمايتهم من هجمات الاعراب المتنقلين ولكن تلك الحماية لم تجد شيئا ، فقد كانت هذه القسرى تتعرض لظلم ونهب هؤلاء الحماة الذين كانوا لاترجعهم عن طبيعتهم موانيق ولا عهود (٣) .

أما فلاحو الصعيد فقد توفرت لهم فى عهد سيطرة الهوارة حماية كبيرة فقد سلبت سيطرة الهوارة مختلف القبائل العربية المقيمة فى الصعيد النفوذ الذى بسطته نظيراتها على الفلاح فى أنحاء القطر الأخرى .

وقد كان العاملون فى الأرض فى الصعيد فريقين :

الفريق الأول : وهم من أبناء قبائل الهوارة أنفسهم وهؤلاء كان ينظم علاقاتهم بملتزمى الهوارة ، عاداتهم القبلية التى لم تكن تسمح لهؤلاء الملتزمين بايقاع أى نوع من الظلم أو القبح على فلاحهم من أبناء قبيلتهم .

الفريق الثانى : وهم الفلاحون المصريون أى أبناء البلاد الأصليين وهؤلاء تمتعوا بحماية الهوارة ، فمارسوا أعمالهم فى اطمئنان وأمن لم يعرفهما أمثالهم فى الوجه البحرى ، وقد كانت تلك الحماية أهم شئ فى نظر الفلاح وقتئذ إذ كانت هجمات الاعراب أشد وأقسى عليه من أى ظلم آخر يمكن أن يقع عليه من السلطات الحاكمة بزيادة الضرائب والمقارم .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ ج ٣ ص ٥٤ .

(٢) Girard (P. S.) : Mémoire sur l'Egriculture ... in description de l'Egypte Vol. XVII, p. 44.

(٣) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٥٤ .

الفصل الثانى

الصعيد أو ولاية جرجا

التقسيم الإدارى لمصر فى العصر العثمانى
- من كثر جرجا فى هذا التقسيم - المفهوم
العثمانى لمعنى ولاية فى مصر - تطور جرجا
الى ولاية كبيرة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م حدودها
الهدف من تكوينها - أهميتها - سلطات
حاكمها .

الصعيد أو ولاية جرجا

انقسمت أرض مصر منذ العصور القديمة الى قسمين رئيسيين استقرت حدودهما تقليديا طبقا للاعتبارات الجغرافية والتاريخية .

فلى الشمال

تقع مصر السفلى أو الوجه البحرى وتشمل :

- ١ - الدلتا التى تحتوى على الأراضى التى بين فرعى النيل (١) والتى تقع على بعد أميال قليلة خلف القاهرة .
- ٢ - الأراضى الواقعة شرق النيل الممتدة الى صحراء سيناء وبها أقاليم الفرعية والقلبوية .
- ٣ - الأراضى الممتدة غرب الدلتا الى الصحراء الليبية مكونة اقليم البحيرة

وفى الجنوب

تقع مصر العليا أو الوجه القبلى أو الصعيد وقد كان العرب (٢) هم أول من أطلق على مصر العليا كلمة الصعيد ، وقصدوا به الأرض التى كلما

(١) كان للتبل فى العصور القديمة عدة فروع وبرزور الوقت وبفعل النخيرات الجغرافية والبيولوجية اندمجت تلك الفروع فى فرعين هما فرع وشيد ، فرع صباط .
(٢) القرينى المخط ج ١ ص ٣٥٤ .

امتدت الى الجنوب آخذت فى الصعود والارتفاع ، وتمتد اراضى مصر العليا على جانبي النيل من جنوب القاهرة الى وادى حلفا •

وقد انقسم كل قسم من القسمين السابقين الى مجموعة من الاقاليم الادارية الصغيرة السهلة ادارته ، وجمع ضرائبه ، والاشراف على شئونهِ •

ولما جاء العرب الى مصر قسموا البلاد الى آكوار (جمع كورة) وكانت الكورة تكبر وتصغر حسب ظروف الزمان والمكان وتفاوت الحضارة والعمران ، ورغبة الحكومة القائمة أو حكام الاقاليم فى انشاء أو إلغاء كل أو بعض الاقسام الادارية السياسية لأغراض خاصة أو عامة •

وكانت مصر مقسمة الى ثمانين كورة قبل حكم الدولة الفاطمية وفي صدرها ، قد أطلق المماليك على الكورة اسم العمل ويرادف كلمة الكورة فى عصرنا الحاضر كلمة المركز ويرادف كلمة العمل المديرية (١) وقد كان لكل عمل مدينة تعتبر قاعدة له ، وكانت كل كورة تشمل عددا من القوى وكل قرية معتبرة وحدة مالية وادارية معا •

وفى عهد المماليك انقسم القطر المصرى الى تسعة عشر اقليما اداريا (٢) كان منها فى الوجه البحرى عشرة أعمال وهى :

القليوبية ، الشرقية ، الدقهلية (المرتاحية) ، دمياط ، الغربية ، المنوفية ؛ وأبيار ، والبحيرة ، قوة التستراوية •

وكان منها فى الوجه القبلى تسعة أقاليم وهى :

الجيزة ، الفيومية ، الأشمونية ، الاخميمية ، الاطفيحية ، البيهناوية ، والأسيوطية ، القوصية ، أسوان •

وكانت أسوان تابعة لعمل قوص ولكنها استقلت وصارت عملا قائما بذاته منذ عهد الناصر محمد (٩٦٣هـ / ٧٤١هـ / ٢٩٣م / ١٣٤١هـ) •

(١) محمد رمزي ، القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٨ •

(٢) د• سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٣٥٨ •

التقسيم الإدارى لمصر فى العصر العثمانى

وقد ورث العثمانيون عن العصر السابق لهم هذا لتقسيم الإدارى وأبقوا عليه بعد ادخال بعض التعديلات .

فى عهد السلطان سليمان القانونى (٩٢٦هـ / ٩٧٤هـ / ١٥٢٠م) أجريت مساحة جديدة للأراضى المصرية فى ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م تلك المساحة سنة ٩٣٣هـ / سنة ١٥٢٦م (١) فى ولاية سليمان باشا الخادم على مصر (سنة ٩٣١هـ / ٩٤١هـ / ١٥٢٤م / ١٥٣٤م) وهى المساحة التى عرفت دفاترها باسم الترابيع (٢) وفيها غيرت كلمة أعمال وكور الى ولاية وولايات وكان استخدام العثمانيين لكلمة ولاية للأقاليم الإدارية فى مصر مرادفا لكلمة ومعنى مديرية أى أن استخدامهم لكلمة ولاية بالنسبة للأقاليم الإدارية فى مصر كان خارج نطاق المفهوم العثمانى العام لكلمة ولاية .

وقد قسم العثمانيون القطر كله الى أربعة عشر ولاية سبع منها فى كل وجه (٣) .

فى الوجه البحرى كانت ولايات :

المنصورة ، الشرقية ، البحيرة ، القليوبية ، الغربية ، المنوفية ، الجيزة

وفى الوجه القبلى كانت ولايات :

الفيوم ، بهنساوية ، أشمونىة ، منفلووط ، جرجا ، أطفيج بالبر الشرقى (٤) ألواح من داخل جرجا أى الواحات .

(١) محمد عبد المطلبى الأسطافى : أخبار الأول فمن تعرف فى مصر من أبواب الدول ، القاهرة سنة ١٣٦٠ هـ ص ١٥٠ .

(٢) الترابيع : قوائم من الورق مربعة الشكل تكتب فيها عملية المساحة فى كل قرية محمد رمزى القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٣ .

(٣) حسين الفتى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية : نشر محمد شقيق غربال بعنوان : مصر منذ مفترق الطرق (١٧٩٨م - ١٨٠٠م) مجلة كلية الآداب المجلد الرابع ج ١ مايو سنة ١٩٣٦ الباب السادس السؤال الأول ص ٣٣ .

(٤) أطفيج : كانت مركز ولاية فى العهد العثمانى ، وكانت تشمل البلاد الواقعة شرقى النيل من ناحية البساتين التى يتركز الجيزة قبل مصر القديمة الى آخر حدود ناحية الشيخ فضل يتركز على مزار بالنديا وقد انضمت أراضي أطفيج الى مديرية الجيزة سنة ١٢٥٧م وسميت مديرية الجيزة وأطفيج ثم انقرض اسم أطفيج محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٧ .

هذا بخلاف محافظات :

الاسكندرية ، رشيد ، دمياط ، السويس ، وهذه المحافظات كان لها وضع خاص ، وكان حكمها خارجا عن اختصاص بكوات مصر ، فقد كان لهذه المدن أهمية خاصة باعتبارها الثغور الهامة التي يمكن منها حماية مصر . لذا احتفظ الباب العالي بحقه في تعيين وإرسال حكامها من استانبول رأسا ، وكانوا في العادة قادة بحريين .

أما الأقسام الادارية الأخرى أى ولايات الوجه البحرى والقبلى فقد عهد العثمانيون بإدارتها الى المماليك وكان حكام الأقاليم الادارية فى مصر العثمانية من رتبتيين :

حكام الأقاليم الادارية الهامة الخمسة وهى :

جرجا ، الشرقية ، الغربية ، المنوفية ، البحيرة . . وهؤلاء الحكام بكوات يحملون رتبة الصنچقية (١) ويأخذون لقب حاكم وكانت هذه المناصب موضع منافسة من أمراء المماليك ، وأهمية هذه الأقاليم ترجع

(١) الصنچقية : كلمة صنچق من التركية سنچاق وهى العلم أو القسم من ولاية كبيرة أو الحاكم على قسم من ولاية ، الصنچقية من أسمى الرتب فى مصر العثمانية وقد أمر السلطان سليم بأن يكون بمصر أربعة وعشرون صنچقا طبلخانة وصنچق يجمع بين مصطلحين مصطلح عثمانى ومصطلح مملوكى فبعض الأمراء فى دولة المماليك كانوا أمراء طبلخانة أى يكسبهم مقامهم أن تدق لهم الطبول ويغيرها من الآلات الموسيقية .

وقد كان من حق السلطان إرسال الصنچاق حكام الثغور مثل الاسكندرية ، دمياط ، السويس ، رشيد ، أما باقى العشرين صنچقا فكانوا يختارون من بين بكوات الممالك فى مصر .

وقد كانت رتبة الصنچقية تؤهل حاملها لشغل الوظائف الكبيرة مثل القضاة الادارية ، اشارة الملح ، وحكم الأقاليم الادارية وقيادة الإمدادات العسكرية المطلوبة للدولة ، وقيادة الحزنة السنوية المرسلة الى السلطان .

وكانت الصنچقية رتبة يمكن رفعها عن حاملها عند الغضب عليه كما ذكر الجبرتي فى تاريخه عجائب الآثار ج ١ ص ١٥٣ ويمكن أن يستقى منها صاحبها فالجبرتي أيضا يذكر ما كان من استثناء حسين بك أرؤفد عن الصنچقية سنة ١١٢٩هـ ومجاورته بالدينه المنورة بعد ذلك (ج ١ ص ١١٢) وكان من الممكن أن يكون الصنچق بطالا أى يحمل الصنچقية بدون أن يلى منصباً .

والصنچقية رتبة لا يحملها الا من وصل الى رتبة البكوية والامارة وقد تنافس الأمراء للمالك الكبار فى إحراز رتبة الصنچقية لاتباعهم ليضمنوا لأنفسهم الوصول الى مراكز السيطرة على الحكم فى مصر .

الى أنها كانت أقاليم غنية تقدم للدولة إيرادات كبيرة أما باقي الأقاليم فكان يحكمها حكام لم يبلغوا بعد رتبة الصنجدية ويطلق عليهم اسم كشاف (١) .

وقد أجرى العثمانيون بعض تعديلات على الأقاليم الادارية التي اعتمدها سنة ٩٣٣ هـ / سنة ٢٥٢٦ م فظهرت بعض الأقاليم الصغيرة المستقلة ، وكان ذلك لأغراض خاصة ففي سنة ٤٧٧ هـ / ١٥٦٩ م انفصلت مدينة فارسكو وضواحيها من اقليم البحيرة وأصبحت اقليما مستقلا ، لتتقوية سلطة الدولة في هذه المنطقة وحرمان القبائل العربية التي كانت لها السيطرة هناك من الاستحواذ على انتاج الأرز الجيد الذي اشتهرت به هذه المنطقة . وقد ظل هذا الاقليم مستقلا حتى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦ م حينما الحق باقليم المنصورة .

وقد أنشئ اقليم آخر في الأراضي الصحراوية الواقعة شرق اقليم الشرقية ، والتي تمتد الى شبه جزيرة سيناء وعرف باسم اقليم « قطيا » وكانت إيراداته تأتي أساما من الضرائب التي كانت تفرض على القوافل العابرة أراضيها الى دمشق وحلب وبالعكس وقد فرض على هذا الاقليم حماية تلك القوافل واعدادها بالمعونات ثم ألغى هذا الاقليم سنة ١١١٨ هـ / سنة ١٧٠٦ م كوحدة ادارية مستقلة وأصبحت إيراداته والتزاماته من اختصاص حكام الشرقية وقلوب ومديري الجمارك في بولاق ومصر القديمة .

وقد فصلت أراضي وادي النطرون التي تحوى معدن الفوسفات الثمين من اقليم البحيرة في سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م وأنشئ بها اقليم جديد هو اقليم الطرانة الذي ظل مستقلا حتى أعيد ثانية لاقليم البحيرة سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م .

(١) الكشاف :

كلمة مأخوذة من اللبل كشف لأن الأصل في وظيفة الكشاف أن يكشفوا أحوال الأقاليم ، وقد كان لقب كاشف يطلق في العهد المملوكى على الموظفين القضائيين والسكريين الذين كانوا يعنون بتنظيم الري وحماية السجون والجسود ورعاية الأمن . وفي القرن الذى تلا النصح العثماني لصح استعظيم هذا اللقب للأشخاص الذين كانوا يديرون أكثر من مقاطعة في بعض النواحي ، وبعد بداية القرن السابع عشر وادخال نظام الالتزام ، حل للملزمون محل الكشاف وأصبح لقب كاشف يطلق على طبقتين من الموظفين . ١ - حكام الأقاليم الصغرى الذين كانوا يختارون من الفباط المماليك من الدرجة الثانية .

٢ - الوكلاء الصغار الذين كانوا يديرون قرى الكشوفية وهي القرى التي كان دخلها مخصصا للباشوات الولاية وكانت مفصلة لذلك عن أراضي الالتزام . Shaw : Ottoman Egypt .. p. 29.

وفى عام ١٠٠١ هـ / ١٥٩٦ م كون اقليم جديد من ضواحي بحيرة المنزلة ظل مستقلا حتى سنة ١٢٠٠ هـ / سنة ١٧٨٦م حيث أعيد ثانية الى اقليم المنصورة الذى كان يضمه من قبل (١) .

وقد تمتع اقليم جرجا بأهمية خاصة منذ العصر المملوكى لكونه أهم اقليم يقدم الغلال للقاهرة ، وما أكثر ما خرج الأمراء المماليك بأنفسهم الى الوجه القبلى لتحصيل الغلال المطلوبة منه والمودة بها الى القاهرة (٢) .

وكان أكثر ما يثير السلطات المملوكية بالقاهرة أن تمتنع القبائل العربية القيمة بالصعيد عن تقديم الغلال المطلوبة منها تمردا على سلطات الحكم ، وقد اشتهرت جرجا فى أواخر المائة الثامنة الهجرية لتلاشى شهرة وأهمية قوص وأسوان وثغرهما عيذاب (٣) ، وقد كانت قوص عاصمة الصعيد قبل جرجا وفيها كانت تنزل القوافل التجارية الواردة من الهند والحبشة واليمن والحجاز بعد مرورها بميناء عيذاب .

وقد كانت قوص عامرة بأوجه النشاط المختلفة من اقتصادية وعلمية ، وترجع عظمتها فى دولة المماليك الى أن موارد الامبراطورية المصرية فى ذلك الحين كان أغلبها من المكوس على التجارة الهندية التى كانت تمر بالبحر الأحمر عن طريق عيذاب ثم تنقل الى قوص .

وكان من أهم أسباب عظمة قوص أيضا :

ان الحجاج المتوجهين الى الأراضى المقدسة من مصر ومن المغرب ظلوا أكثر من مائتى عام يتوجهون الى مكة عن طريق النيل من القاهرة الى قوص (٤) ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون صحراء عيذاب الى البحر الأحمر ذهابا وإيابا وظلوا على ذلك من سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م الى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م .

حتى كان عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ م - ١٢٧٧ م) الذى أخرج قافلة الحج من البر (أى عن طريق سيناء وبطل طريق قوص ، عيذاب) مما أثر فى أهمية قوص واقتصادياتها ثم تفاقت

(١) Shaw : The financial and Administrative organization ... p. 14.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور - ج ٣ ص ١١٢ .

(٣) عيذاب : صحراء فى الصعيد الأعلى كانت تقع فى جبة النيل الشرقية بين مدينتى قسط والقصر .

على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٢٠ .

(٤) القرينى : الخطط - ج ١ ص ٣٨٠ .

الأمور أكثر بنحو قوافل التجار عن طريق قوص منذ سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م فتلاشى أمر قوص وضاعت أهميتها منذ ذلك الوقت (١) .

وبدأت جرجا فى الظهور واحتلت مكانة عاصمة الصعيد .

وكان ظهور جرجا وتفوقها على مدن الصعيد الأخرى مصاحبا لظهور الهوارة فى الصعيد ونزولهم به فقد نزلوا بالصعيد كما أشرنا سابقا سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م واستقروا فى إقليم جرجا ونشروا به النصب والازدهار .

وقد غشت جرجا فى العهد العثماني أهم الأقاليم الادارية المصرية .

تطور جرجا الى ولاية كبيرة

وقد اتسعت جرجا فى العهد العثماني وامتدت لتشمل أقاليم الصعيد فخلد ضم اليها اقليما أسيوط وأطفيح سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٦٤ م وضم اليها كذلك :

أقاليم أسوان ، المنيا ، منفوط سنة ١١٠٩ هـ / ٩٦٧ هـ (٢) .

حيث اكتمل فى هذا العام تكوين ولاية جرجا الجديد فى العهد العثماني والذي امتد ليشمل أراضى الصعيد كلها من المنيا الى أسوان وبذلك غدا أكبر الأقاليم الادارية فى مصر العثمانية بالإضافة الى كونه من أغناها .

وواضح أن جرجا احتلت أهمية كبيرة فى العهد العثماني بسبب وجود أقوى القبائل العربية فى الصعيد بها وهى قبائل الهوارة أقوى قبائل الصعيد بأسا وأكثرها قدرة على العمل السياسى .

الهدف من تكوين ولاية جرجا

كان الهدف من توحيد أقاليم الصعيد تحت إدارة حاكم جرجا هو تقوية هذا الحاكم الذى يمثل حكومة القاهرة وجعله فى مركز يسمح له بالقضاء على أى بادرة تنذر بقيام ثورة من إحدى القبائل العربية المنتشرة

(١) احمد لطفي السيد : مقال عن أمير الصعيد ١٩٣٣/١٢/٢٨ صحيفة الامرام .
Shaw : The financial and administrative organization, p. 16.

(٢) دلائل التزامات الولايات القبلية : دفتر رقم (٤٧) لسنة ١١٠٩ هـ عي ٣ مخزن

بالصعيد (١) وخاصة وأن جرجا تتوسط المسافة بين المنيا وأسوان ومنها يسهل عليه الوصول سريعا الى مركز أى ثورة أو حركة تمرد يقوم بها العرب شمال جرجا أو جنوبها ووجوده فى جرجا نفسها وسط قبائل الهوارة وتدعيم قوته وسلطته بهذا التوحيد يجعله أقدر على مواجهة أى ثورة لهذه القبائل .

وفعلا كان هذا يحدث فى البداية إبان قوة الحكم العثماني فى مصر وبالتالى قوة ممثلة حاكم جرجا كما رأينا فى حملة عبد الرحمن بك حاكم جرجا على الهوارة سنة ١١٠٧ هـ / سنة ١٦٩٥ م وقضاؤه السريع على ثمردهم وإعادةهم لحظيرة الولاء والطاعة للدولة (٢) .

وقد أدى توحيد أقاليم الصعيد كلها فى إقليم جرجا وجعلها تحت إدارة حاكم جرجا أدى هذا الى أن أصبح حاكم جرجا الشخص الثانى فى الأهمية والقوة والثروة بعد شيخ البلد فى القاهرة وهو زعيم الماليك فيها (٣) .

وكان حاكم جرجا يعين بمرسوم من باشا مصر ، ويختار من الشخصيات المملوكية الهامة .

وبعد تعيين حاكم جرجا كان يلبس خلعة خاصة ويستعمل للذهاب الى جرجا بموكب كبير يشى فيه الأمراء والأغوات والاختيارية وكثير من رجال الوجاقات وبعد هذا الحاكم صيوانا (خيمة) كبيرا يقيمه بناحية الآثار حيث ينفذ اليه الأمراء وكبار رجال الفرق لتهنئته بالمنصب وشرب القهوة والمشروبات الأخرى وتوديعه (٤) ، وكان يصحب حاكم جرجا عدد من رجال لفرق العسكرية المختلفة ومعهم سرداراتهم (قوادهم) وببإرفاقهم (أعلامهم) ويمثلون حاميته (٥) وكان هؤلاء ينهبون معه لمساعدته فى أداء واجباته ويأخذون مرتباتهم الأصلية من فرقهم العسكرية التى ينتمون اليها بوصفهم أعضاء بها .

بالإضافة الى ضرائب خاصة كانت لهم سلطة فرضها على المنطقة التى يخضعون بها .

Shaw : The financial and administrative organization, p. 15. (١)

(٢) عن حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الأول .

Lusignan (S. L.) The history of the Revolt of Ali Bey, (٣)
London, 1793, p. 2.

(٤) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٢٦ .

(٥) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٢ .

وكانت قوته العسكرية تتألف بالإضافة لتلك الحامية من مجموعة كبيرة من مباليكه الخاصة واتباع الذين كانوا يذهبون معه الى مقر حكمه ، وكانوا يعيشون على نفقته شخصيا ، وكان لحاكم جرجا قائمقام ينوب عنه اذا ما تقيب عن الاقليم (١) .

وقد كان لكل اقليم من الأقاليم التي تكون منها اقليم جرجا الكبير حاكم خاص أى كاشف ولكن بعد توحيد هذه الأقاليم وجمعها كلها تحت امرة حاكم جرجا لم يبق في الصعيد كشاف بمعنى حكام اداريين وانما بقي الكشف في ولاية جرجا كمديرين لقرى الكشفية فقط وهي القرى التي كان دخلها مخصصا للباشوات الولاة وكانت مفصولة لذلك عن اراضي الانزام .

وكانت واجبات حاكم جرجا كواجبات كل حاكم اقليمي وهي اقرار الأمن والنظام والاشراف على استغلال الأراضي السلطانية وجمع الإيرادات المطلوبة منها للتخزين السلطانية في مصر وشراء الامدادات المطلوبة لديوان القاهرة والباب العالي والحرمين الشريفين .

بالإضافة لحماية الزراعة وطرق المواصلات من هجمات القبائل العربية الكثيرة التمرد (٢) .

وكان على حاكم جرجا ان يقدم كخراج للسلطنة مقدار ١٥٠.٠٠٠ ر. ١٥٠٠ مائة وخمسين ألف أردب قمح تنقل على نفقته من جرجا الى الشئون السلطانية في مصر القديية ، وعليه أيضا تقديم ٤٨٠ كيسا من الذهب (٣) عدا ما على ولايته من غلال للحرمين وكان عليه أيضا ان يقدم هدايا سنوية الزامية الى باشا مصر مكونة من : أربعين كيسا من الذهب ، وخمسين جوادا وخمسين بطلا ، ألف جمل ، ألف خروف كما يقدم لكل من كتخد مصر ، وأغاوات الوجاقات ١٢ كيسا .

(١) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٤٦ .

S. G. (Shaw) The financial and administrative organization, (٢) p. 62.

(٣) الكيس : وحدة عثمانية للمعد أدخلت في القرن السابع عشر م وتساوى كمية من النقود تختلف تبعاً للزمان وللمكان الذي تستخدم فيه ففي استانبول كان الكيس يساوي خمسمائة قرش وكان يسمى كيس الروم (أو الكيس الرومي) .

أما الكيس المصري يساوي ٢٠٠٠٠ يارة فضية والبارة هي العملة المصرية الرئيسية المستعملة بدلاً من القرش والأكجة اللذين كانا يستعملان في أنحاء أخرى من السلطنة العثمانية ، وكيس المصري يساوي ستمائة قرش عثماني لذا كان أكبر الأكباس المستعملة . S. G. (Shaw) : Ottoman Egypt in the Eighteenth century, H. U. P. 1962, p. 10.

وكان لدى هذا الحاكم دواوين للكتابة ولجمع الخراج وله سلطة واسعة في الأحكام يعاقب بالسجن والقتل ويجمع الأموال بدون استشارة ديوان مصر (١) .

وكان حاكم جرجا يأخذ لقبه من حكمه لهذا الاقليم فيذكر بلقب (بك جرجا) أو (حاكم الصعيد) أو (الصعيدى) مثل : اسماعيل بك جرجا ، ومحمد بك حاكم الصعيد ومحمد بك الصعيدى (٢) .

وكان منصب جرجا من المناصب المرموقة التى يتطلع اليها بكوات المالك نظير ما يقومون به من خدمات فقد اشترط على بك ذو الفقار منحه ذلك المنصب نظير توجهه لمحاربة العربان المهاجمين للحجاج فى العقبة سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م وقصلا وافسق الأمراء على ذلك وما أن تم لملى بك محاربة هؤلاء العربان وتمهيد الطريق للحجاج حتى عاد وولى حكم جرجا .

وفى عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م وعد أمراء القاهرة خليل بك قطامش بأعطائه منصب حاكم جرجا اذا ما قاد حملتهم الى الصعيد لطاردة عثمان بك الفقارى والقبض عليه (٣) .

وقد كان حاكم جرجا أهم ممثل للإدارة العثمانية فى الاقليم ويساعده فى أداء واجباته الحامية القادمة معه من رجال الفرق العسكرية .

بالاضافة الى قضاة الاقليم وأعيانه الذين كان عليه أن يحصل على حجة منهم تشهد برعايته وأدائه لواجباته حتى يستطيع دخول القاهرة عند عزله من منصبه والا تعرض للمصادرة والاهانة البالغة (٤) .

ولا ادخل نظام الالتزام الى مصر فى الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادى و الحادى عشر الهجرى وسيطر الهوارة على أراضي الصعيد عن طريق اخذها فى الالتزام فقد منصب بك جرجا أهميته لعودة السيطرة على الصعيد الى الهوارة ، وقد انتقلت معظم واجبات حاكم جرجا الى كبار الملتزمين من الهوارة ورجال الادارة المحلية ولم يبق لحاكم جرجا سوى التحكم فى أنظمة الرى (٥) .

(١) محمد بن حامد الجرجاوى ج ١ ص ١٤ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٢٢ . ٤٠ . ٤٢ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) حسين آفندى الروماتجى : ترتيب الديار المصرية : الباب الثانى السؤال السادس

ص ١٦ .

(٥) Shaw (S.G.) : The The financial and Administrative organization . P. 62.

وفقد هذا المنصب بريقه ولم يعد صلتى جرجا يهتم بشئون الصعيد وأخذ يتجه بعصره الى القاهرة فى وقت ضعف فيه سلطان العثمانيين بمصر وتمهد السبيل لسيطرة المماليك .

وأصبح من الأجدى لحاكم جرجا أن ينم بالأحداث السياسية بالقاهرة حتى لا يسبقه زملاؤه المقيمون بها فى أحراز المناصب والمغانم التى يتنافس الجميع عليها ويتطلعون اليها .

ولذا كثيرا ما ترك حاكم جرجا اقليمه ورحل الى القاهرة مستعينا بالهوارى وعرب الصعيد الآخرين فى نزاعه ضد زملائه بالقاهرة وكثيرا ما صحب هؤلاء العرب معه للاشتراك فى الأحداث السياسية بالقاهرة ولعل أبرز مثل لذلك اشتراك محمد بك جرجا فى فتنة افرنج أحمد والتى جرت أحداثها فى القاهرة سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م .

وكان سببها المنافسة على النفوذ والسلطة بين ضباط أوجاق الانكشارية أما مثيرها فهو ضابط فى هذا الأوجاق وهو افرنج أحمد وكان جبارا عنيدا وقته بدأ أمره فى الظهور من سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م (١) ، وقد أراد هذا الضابط أن يسيطر على الأوجاق كله وأن يسط نفوذه وسلطانه على أقرانه من ضباط الأوجاق فعارضه بعضهم وأبوا عليه ما أراد فهدب النزاع بينهم ولكنه انتصر عليهم واستصدر من الوالى العثمانى مرسوما بنفيهم الى القاهرة وفلا خرجوا ثم عادوا بعد مدة الى القاهرة وارتادوا الالتحاق بأوجاقهم ولكن افرنج أحمد عارض فى ذلك فلجأوا الى أوجاق العرب وهو الأوجاق المنافس لأوجاق الانكشارية وطلبوا من ضباط العرب أن يكونوا الواسطة بينهم وبين خصمهم افرنج أحمد فى عودتهم الى أوجاقهم فلبى ضباط الأوجاق طلبهم ، ولكنهم فشلوا فى وساطتهم إذ أصر افرنج أحمد على موقفه من خصومه وأيده فى موقفه أيوب بك (٢)

(١) الجبرتي : صفات الأكار - ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) الأمير أيوب بك :

تابع الأمير درويش بك وقد تسبب مع افرنج أحمد فى الثورة الفتنة الشهيرة وتولى قيادتها معه وأرسل الى محمد بك جرجا وحاكم الصعيد مستجيذا به اليه لمساعدته ومع حرب الهوارى وباقي حرب الصعيد .

وأيوب بك من أصل جرجى وينتمى الى فرقة القارية وقد تولى إمارة الحج سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٥م وطلع بالحج عشر مرات وعزل سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م وتولى الدفتر دارية ثم عزل عنها ثم وقعة الفتنة واشترك فيها ولا انتهت بهزيمة حزبه خرج هاربا من مصر الى الشام ومنها الى استانبول ولم يزل بها حتى تولى سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م - غريبا وحيدا وقد انتهب ماله فى الفتنة لذا عاش أولاده بعده ، فقراء وكانوا اثنى عشر ابنا ما بين ذكور وإناث .

الجبرتي : ج ١ ص ٩٨ .

الأمر الذى أغضب ضباط العزب فوقفوا ضده وانتصروا لفرائه فلما رأى الأمراء المسئولون أن الخلاف اتسع اتساعا يخشى منه نشوب القتال بين الأوجاقين تدخلوا لفض النزاع بين أفرنج أحمد وخصومه من ناحية وبين الأوجاقين من ناحية أخرى ولكن أصرار المتنازعين جميعا كل على موقفه اضطر الأمراء إلى التدخل بصفة جدية فجرعهم تيسار النزاع وأصبحوا أطرفا فيه (١) .

وقد أدى تدخل أوجاق العزب والأمراء فى النزاع إلى انقسام الأمراء وأوجاقات الحامية قسمين :

١ - قسم يؤيد أفرنج أحمد وفيه أيوب بك ومحمد بك الكبير حاكم جرجا وأغوات الاسباهية وأوجاق الينكجرية والباشا وقاضى المسكر. (٢) .

٢ - والقسم الآخر يؤيد خصومه ، وفيه فرق الاسباهية الثلاثة بجنودها عدا أغواتها وفرقتا الجاويشية والعزب وإيواط بك وقيطاس بك الدفتردار وإبراهيم بك أمير الحج سابقا وبعض البكوات الآخرين (٣) .

ثم تطورت الأمور وتحول النزاع الكلامى إلى حرب دموية استمرت سبعين يوما .

وكانت عتيفة وقاسية نتج عنها أحوال ذاك المصريون وبخاصة سكان القاهرة مراراتها فقد بدأت الحرب وسط أحياء القاهرة الأهلية بالسكان فهدمت بيوتهم واحترق متاعهم وأغلقت الأسواق وعطلت المتاجر وانقطع جلب الماء من النيل للشرب .

فقد نهب أيوب بك جمال السفائق وحيرهم لمنع الماء من البلد .

وقد اشترك محمد بك حاكم جرجا ومعه الهوارة اشتراكا فعليا فى أحداث الفتنة .

(١) الشيخ عل بن محمد الشاذلى الغرا : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر الحروسية بالامارة نشر وتحقيق : د. عبد القادر احمد طليحات المجلة التاريخية مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ، مطبعة جامعة عين شمس ٣٢٨ .

(٢)

P. M. Holt : The pattern of Egyptian Political History from 1517 to 1798 in the book of : political and social change in Modern Egypt historical studies from the ottoman conquest to the United Arab Republic, London Oxford U.P. 1968, p. 86.

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٤٢ .

ف عندما حاول أيوب بك نهب حمبر السقائين لمنع الماء عن القاهرة
خرج اليه الأمراء الآخرون بناحية القصر العيني لمنعه من ذلك .

فلما بلغ محمد بك حضورهم هناك جمع طائفة هواة وحجموا عليهم
فانهزموا أمامهم وفروا ثم تقابل الفريقان مرة أخرى وتقاتلا قتالا عنيفا
قتل فيه ما يزيد عن أربع مائة شخص من الفريقين عدا من قتل من الهواة
والعرب الآخرين ، فقد استعان أيوب بك أيضا بأولاد حبيب من عرب
الوجه البحرى .

وقد أدى اشتراك عرب الوجه القبلى والبحرى فى الفتنة الى جعل
أطراف القاهرة وطرقاتها تتعطل من المارة واحتاط الجباية والهواة
بالأطراف يسلبون الخلق واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر
يموتون عطشا (١) .

وقد ضاقت على الناس سبل معاشهم وانقطعت أرزاقهم .

ثم انتهت الفتنة بتغلب الفريق المنافس لفريق الفرنج أحمد وهرب
أيوب بك ومحمد حاكم جرجا ومن تبعهم ونهبت دور الجميع وأحزابهم
وهجم المتصرون على فرقة الانكشارية وقبضوا على أفرنج أحمد وقطعوا
رأسه ورؤس مجموعة من أنصاره . . . وذلك فى أوائل جمادى الأولى سنة
١١٢٣هـ / ١٧١١م (٢) .

★ ★ ★

هكذا رأينا من أحداث الفتنة السابقة كيف كان حاكم جرجا يهتم
بالأحداث السياسية بالقاهرة وكيف كان يترك اقليمه ويذهب الى القاهرة
مشاركاً فى أحداثها ومصطبها معه الهواة وعرب الصعيد الآخرين ،
وقد غضبت الدولة على الهواة لاشتراكهم فى أحداث فتنة أفرنج أحمد
وحضورهم الى القاهرة وقيامهم بالقتال والنهب والسلب فيها .

فأرسلت اليهم حملة لتأديبهم فى رجب سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م
بقيادة محمد بك قطامش وصحبته ألف جندى ومعه مرسوم بتعيينه حاكما
لجرجا عن سنة ١١٢٣ هـ / ١١٢٤م (٣) ، سنة ١٧١١ / ١٧١٢م .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٢ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٧ .

وقد اشتد غضب الدولة على الهوارة لأنهم بعد هزيمتهم في قنتة انزعج أحمد ومغادرتهم القاهرة مرافقين لمحمد بك حاكم جرجا السابق ذهبوا معه الى أخميم مقر الأمير حسن الأحميمي منافس محمد بك في السيادة على الصعيد وعبروا الهوارة ومنافسهم في السيطرة على التزامات ولاية جرجا ، وقاموا بتخريب أخميم ونهبها .

لذا سحب الأمير حسن الأحميمي حملة محمد بك قطامش على الهوارة سنة ١١٢٣هـ للانتقام منهم ، وقد حمل محمد بك معه فرمانا بأهراق دم هوارة قبلي .

وقد تتبع محمد بك قطامش ومعه هوارة بحري والأمير حسن الأحميمي هوارة قبلي الى قنا وقوص وقتلوا كل من عبروا عليه منهم .

ثم لجأ هوارة قبلي بعد ذلك الى ابراهيم بك أبو شنب (١) وهو صديق لهم وطلبوا منه أن يأخذ لهم أمرا يتأمنهم من الباشا وأن يكتب

(١) الأمير ابراهيم بك أبو شنب :

أصله من مباليك مراد بك القاسمي وخشمداني (زميسل) أيواط بك فتلد الامارة والصنيجية معه ، وكان من الأمراء الكبار للحدودين تولى امانة الحج سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م وطلع بالحق مرتين ثم عزل عن امانة الحج لأموه وقتل له مع العرب بأغراه بعض أمراء مصر وقد سافر أميراً على المسكر المين في فتح كريت سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م ولما خرج بالركب خرج أمامه شيخ الشحاذين وجماعة من رجاله لأنه كان محسناً لهم ويعرفهم واحداً واحداً وكان اذا اعطى بعضهم شيئاً ولقاه في طريقه من جهة أخرى يقول له : « أخلصت نصيبك في الحل الفلاني » .

ثم عاد الى مصر وطلع الى الاسكندرية ووصل خير قنومه الى مصر فجمع الشحاذين من بعضهم ثلثاً واشتروا حصاناً جميلاً وأعدوا له نرجاً فضاً وركاباً مطلياً ومياه مزرقتاً وكلفهم ذلك مبلغاً كبيراً ولما وصل الى القاهرة قلعه له لقبلة منهم وركبه وذهب الى داره وذهب اليه الأمراء والأعيان وسلموا عليه وعناؤه بسلامة الوصول وخلع على شيخ الشحاذين وتعيينهم كل واحد (بجوشة) ولكل تغير جنة وطاقية وشملة ولكل امرأة قميصاً وملاعة فيومي وأهدق عليهم الهدايا زادها وهدل لهم وليمة .

وكانت رئاسة مصر في ذلك الوقت لابراهيم بك ذو الفقار الذي كان قد عزم على القضاء على القاسمية فلما حضر ابراهيم بك أبو شنب واستقر بمصر اتفق ابراهيم بك ذو الفقار مع علي باشا التتوي ياشوية مصر انذاك على قتله بجملة لئال والغلال المنكسة عليه في غيبته وقدموا اثنا عشر ألف أردب قمح وأربعون كيساً من الترقود فأرسل اليه الباشا رسولا يطلبه للمغول بين يديه وكان ابراهيم بك أبو شنب قد علم بالأمارة من شخص من أتباع الباشا نفسه فامتنع من الذهاب اليه فحاصره الباشا فضايق صفوه وبينما هو في هذه الحال اذ ورد امر بعزل الباشا وتولية اسماعيل باشا حاكم الشام بدله وقد أرسل هذا قبل وصوله امرا الى ابراهيم بك أبو شنب بتعيينه قائماً له فاقبلت عليه الدنيا وتولى الدفردارية سنة ١١٢٠هـ

بذلك الى حاكم جرجا ، وفعلا قبل ابراهيم أبو شنب التوسط للهوارة وحصل لهم على العفو وأرسله اليهم برسوم حمله اليهم رسول خاص وهو محمد كاشف .

فسر الهوارة لذلك سرورا شديدا وحملوا الرسول بالهدايا الثمينة لولاة الأمور في القاهرة وقدموا الى ابراهيم بك (موكب غلال وخبول مشتمة واغنام) (١) .

وقد تابع حكام جرجا في القرن النامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجرى سياستهم واهتمامهم بالحوادث السياسية بالقاهرة ومصادرة اقليمهم اليها كلما قامت بها فتنة سياسية ففي ١١٦١ هـ / ٧٤٧٨ م وفي عهد محمد راغب باشا الذي تولى منصب باشا مصر سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥م حدثت فتنة سياسية بالقاهرة لأن محمد باشا راغب أنشأ علاقات وديه مع بكوات الماليك فوشى به خصومه عند السلطان الذي أرسل اليه طالبا منه قتل أكبر عدد ممكن من بكوات الماليك مهددا اياه بأنه ان لم يفعل ذلك تعرض للاعدام .

وقد فضل راغب باشا بالطبع الإبقاء على حياته على الإبقاء على صداقته لهؤلاء الماليك واتفق مع حسين بك: الخشاب على الإيقاع بأكبر عدد ممكن من بكوات الماليك وفعلا ساعده في ذلك ودبر معه حضور عدد منهم اليه والغدر بهم عندهلما ولما حضرت المجموعة نغذ الباشا مع الخشاب المؤامرة التي قتل فيها تحليل بك أمير الحاج ، وعلى بك السمياطي (مؤسس بيت الدمايطلة) وعمر بك بلاط وهرب على أثرها ابراهيم بك قبطاسي الى الصعيد ومعه مجموعة من صنماجق مصر ، وهربت مجموعة أخرى الى الخجاز .

ولم يلبث حاكم جرجا وقتئذ وهو على بك ان غادر اقليمه وحضر الى القاهرة للاشتراك في هذه الفتنة التي أدت الى ثورة وجال الأوجاقات العسكرية وصنماجق مصر الذين ثاروا على حسين بك الخشاب وحاصروا منزله وحاربوه حتى خرج قارا الى الصعيد وأجبروا الباشا على مغادرة مصر وكان ذلك في أواخر عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨م (٢) .

١- ١١٦٩هـ / ١٧٠٧م : استمرت بهاللسنة ١١٦١هـ / ١٧٠٩م ثم عزل وتقلد اماره الحج ثم أعيد الى المفتردية سنة ١١٦٧هـ / ١٧١٥م متفرضا بالطاعون وعمره اثنان وتسعون سنة وخلفه ذلك محمد بك الذي غدا من كبار الأمراء للماليك وكانت له مكانة عامة كوالده .

الجبرتي : هجائب الآثار ج ١ ص ١٠٥ .

(١) الجبرتي : هجائب الآثار ج ١ ص ٤٨ .

(٢) الاسحقى : أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ص ١٨٢ .

الجبرتي : هجائب الآثار ج ١ ص ١٥٣ .

وبانتشاله حاكم جرجا بالحوادث السياسية بالقاهرة وبصراعه مع زملائه فيها ، واهتمامه بالبقاء بها أغلب أوقاته وجنت القبائل العربية المقيمة بالصعيد فرصة كبيرة للسيطرة على مقاليد الأمور فيه ، ومحاولة السيطرة على الحكم فى الصعيد وكان الهوارة أقوى هذه القبائل وأكثرها قدرة على الصل ومحاولة السيطرة على مقاليد الأمور فى الصعيد .

وقد كان لتوحيد أقاليم الصعيد والتي كان لكل منها سابقا حاكمه الخاص تحت أمرة حاكم جرجا أمر له خطره اذ كان هذا التوحيد بما يقدمه لهذا الحاكم من قوة يتيح له الفرصة للقيام بأى عمل ضده حكومة القاهرة خاصة وأنه على رأس اقليم غنى ويعينه عنها .

وقد زاد الخطر أكثر بإدخال نظام الالتزام الى الصعيد فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى / الحادى عشر الهجرى حيث كانت القبائل العربية المقيمة به من زمن بعيد والتي تتمتع بالثراء والمصيبة القبلية والتي ترك التزام أراضي جرجا فى أيديها مما قدم لها الفرصة للسيطرة على ادارة جرجا فمن يسيطر على أراضي جرجا فى الالتزام يمكنه السيطرة على الحكم فيها وإدارتها مستغلا ما يقدمه له الالتزام الواسع من ثراء ويساعده على ذلك بعد اقليم جرجا عن القاهرة مركز الحكم والقوة .

وهذا ما حدث فى عهد الشيخ همام بن يوسف اذ اتاح له ثراؤه الطائل وسيطرته على أراضي جرجا الواسعة ان يسيطر على الصعيد كله وأن يقصى عنه كل سيطرة ونفوذ للحكومة العثمانية فى القاهرة .



الفصل الثالث

الأرض والالتزام في الصعيد

نظام الأرض في الصعيد - نظام الالتزام -
ادخاله في مصر العثمانية - تطوره - دوره
كأساس للنظام الإداري والمالي فيها - سيطرة
ههمام على التزامات الأراضي في الصعيد من
المنيا إلى أسوان

الأرض والالتزام في الصعيد

كانت أراضي الصعيد قبل الفتح العثماني خاضعة لنظام الاقطاع ذلك النظام الذي أدخل الى الشرق الأوسط في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى والذي بدأه بنويويه ومن بعدهم السلاخقة (١) الذين أتبعوا هذا النظام ورأوا أن يحلوا الاقطاعات محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، وهذا ما بدأه نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السليجوقى (٤٦٥هـ / ٤٨٥هـ / ١٠٧٢م / ١٠٩٢م) ونقلته عنه الدولة النورية ثم الدولة الأيوبية .

وقد بلغ هذا النظام الذروة فى دولة المماليك (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠م / ١٥١٧م) .

ويعتبر عصر السلاطين المماليك العصر الذى اكتملت فيه النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط .

وقد اعتبرت الأرض ملكا للسلطان وجنوده وكانت القاعدة العامة فى التوزيع الاقطاعى وحدتها (القراط) اذا كان خراج مصر يقسم الى أربعة وعشرين قراطا توزع أجزاؤها على القرى توزيعا متناسبا مع طاقتها واختص السلطان بأربعة قرايط للكلف والرواتب وغيرها على حين أفردت عشرة قرايط للأمراء والاطلاقات (أى المنح والزيادات) أما العشرة الباقية فكانت توزع بين الأجناد .

(١) • ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٢ •

وكانت غالب الاقطاعات تمنح لرجال السيف وهم السلطان وأمرؤه واحتاده أى الى الجيش المملوكى بأجناسه وفرقه المختلفة ، وقد حازت فئة قليلة من رجال القلم الاقطاعات وهؤلاء تمثلوا فى الحليفة والقفهاء فضلا عن عدد قليل من أصحاب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم (١) .

وقد استعان صلاح الدين وخلفاؤه من بعده كذلك بعبان مصر فأقطعتهم الاقطاعات نظير المحافظة على الأمن والاشتراك معه فى الجهاد واعتبر النظام الاقطاعى المملوكى أن زعماء العرب الداخلين فى طاعة الدولة المملوكية من رجال السيف المقطعين لأن عملهم يتركز فى حماية أطراف الدولة .

وقد كان من أشهر القبائل العربية التى حازت الاقطاعات فى العصر المملوكى عرب بنى الغوث بن طى من خزيمية بنو نوح ديمياط ، عرب الجمارية المنتسبين الى قريش فى الدهليزية .

وانتشرت جماعة من عربان فايه ، وزنارة ، خفاجة ، هواره بأثناء البلاد الشمالية بين الاسكندرية والعقبة وهؤلاء معظم عربان الوجه البحرى وبالرغم من نراء هؤلاء العربان وكثرة عددهم لم يكن لهم أهمية كبيرة لدى المالك لانعزالهم وانعزالهم فى الزراعة وعدم مساندتهم للحكام فيما كان يجرى من أحداث سياسية (٢) .

ومن قبائل عربان الوجه القبلى التى حازت أوسع الاقطاعات كانت قبائل الهواره ، والسلطان برقوق كما رأينا هو الذى أنزلهم الصميد سنة ٧٨٢هـ / سنة ١٣٨٠م وأقطع زعيمهم اسماعيل بن مازن ناحية جرجا وكانت خرابا فعمرها الهواره .

وقد دخلت الواحات فى اقطاع العربان لوقمها النائي وما يترتب عليه من صعوبة الاستغلال لغير العرب من المقطعين (٣) .

وقد كانت واجبات وحقوق أرباب الاقطاع ذات جانبين أحدهما أدبى والآخر مادى فمن حيث الأدبى :

كان على المقطع أن يقدم ولاءه لسيدته وهو ولى الأمر القائم بوصفه سلطانا .

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) . إبراهيم على طرخان - النظم الاقطاعية : ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٦ .

أما الجانب المادى فكان أهم ما فيه :

أداء الخدمة الحربية وهى الأساس فى حيازة الاقطاع وعلى الأمير كذلك أن يقوم بأعمال حفظ الأمن ، وأن يسهم فى تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول البريد ، وأن يؤدى الالتزامات المالية المتعلقة باقطاعه ، ثم أن المقطعين على اختلافهم مكلفون بتصيب فى الأعمال العامة مثل حفر الخللجان وعمارة الجسور وعليهم بحكم العرف أداء التقادم (١) بانتظام .

وقد قام العرب المقتطفون فى العصر المملوكى بالتزام الخدمة الحربية الفعلية فى ميادين الحرب ، فاشترك فى حروب السلطان فرج ضد تيمورلنك بالشام سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ستة آلاف فارس من عربان البحيرة والغان وخمسائة فارس من عربان الشرقية فى صحبة شيخهم ابن بقر .

وقد جرى المصطلح المملوكى على تسمية هذه الجماعات من فرسان العرب باسم المشير .

غير أن العرب لم يخلصوا للماليك إخلاصا تاما ودليل ذلك أن طومان باى أمر الكشاف ومشايخ العربان سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م أن يشرعوا فى تحصيل عشرين ألف خيال من المشير من فرسان العرب ثم أمر برجوعهم الى بلادهم برغم شدة حاجته الى أى جندى وذلك بعد اشارة بعض الأمراء بأن العربان ليس لهم فائدة فى خروجهم معه .

فقد أدرك طومان باى عدم سلامة نواياهم فضلا عن الكراهية العنصرية التى لحظها العرب للماليك وربما ترجع خيانة ابن مرعى للسلطان طومان باى بعد ذلك الى أبعاده العرب على هذا النحو المتقدم بجانب الكراهية الزمنية (٢) .

وعندما فتح العثمانيون مصر استبعدوا منها نهائيا نظام الاقطاعات بالرغم من أن نظام الاقطاع كان جزءا مميزا للنظام العثمانى حتى القرن السادس عشر ، وبالرغم من أن العثمانيين استخدموا هذا النظام فى ولاياتهم الأخرى مثل الشام والعراق حيث عرف بنظام التيمارات والزعامت .

(١) التقادم : تعنى الهدايا وهى مقررة سنويا على أرباب الاقطاعات ومنها ما هو طارىء يمكن الظروف والناسبات مثل حج السلطان أو زواجه ويحتوى التقادم على خيول وقماش وأثواب مختلفة الأنواع والألوان وكذلك الأسلحة وأنواع الحيوانات والطيور المختلفة والتحف .

د- إبراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٠٦ .

(٢) د- إبراهيم على طرخان - النظم الاقطاعية ص ١٩٥ .

وأسباب هذا الاستبعاد ستظل قائمة على التخمين الى أن تتم دراسات أكثر تفصيلا عن حيازة الأرض في السلطنة العثمانية ككل ولعل أهم هذه الأسباب أن السلطان سليم كان يرمى من وراء سياسة إلغاء نظام الاقطاع في مصر الى تحطيم القوة المادية لبقايا المالكين الذين كانت لهم من قبل الاقطاعات الواسعة التي كانت تشكل أساس قوتهم .

وقد كان مطلوباً من مصر أن تقدم للسلطنة كمية كبيرة من الغلال سنوياً ، ولو أديرت أراضيها بنظام الاقطاع لتحولت معظم غلالها من خزائن الحكومة الى خزائن حائزي الاقطاعات .

كما أن إلغاء نظام الاقطاع من مصر يؤدي الى تمكين الموظفين والجنود العثمانيين من تكوين قوة محلية قد تجعلهم في مركز يمكنهم من تجاهل أوامر ومصالح الحكومة المركزية ، يساعدهم في ذلك بعدهم عن مقر السلطنة ، مع ملاحظة أن الأشخاص الذين يعتمدون على مرتبات ثابتة تقدمها لهم الدولة يكونون أكثر خضوعاً لسلطتها من أولئك الذين يملكون إيرادات مستقلة من الاقطاعات (١) .

وبإلغاء العثمانيين نظام الاقطاع من مصر أعلنت الأرض كلها ملكاً للسلطان بما فيها الأراضي التي كانت مرسدة من قبل كأوقاف والنسب الفاها العثمانيون سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وقد اضطربت أحوال الناس كثيراً بسبب إلغاء ما كان لهم من أوقاف ورزق إحيائية وقد قام القاضي فخر الدين بن عوض بالاستيلاء على تلك الأوقاف وضمها الى الأراضي السلطانية تحت إشراف خاير بك حاكم مصر في ذلك الوقت ، وقد شمل ذلك الإلغاء أراضي الأوقاف في الوجهين البحري والقبلي ، ثم مرض خاير بك مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت ، فامر بالانفراج عن الأوقاف المصادرة وزدحها الى أصحابها ، تقريباً الى الله عليه يمنحه الشفاء وبذا عادت أراضي الوقف لمستحقيها وتركزت الأوقاف كما كانت خارج الأراضي السلطانية (٢) .

وقد أدارته الحكومة الأرض بعد ذلك بنظام المقاطعات أو الأمانات وكانت حدود كل مقاطعة أو أمانة تشمل القرى والأراضي والالتزامات الضريبية التي كانت ضحيتها لها سابقاً في سجلات الريع المملوكية .

Shaw : Land holding and land-tax. Revenues in Ottoman (١)
Egypt : in political and social change in modern Egypt p. 92.

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور - ج ٢ ص ٣٠٧ .

وقد تم ادخال نظام الامانات او المقاطعات الى مصر فى الصف الاول
من القرن السادس عشر الميلادى / العاشر الهجرى *

وأسست ادارة المقاطعات لوكلاء ماجورين عرفوا بالأمناء وكانوا
ياخذون مرتبات ثابتة من الحكومة غير مرتبطة بكمية الايرادات التى
يقدمونها لها ، وقد اختير هؤلاء الأمناء من الموظفين المالكين الذين كان
ينطبق عليهم اللقب المملوكى القديم للحاكم الاقلىسى (الكاشف) *

وفى الصعيد استمر مشايخ العرب فى ادارة الأراضى التى كانت
تحت أيديهم كقطاعات بعد أن حولت الى مقاطعات تركها لهم العثمانيون
مقابل اعترافهم بالسيادة العثمانية ، وتعهدهم بدفع ضريبة سنوية ثابتة
للخزينة مقابل حيازتهم لهذه المقاطعات *

وكانت أهم واجبات الأمن :

التأكد من صلاحية كل قنوات الرى والسدود فى مقاطعته لتحمّل
فيضان النيل ، كما كان عليه ضمان توفير العدد الكافى من الفلاحين
المستعدين لزراعة الأرض وجمع محاصيلها وقت الحصاد ، وتوفير الحماية
للفلاحين من هجمات الأعراب ، وأن يكون قادرا على جمع الضرائب فى
موعدھا وتسليمها للحكومة (١) *

أما رعاية الأمن المحلى وهى المهمة التى كان يقوم بها سابقا أرباب
القطاع فقد تركت للحكام الاقليميين والحاميات المرافقة لهم *

ولكن نظام الامانات سرعان ما اثبت أنه غير عملى لأن الأمناء المأجورين
لم يقنعوا بمرتباتهم الثابتة بل حاولوا الحصول على موارد أخرى بطرق
غير مشروعة ، بالإضافة الى أن نجاح هذا النظام كان يتطلب ادارة مركزية
قوية للسيطرة على مختلف المناطق والمقاطعات والموظفين وهذا لم يتوفر
للالدارة العثمانية فى مصر *

وقد فشلت الحكومة فى توفير العدد الكافى من الأمناء لشغل تلك
الوظائف ، فقد استبعدت المالكين السابقين خوفا من عدم اخلاصهم اذ
ربما استغلوا مراكزهم للقيام بثورة أخرى تشبه تلك التى قام بها أحمد

باشا (الخائن) سنة ٩٣٠م / ١٥٢٤ م (١) ولم تستخدم الجند العثمانيين للحاجة الملحة لحدماتهم العسكرية واستخدمت فقط العثمانيين المرسلين من أماكن أخرى من السلطنة وقلة من الأقباط واليهود وحتى هؤلاء كانوا يرفضون غالبا تولي وظائف أمناء المقاطعات لأن الأجور المخصصة لهم لم تكون مجزية .

ونتيجة لذلك :

أصبحت توكل للأمن الواحد ادارة عدة مقاطعات ، ولكن الأمناء في هذه الحالة لم يستطيعوا توجيه العناية اللازمة لكل ما أسند اليهم من مقاطعات ، لذا اتخذوا لهم وكلاء عرفوا بالعمال .

وقد اختير هؤلاء من الموظفين السابقين من المالكين ومن الجند (٢) ولا غرائهم أعطيت لهم هذه الوظائف كالتزام (ضريبة مزرعة) واشتغلوا كملتزمين أى جامعى ضرائب (Tax-Farmers) وكانوا يقدمون مبالغ سنوية ثابتة للأمناء ويحتفظون بباقي إيرادات الضرائب كأرباح لأنفسهم ، وبدافع الربح الشخصى ازداد نشاط العمال في تحصيل أكبر كمية من الضرائب وحصلوا تدريجيا على أرباح أكثر وأغضبت الدولة عينها عن ذلك نظرا لتدهور الأمور ولم يكن أمامها غير قبول ما يقلمه هؤلاء من ضرائب لاضطرابها الى التعامل معهم لإدارة المقاطعات الزراعية .

وقد أدت ثورة أحمد باشا الى حرمان الخزينة من العصال المالكين الذين اشترك كثير منهم فيها وقتلوا أو شتتوا بعد هزيمته لذا غدا العمال كلهم من الفرق العسكرية ، وكان على كل عامل (ملتزم) أن يدفع ثمنا

(١) أحمد باشا :

تولى باشويى مصر سنة ٩٢٩ - ٩٣٠م / سنة ١٥٢٣م وقد قام بثورة بقصد فصل مصر عن السلطنة العثمانية لأنه أراد الانتقام لفقدان منصبه الصادر المسمى الذى تولاه منافس له يدعى إبراهيم باشا الذى ناصبه المداة وتقبه بعد توليه مصر حتى ألحق فى استصدار أمر من السلطان لأمره مصر يقتل أحمد باشا ، وأرسل لهم ذلك الأمر سرا ولكنه وقع مصادفة فى يد أحمد باشا سنة ٩٣٠م فأخافه وسولت له نفسه الضمان لقتل الأمراء لوجه اليهم بقتله وادعى السلطنة وأمر بأن يخطب باسمه على المنابر وعزيت باسمه السكة على الدراهم والدنانير ومصادر الناس وجمع الأموال واستطاع التغلب على جيش القلعة ولكن انتهى أمره ببيعة أحد أملاكه من المالكين الذين تمكنوا من قتله وبالرغم من مقتله فقد تابع أنصاره المقاومة واستطاعوا السيطرة على معظم الريف ولم تخد الثورة نهائيا الا بوصول قوات عثمانية بقيادة الوزير إبراهيم باشا صهر السلطان سليمان .

الإسحاقى : أخبار الدول ص ١٤٩ .

(٢) Shaw : The financial and administrative organization p. 32.

لحصوله على الالتزام مبلغا يساوى تسعة أمثال ونصف الزيادة السنوية المنتظرة والتي كانت تترك له بعد تسليم الضريبة السنوية المقررة للجزينة ، وقد عرفت هذه الزيادة فيما بعد باسم فاتئض الالتزام .

وقد كان الالتزام محفودا بالنسبة لكل عامل أما بمحصل كامل أو جزء من محصول وذلك حتى لا ينصرف الجندى أو العامل عن خدمته العسكرية مدة طويلة ، وقد بقى الأشراف على المقاطعات للأمناء للحد من نفوذ العمال ومراقبتهم .

بالإضافة الى أنه كان على كل عامل أن يقدم ضامنا يعتبر مسئولاً عنه وملتزمًا بالتزاماته - لو أعمل فيها - أمام الجزينة وكان هذا الضامن عادة هو رئيس الفرقة التى ينتمى إليها العامل .

هكذا أدخل نظام الالتزام الى مصر على أساس قواعد محدودة ومضبوطه .

ولما كانت هذه الالتزامات محدودة بزمن معين وإيرادات معينة ، فقد كان العامل يحصل على أكثر موارد من عمله فى أوجاقه الذى ينتمى إليه وكانت السلطات العثمانية تنظر الى الالتزام كوسيلة لإدارة الأرض أكثر منه كوسيلة لمكافحة الأجناد .

وطبىعى أن يتطلع العمال الى زيادة نصيبهم من موارد الأرض فأزداد نشاطهم وأخذوا يشتطون فى جمع الضرائب وازدادت قوتهم آزاء رؤسائهم من الأمناء وآزاء الجزينة أيضا وذلك تبعاً لأهمية الأوجاقات التى ينتمون إليها فى وقت توالى فيه المنازعات الدوية بين الأوجاقات العثمانية .

وهكذا ترتب على ذلك أن توارى أمناء المقاطعات حتى انتهت مهمتهم فى أواخر القرن السادس عشر .

وحاولت الجزينة أن تجد من سلطة العمال فى فرض زيادات غير مناسبة من المال على الفلاحين وذلك بمنح المقاطعات بالالتزام للضباط من الفرق العثمانية ولبكوات المالك أيضاً من القادرين على إدارة الأرض بكفاية دون إرهابه للفلاحين أو تمد على حقوق الجزينة ولكن هذه الخطوة لم تتحقق على النحو الذى أرادته الدولة نظراً لأن الملتزمين غدا معظمهم من أعضاء الفرق العسكرية الذين كانوا قد وصلوا الى مركز السيطرة والتحكم فى مصر العثمانية .

وتحديد هذه ادخال نظام الالتزام الى مصر بالضبط أمر لم يمكن معرفته الى الآن .

فبالرغم من أن قانونامة الخاص بالسلطان سليم قد أشار الى هذا النظام عند حدينه عن واجبات الدفتردار وعن حقه فى أخذ ضريبة عند التوقيع بأرضائه على عقود الأرض المعطاة للأمناء بالأمانات (١) وبالالتزام ، فان معظم المؤرخين متفقون على أن نظام الالتزام لم يستخدم فى مصر قبل عهد السلطان سليمان القانونى .

وبنهاية الربع الأول من القرن السابع عشر م/الحادى عشر هـ أصبح الالتزام هو الشكل الذى تحولت اليه مقاطعات الأرض الزراعية فى مصر العثمانية(٢)وغدا الوسيلة الرئيسية لإدارة الأرض فى مصر وجباية أموالها .

ولم يكن نظام الالتزام جديدا على مصر فقد استخدم العرب منذ فتحهم لمصر لإدارة الأرض نظاما مشابها لذلك وهو نظام قبالات الأرض أو الضمان فكان متولى الخراج يجلس فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى الوقت المحدد لتوزيع قبالات الأرض ومعه كتاب الخراج ويحضر اليه الراغبون فى استئجار الأرض من القرى والمدن ثم يعقد المزاد ويسجل كتاب الخراج ما ينتهى اليه المزاد من إعطاء القرى لتقبلها والمبالغ المحددة لذلك .

وكان ذلك المزاد يقام كل أربع سنوات أى أن العقد بين الدولة والمتقبل كان يستمر تلك المدة .

وإذا ما حصل المتقبل على قبالاته توجه اليها وتولى زراعتها ، واصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك .

ويحمل ما عليه من الخراج فى إبانته على أقساط وكان يحسب له من المبلغ المحدد له ما ينفقه على عمارة الجسور وسد الترع ، وخفر الخلدجان .

وكان على كل متقبل أن يقدم للدولة ضامنا يضمن لها أدائه للخراج .

فكان الوضع يأخذ شكل عقد بين المتقبل والدولة لمدة أربع سنوات يتمهد فيه المتقبل بزراعة الأرض وأداء الخراج المطاوب فى موعده وكان لا يمكن فسخ العقد قبل موعده طالما بقى المتقبل يؤدي ما عليه من خراج بالنظام .

وكان نظام الضمان يشمل .. بجانب الأراضي الزراعية :

(١) من المحتمل أن المتن المنشور لهذا القانون قد حوى لفظ (بالالتزام) حشووا ولم يكن متضمنا فى الأصل خاصة وأن هذا المتن كان يمثل نسخة طبع من الأصل به مائة عام فى سنة ١٦٢٠م .

(٢) Shaw : The financial and administrative organization, p. 33.
Gibb and Bowen : Islamic society Vol, II, p. 21.

البساتين ، والحمامات ، القيساريات ، المساكن ، الرباع .

وكانت البلاد تضمن بقبالات أقسام (أو أحواض محدودة) للأمرء والأجناد . الأعيان وأهل الأقاليم من العرب والأقباط .

وكانت أحيانا تتبقى فى جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق أى أموال خراج (١) متأخرة فكان الولاة يشهدون فى طلب ذلك مرة ويسامحون به مرة .

وإذا نقص ماء النيل وشرقت الأراضي أرسل الوالى شخصا يثق فيه وخرج معه كاتب له معرفة بعلم الخراج (وكثيرا ماكان هذا الأخير من الأقباط) لاثبات مساحة الأرض التى شرقت أى بارت نتيجة هذا النقص والأرض التى شملها الرى ، لتحديد الأرض التى يسامح متقبلوها بالخراج نتيجة لذلك ويرجأ تحصيله منهم الى وقت آخر . وكان الخراج الذى يقدمه المتقبلون مالا أو غللا .

وقد انتهى نظام الأرض بقبالات بنهاية الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية بمصر وهى التى أدخلت نظاما هو نظام الإقطاع الذى تحدثنا عنه فى بداية هذا الفصل .

وهكذا رأينا أن نظام التزام الأرض لم يكن جديدا على مصر فقد سبق تطبيق نظام مشابه له فيها وهو نظام ضمان قبالات الأرض .

وكان نظام الالتزام فى مصر العثمانية يبنى أن ملتزم المقاطعة يلتزم بدفع مبلغ معين للخزينة طالما أن مصدر الدخل أى المقاطعة تنتج له انتاجها المتوقع منها .

وقد كانت الالتزامات تمنح لمن يتقدم لها من التجار الأثرياء والكتاب ، رجال الدين ، العلماء ، شيوخ العرب ، أعضاء البيوت المملوكية وللنساء (٢) .

(١) الخراج :

ضريبة على الأرض المنتجة غنمة أو صلحا فى غير بلاد العرب نفسها . وقد اعتبر العرب أرض مصر خراجا لفتحها صلحا ، وتركت أرضها لأهلها مقابل دفعهم الخراج : أى ترك لهم حق استغلال الأرض فقط لا ملكيتها .

٥- محمد كامل موسى : الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن - القاهرة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ص ٤٨ .

(٢) دناتر التزامات الولايات القبلية بالعلمة .

دفتى رقم ٨ لسنة ١٠٩١ هـ عين ١ مخزن تركي .

أجربة حسين أفندى الروزنامجى : نشر الأستاذ خليل مرعبال - مصر عند مفرق الطرق - الباب السابع - السؤال الأول ص ٣٦ .

ثم غُت السيطرة على الالتزامات منذ منتصف القرن ١٧م/١١ هـ
لبكوات المالك الذين كانوا قد وصلوا الى مركز التحكم فى مجريات
الأمور كلها فى مصر .

وكان حق التمتع بالالتزام غير محدود ببلدة معينة وثمن شرائه
(حيازته) يدفع مرة واحدة فقط وحينئذ يكون للمتزم حق استغلاله
طالما هو يؤدىخراج المطلوب منه للدولة فى مواعيده المحددة .

وكان المتزم يحصل أحيانا على مقاطعة كاملة أو جزء منها وكان
يعطى له حينئذ اتصالا عرف (بافراج المتزم) أو تقسيطه الديوانى) .

يحمل فى نهايته أسم المقاطعة وعدد المقراريط التى حصل عليها
المتزم منها وتوقع الضامن أو الكفيل الذى يقع أسفل التقسيط بموافقتة
على تمويل الخزينة المبلغ المطلوب من المتزم فى حالة فشل الأخير فى
سداد ما عليه من خراج ثم يأخذ المتزم الاتصال الى الكاتب المختص فى
الخزينة الذى يكون على التقسيط وصفا كاملا للمقاطعة يشمل :

أسماء كل قرى المقاطعة والمساحات المزروعة فيها وأسماء المتزمين
المشاركين فيها ، والضريبة الكلية المطلوبة سنويا للخزينة على كل المقاطعة،
ثم يحصل المتزم على توقيع المفتردار على (افراجه) وكذا توقيع الباشا
وتسجل الروزنامة (١) حينئذ على التقسيط أمر رسمى يحدد واجبات
المتزم برعاية المدل مع فلاحيه وأداء الماله المدى المطلوب منه فى موعده ،
وحقوق المتزم على الفلاحين التى تقضى بوجود طاعته ومساعدته (٢) .

(١) الروزنامة :

ادارة قديمة المهد وأعمالها موجودة منذ عام ٨١٨هـ/١٤١٥م أى أن وجودها يرجع الى
ما قبل الفتح العثماني لمصر -

وكلمة الروزنامة فارسية الأصل معناها الجرنال أو التقرير وقد اقتصت الروزنامة فى
مصر بالاشراف على التزام الأرض وترتيب صرة الحرمين وللحفاظ على دفاتر الحسابات أى أنها
كانت بمثابة دار محفوظات لحفظ السجلات ، وقد كان المعسل بها يجرى فى سرية تامة
ودفاترها لا يطلع عليها سوى الموظفين المخصوصين وكانت الدفاتر التى ينتهى المعسل بها
تدخل فى خزينة متلفة بالقلمة .

وكان أكثر القندية الروزنامة من المالك وهم مسلمون وبلغ من حرص أولئى الروزنامة
على أعمالهم أن اجتهدوا خطأ كتابة حساباتهم لا يمكن لفريق قراءته وهو خط قرمى .

د. محمد فؤاد شكرى والاستاذ عبد القصور المنانى ، وسيد محمد خليل بناء دولة
مصر محمد على - القاهرة ١٩٤٨ ص ١٣ ، ١٤ .

الاستاذان محمد شفيق غريال مصر عند طرق الطرق ص ٥٠ .

Shaw : The financial and administrative organization ... , p. 34. (٢)

وعندما يحصل الملتزم على التقسيط المذكور تصبح فى يده حجة قانونية تؤيد حقه فى استغلال التزامه .

وقد تغير شكل افراج الملتزم فى القرن الثامن عشر / ١٢ هـ فبدأ أكثر تبسيطاً كما سنرى من دراسة تقسيط خاص بالشيخ همام .
فقد . .

ورد به فى أعلاه ختم الباشا بموافقة على حصول الشيخ همام على هذا الالتزام كالتالى :

بمحمد يرجو الأمان محمد

فما يخاف وفى نوالك راغب

وكان هذا الباشا هو محمد باشا راغب .

ثم ذكر فى التقسيط أنه عن مقاطعة :

مال حماية قرية حراجية تابع قوصية ١٢ ط تابع ولاية جرجا وعهدة شيخ العرب همام يوسف بقدر ١٢ قيراط وجه التزام قيده شده عن اول موت ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ هـ من اسم اسماعيل عبد الله تابع محمد أحمد مستغفلان خربوطلى ملتزم ١٢ قيراط فى القرية المذكورة قيد شده بموجب بابيورلى شريف حضرة وزير روض ضمير محمد راغب باشا محافظ مصر أدام الله اجلاله ١١ جبادى الأولى سنة ١١٦١ .

والمبارات السابقة كلها ملونة بخط القزعة .

مآل حماية : الذى ورد فى هذا التقسيط كان يعنى ضريبة اضافية غير قانونية فرضها الملتزمون على أراضي الوقف الواقعة فى التزامهم فى القرن ١٧ هـ / ١١ هـ وكانوا يدفعون جزءاً من ايرادها للباشوات مقابل حماية حقهم فى فرضها لأنها غير شرعية ومن هنا اخذت اسمها (مال حماية) وقد اعترفت الدولة بهذه الضريبة وتم نقل الجزء الذى كان يحصل عليه الباشوات منها من ايرادات الولاية الى ايرادات الخزينة السلطانية سنة ١٦٧١م / ١٠٨٢ هـ (١) .

اما قرية حراجية فهى احدى قرى قوص وقدر حصل الشيخ همام على ١٢ قيراطاً كانت فى التزام أحد أتباع المالك المذكور اسمه فى التقسيط وهو اسماعيل عبد الله .

وقد كانت كل مقاطعة تنقسم الى ٢٤ قرياطا توزع على قراها بأجزاء مناسبة لكل منها .

وقد حصل حمام على هذا الالتزام فى أول توت ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧م وتمت موافقة الباشا ببيورلى أى أمر منه على حصول الشيخ حمام على القرايط المذكورة وتمت الموافقة بتاريخ ١١ جمادى سنة ١١٦١ هـ / ابريل سنة ١٧٤٨م ..

ثم ذكر فى التقيسيط حساب الضريبة المطلوبة على هذا الجزء فقط
ومى :

١٥٠ قديم

٦ جديده

١٥٦ بسارة

ونلاحظ هنا تبسيطا بالنسبة لذكر الضريبة على الجزء الخاص بالملتزم فقط وليس على كل المقاطعة وإغفال ذكر أسماء الملتزمين الآخرين لأجزاء المقاطعة وأسماء باقى قراها :

ويعنى المال القديم الوارد هنا أعلاه الضريبة الأصلية المقررة على هذه الأرض والمدونة فى سجلات التاربع (أى المساحة العثمانية التى وضعت فى بداية قرن ١٧م / ١١ هـ أما الجديده فهو الزيادة التى استحدثت على المال المقرر الأصلى .

ثم يحسب التفسير الأخير من التقيسيط النصيحة التقليدية التى يوجهها الباشا باللغة التركية للملتزمين كما يلى :

أنت إيهي الملتزم المذكور ، انه بموجب هذا التقيسيط الديوانى المعطى لك ، قد أصبحت القرية المذكورة فى التزامك يحق ١٢ قيراط من مصلحة المذكور فبناء عليه تصرف فيها وعليك أن تؤدى المال الميرى المفروض عليك فى وقته مع التجرز من الظلم والتملى .

وهذه النصيحة كانت تأخذ شكلا تقليديا واحدا فى جميع تقاميط الالتزام (١) .

(١) عرب هذه النصيحة التقليدية وأورد نماذج لها الأستاذ محمد رفعت رمضان فى كتابه : على بك الكبير - ص ٨٠ - ٨١ ، وهذه نقلت الترجمة وطبعتها على هذا التقيسيط المنشور باللاسق - ملحق رقم ٦ ص ١٧١ .

ثم ورد في نهاية التقييد امضاء الباشا محمد راجب واعتماد
الدفتردار (١) محمد مصطفى .

ونلاحظ على هذا التقييد الصادر في النصف الثاني من القرن
١٢ هـ / ١٨ م خلوه من توقيع ضامن أو كفيل للملتزم مما يدل على الغاء
هذا النظام تبعاً لاستئساد قوة الملتزمين وضعف السلطات الحكومية
وتدهورها .

وقد كانت الالتزامات تمنح بعد مزادات تقام في ديوان القاهرة وكان
ثمن حيازة الالتزام يساوي تسعة أمثال ونصف (أى فائض الملتزم)
الزيادة السنوية التي تترك للملتزم بعد سداده المال الميرى .

وفي عام ١٦٩٢ م / ١١٠٤ هـ حصل الملتزمون على حق الاحتفاظ
بجيزة أراضيهم لدى حياتهم وكان للملتزم الحق في التنازل عن أرضه
للآخرين مقابل ثمن معين

وإذا فشل الملتزم في أداء التزاماته كان قانونه عرضة للقبض عليه
وتعذيبه وسجنه والاستيلاء على التزامه وكل ممتلكاته الأخرى ومصادرتها
لصالح الخزينة .

وعندما كانت تخلو مجموعة من مقاطعات الالتزام لعجز ملتزميها
أو وفاتهم كان يعاد طرحها في مزادات جديدة وكان ثمن الحصول على
الالتزام في هذه الحالات أيضاً يساوي تسعة أمثال نصف متوسط (الفائض)
المنتظر حصوله للملتزم عليه وقد عرف ثمن الحصول على الالتزام باسم بدل
الالتزام أو الحلوان .

وقد كانت إيرادات بدل الالتزام مقسمة الى قسمين :

قسم يؤول الى الخزينة السلطانية (٢) وقسم يضم الى الدخل
الشخصي للسلطان .

(١) الدفتردار :

كان يحكم مركزه أميناً على سجل الملكية ومستندات الجيزة التي كانت تغطي باسم
السلطان ، ولا قيمة لها الا إذا وضع هذا الضابط امضاه في السجل أمامها وقد احتكر
لمالك هذا المنصب ابتداء من القرن ١٧ .

ESTEVE, Memoire sur les finance De Egypte depuis Sa conquête par
le Sultan Selym I Jusqua cell Du Général chef Bonaparte in Des-
cription del, Egypt toue Doux eue, p. 45.

(٢) الخزينة أو الخزينة :

في الاصطلاح العثماني للمعنى هو مقدار ما يتبقى مما يجبي من مصر بعد افاق كل
ما قرر السلطان اطلاقه ويرسل هذا الباقي الى العاصمة ، ولم يكن مقداره ثابتاً فان الحكومة =

فايرادات الحلوان الناتجة عن اعادة توزيع مقاطعات خالية لوفاة مستأجريها وفاة طبيعية كانت تضم الى الخزينة السلطانية ، وايرادات الحلوان الناتجة عن اعادة توزيع مقاطعات خالية لعجز ملتزميها عن تسديد الضرائب المقررة عليهم أو مقتلهم أو وفاتهم فى أحد الحروب ، كانت تضم الى الإيراد الشخصى للسلطان .

وبالطبع لم تكن للدولة فى هذه الحالات أى مصالح مالية مباشرة تعود عليهم من تحصيل الحلوان المناسب ، لذا اهتموا بتحصيل الثمن الحقيقى لبدل الالتزام (الحلوان) والذي كان من المقرر أن يكون مساويا لتسعة أمثال ونصف فائض الملتزم ولم يعد الحلوان فى بداية القرن الثامن عشر م / / ١٢ هـ مساويا لأكثر من ثلاثة أمثال (فائض الملتزم) .

ويضاف الولاة وتزايده نفوذ البيوت المملوكية ورغبة قادتها فى استبقاء مقاطعاتهم بعد وفاتهم لورثتهم واتباعهم اتبعوا سياسة تسليمها أى التنازل عنها سرا وتسليم حقهم فيها لمن يرضون فى توريثهم اياها من ورثتهم واتباعهم .

وبعد ذلك يستطيع الأنصرون اثبات حقهم بالاتفاق مع الباشا بدون اجراء مزادات لاعادة توزيع المقاطعات الحالية بل يدفعون مبلغا للباشا عرف بأسم بدل المصالحة (١) ، وهو مساو لثلاثة أمثال (فائض الالتزام) .

وقد حاول الباب العالى تحديد الحالات التى تتم فيها المصالحة بتقييدها .

بالمقاطعات التى تكون وفاة أصحابها طبيعية بدون اعدام أو حرب أو موت فى الحرب وبأن المصالحة لا تكون الا لهؤلاء الذين حددتهم الملتزم المتوفى فى وصيته وبشرط أن يكونوا أكفاء من الناحية المادية للقيام بكافة الالتزامات المطلوبة منهم .

= المعنانية كانت تأمر أحيانا بأن تخمس منه نفقة اضافية كالزيادة فى مقررات الحج والحرمين وأحيانا كان الباشا يخمس من الخزنة لتسديد عجز فى الأيراب المقررة أو لمواجبة طلب استثنائى وهكذا . وكان يصحب الخزنة للرسل الى العاصمة أحد بكوات المالك الصناعى ويطلق عليه لقب بك الخزنة .

محمد شفيق غربال . مصر عند طرق الطرق ، ص ١٤ .

SHAW : The financial and administrative organization ... p. 37. (١)

وأنه اذا فقد شرط من هذه الشروط تعرض المقاطعات الحالية في مزاد كما كان يحدث من قبل .

وبذلك لم يعد الحلوان (بطله الالتزام) يزيد عن ثلاثة أمثال الربح السنوي للملتزم (فائض الالتزام) .

ويتدهور الادارة العثمانية في مصر استطاع البكوات الأفرياء استبقاء ممتلكات سادتهم ومن يرغبون في وراثة التزاماتهم بالمصالحة سواء توفرت فيهم الشروط التي وضعها الباب العالي لهذا الغرض أو لم تتوفر .

وبنهاية القرن الثامن عشر م / / ١٢ هـ

أصبحت اراضي الالتزام كالملكية الخاصة (١) بالرغم من أن الالتزام بقي نظريا ايجارا يمكن خلوه وعرضه في المزاد عند موت صاحبه .

فقد أصبح للملتزمين الحق في نقل أراضيهم لورثتهم خلال اجراء المصالحة مع الوالي ، وأصبح الورثة بعد وفاة الملتزم يقدمون طلبا للباشا بالموافقة على وراثتهم للملتزم المتوفى وكانوا يحصلون على تلك الموافقة والأمثلة التي عثرت عليها في الوثائق لهذا النوع كثيرة ومنها على سبيل المثال :

طلب ققمه ورثة الشريف علم الدين ٢٧ ذى الحجة سنة ١١٨٧ هـ / فبراير سنة ١٧٧٣ م الذي كان له التزام قرية أبو حدري المعروفة ببني جلبى بجرجا طالبين من الباشا تمليكهم تلك القرية بوصفهم ورثة له بعد أن استولى عليها ملتزم آخر اغتصب حقهم وقملا . .

وافق الباشا على الطلب وأشر عليه بأمره بتسليم الورثة تلك القرية (٢) .

وقد كان الشخص يرث التزام زوجته أو محتوي آقاره (محتوي العم مثلا) ويرث اتباع أبيه أيضا بعد تقديم طلب للباشا بذلك (٣) .

(١) The financial and administrative organization ., p. 38. (Shaw)

(٢) وثائق دار الوثائق القومية بمباين حجج الالتزام وثيقة رقم ٢ ملف ٨٥ مطقة رقم ٥ لسنة ١١٨٧ هـ .

(٣) وثائق دار الوثائق القومية بمباين حجج الالتزام .

وثيقة رقم ٣ ملف ٨٥ مطقة ٥ سنة ١١٨٨ هـ .

وثيقة رقم ٦ ملف ٨٧ مطقة ٨ سنة ١١٢٣ هـ .

وثيقة رقم ١ ملف ٨٥ مطقة ٥ سنة ١١٨٣ هـ .

وكان الأبناء يرثون التزامات آبائهم ويمكنهم التصرف فيها بعد ذلك وفقاً لما تمليه عليهم مصالحتهم والأمنلة على ذلك كثيرة منها :

حالة زهرة بنت محمد جليى (١) تابع أحمد أغا أغاة جمليان التى ورثت عن والدها التزام $\frac{1}{4}$ ط فى أراضى ناحية الخسة بولاية الشرقية . وقامت بالتخل عن هذا الالتزام .

للسيدة عائشة السيد الشريف نظير مبلغ ٤٥ ريال وذلك لمجزها عن زراعة هذه الأرض وتعطلها عن الانتاج .

وكان التنازل أمام محكمة الباب العالى بالقاهرة سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م .

والشيخ حمام ورت عن أبيه التزامات واسعة فى أراضى الصعيد كان الأب أيضا قه ورثها عن أبيه الحاج أحمد محمده حمام (٢) .

★ ★ ★

الالتزام كأساس للنظام المالى والإدارى

فى مصر العثمانية

كان نظام الالتزام هو أساس النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

فقد أدار الملتزمون ووكلاؤهم المقاطعات وكان هؤلاء الوكلاء يعينون من قبل الملتزم من أهالى المنطقة اذا كان الملتزم من المنطقة نفسها ومن مماليك الملتزم اذا كان الملتزم نفسه من أمراء المماليك .

وكان أكبر هؤلاء الوكلاء يعرف (بالقائمقام) أو البديل (٣) . الذى كان ينوب عن الملتزم فى تنفيذ واجباته وتحصيل حقوقه فى مقاطعته ، وهو الذى يجمع الإيرادات الخاصة بالملتزم وخاصة فى حالة ما اذا كان للملتزم أسهم فى مقاطعات متعددة لم كان مقيماً خارج الإقليم .

(١) حجج الالتزام بمايدين وثيقة رقم ٩ ملف ٩٢ محطة ٨ لسنة ١١٢٧ هـ .

(٢) دلائل التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ٣٣٧ عين ٥ لسنة ١١٥١ هـ .

معزى تركى .

(٣) Shaw : The financial and administrative organization , p. 55.

وفي بداية ادخال نظام الالتزام الى مصر كانت المقاطعة تمنح للمتزم واحد . ولكن في القرن الثامن عشر أصبحت المقاطعة تمنح أحيانا للمتزم واحد وأحيانا لعدد من المتلتزمين يتراوح بين خمسة وعشرة ملتزمين .

فقد بلغ عدد المتلتزمين في قرية القصير بولاية جرجا عن سنة ١١٣٩ هـ سنة ١٧١٦م عشرة ملتزمين (١) .

وفي كل قرية يختص جزء من الأرض الزراعية تبلغ مساحته ١٠/١ مساحة أراضي الفلاحين وعرف هذا الجزء باسم أرض الوصية ويزرعها المتلتزم لحسابه ولا يدفع عنها ضريبة ، ويختص ريعها للاتفاق منه على المسافرين والجند وموظفي الحكومة الذين ينزلون ضيوفا عليه (٢) . ولم يكن للمتلتزم في البداية الحق في ارغام الفلاحين على العمل في أرض وسيت بدون أجر ولكن بتدهور الحكم وسيطرة المتلتزمين على أراضيهم في القرن ١٨ هـ / ١٢ هـ أصبحوا يفرضون على الفلاحين سخرة القيام بزراعة أرض الوصية .

أما عن تقسيم الضريبة بين الفلاحين وجمعها منهم فقد كان يقوم بهذا العمل .٠ الصراف (٣) .٠ وغالبا ما كان من الأقباط .

ومهمته قبض المال من الفلاحين وتقييمه أسمائهم وتحويل العملة فقد كانت الضرائب التي فرضها العثمانيون تفرض اسميا بالعملة الجديدة التي سكوها وتجمع من الفلاحين بالعملة المملوكية القديمة فمثلا في بداية الحكم العثماني كانت البارة المملوكية القديمة تساوي الواحدة منها ٢/٥ من البارة العثمانية الجديدة التي سكها العثمانيون وكانت مهمة الصراف تحويل العملة التي يدفعها الفلاحون من العملة المملوكية القديمة الى ما يساويها من العملة العثمانية الجديدة وما عليهم منها ، والصراف هو الذي يتولى الحساب مع المتلتزم وكان يأخذ أتعابه من الفلاحين ومن المخرجات (٤) .

(١) دفاتر التزعات الولايات القبلية بالعملة - دفتر رقم ٢٢٩ لسنة ١١٣٩ هـ ميز ٤ مخزن تركي .

(٢) الضريبي : من الصوف ج ١ ص ٦٥ .

(٣) GIBB and BOWEN : Islamic society Vol. 1 p. 262.

(٤) عرف مجموع المال الذي فرضه العثمانيون على الأرض الزراعية من ضرائب باسم المال لفر . ويجمعه للمتلتزمون من الفلاحين ثم يقسم الى الأقسام الآتية :

- ١ - نصيب السلطان ويعرف بالمال الجري .
- ٢ - نصيب جهات مختلفة كتذاكر الجاويشية .
- ٣ - نصيب الإدارة المحلية ويعرف بالكشوفية .
- ٤ - ما يتبقى للمتلتزم نفسه بعد تادية ما سبق ويعرف بالنافض .

ويشارك الصراف في مهمة تقسيم الضريبة بين الفلاحين وجمعها منهم .



شيخ البلد

الذي يختاره الملتزم من أغنى وأكبر عائلات القرية والذي كان يرأس الموظفين المحليين بها ويقوم معهم ومع وكلاء الملتزم بالواجبات الادارية المطلوبة من الملتزم من رعاية الأمن المحلي وتنظيم استغلال الأرض وجمع الضريبة المفروضة على الفلاحين (١) .

وإذا كان الملتزم بالتزامات واسعة كان عليه أن يعين عددا من الشيوخ لمختلف نواحي أراضيه ولهذا وجد أكثر من شيخ في القرية الواحدة .

وكان على الشيخ (٢) أن يوفر الأمن للفلاحين الذين يزرعون الأرض تحت رعايته ويرتب لذلك الفرض حراسا عرفوا بالحقير وهم مكلفون بمنع السرقات التي تحدث في المزارع ، وتنبيه الأهالي عند اقتراب غارات العربان على القرى .

وكان أهم واجبات هذا الشيخ الاشراف على أراضي القرية والرقابة على أهالي البلدة ، وهو مكلف بصيانة حقوق الملتزم من عبث وأعمال الفلاحين وهو الواسطة في إبلاغ أوامر الملتزم اليهم وعرض طلباتهم والتماساتهم عليه ، وقد كانت هذه الوظيفة وراثية في العادة .

= وقد زلزال المال الحر زيادتين كلامها بدون وجه شرعي أحدهما البرالي أو الخفاف وينقسم الى قديم ومسجد .

والآخر الكشوفية المستجدة .

وقد اطلق لفظ المهرجات على المال الذي كان يؤديه الفلاحون ولا يدخل في حساب أموال السلطان .

شفيق غربال :

مصر عند مفترق الطرق ... ص ٢٤ .

Shaw : The financial and administrative organization ... p. 54, (١)

(٢) Michel-Ange Lancret : Memoire sur le Systéms d'imposition territoriale et sur l'administration des provinces de l'Egypte dans dernière années du gouvernement des Mamlouks, dans Des cription de L'Egypte Tome Onzié, p. 480.

وكان للشيخ أن يعاقب الزراع المهملين فى زراعة الأرض ، أو الماطلين فى دفع الضرائب المستحقة عليهم وكان هذا الشيخ هو الذى يقوم بتنفيذ قرارات قاضى المحكمة المحلية - عن طريق المشد - .

والقضاة المحليون أو الاقليميون هم الذين كانوا يمثلون مصالح الدولة ويتخذون محاكمهم فى كل المدن والقرى الرئيسية فى المقاطعة وتشمل أحكامهم الشئون القضائية بالإضافة للشئون المالية والإدارية فقد كانت تعقد فى محاكمهم كل الاتفاقات الخاصة بنبادل الالتزامات المتبادلة بين الفلاحين والملتزمين . . والأمثلة على ذلك كثيرة جدا وقد رأيت مجموعة منها فى الأوراق التى قدمها لى أحفاد الشيخ همام بقنا ومنها على سبيل المثال .

(أ) حجة صادرة من محكمة فرشوط سنة ١١٨١ هـ خاصة برهن زيدان المنقورى وأخيه عمران للشيخ همام مساحة وقدرها ٢٥ فداناً بناحية ادفوا بأسوان وذلك لتأخرهما فى سداد ما عليهما من خراج للشيخ همام وقد أقرأ بذلك أمام قاضى محكمة فرشوط .

(ب) حجة أخرى صادرة من محكمة بهجورة بيجرجا سنة ١١٧٧ هـ يقر فيها محمد الانصارى البهجورى بتنزله عن فدان من أرضه للشيخ همام نظير مبلغ معين اقترضه منه وعجز عن تسديده له .

(ج) حجة أخرى صادرة من محكمة فرشوط بيجرجا يرهن فيها أحمد على عيسى اللخندور فداناً للشيخ همام نظير مبلغ معين من المال كان فى ذمته للشيخ همام متأخر خراج وتلك القطعة من أرض حطيظه وهو نوع من الأرض اغتاله العرب عنوه وتملكوه وهو لا يدفع عنه ضرائب ويعرف باسم الأطنان المسموح وهذا النوع من الأراضي كان منتشراً فى الوجه القبلى وقليلاً فى الوجه البحرى (١) .

وكان للقضاة أيضاً الحق فى تلقى الشكاوى التى يتقدم بها الفلاحون ضد الملتزمين ووكلائهم ثم يقومون بارسالها للباشا مع التوصية بما يجب عمله (٢) .

وقد تحولت معظم سلطات هؤلاء القضاة الى أيدي الملتزمين فى القرن الثامن عشر وسنرى أعظم مثل لذلك فى عهد الشيخ همام فى الفصل التالى .

Laqueret, Description de l'Egypt Vol. I p. 491. (١)
SHAW : The financial and administrative organization, p. 58. (٢)

وقد كان شيخ البلد هو المختص بتنفيذ قرارات قاضي المحكمة المحلية عن طريق المشد الذي يختاره الملتزم من بين فلاحى المنطقة ويمثل مساعد القاضي .

وفى القرن الثامن عشر غدا المشد هو الملفذ لأوامر الملتزم الخاصة بمعاينة الفلاحين المتنعين عن أداء الأموال المقررة عليهم (١) .

وبصد رى أراضي القرية وقبل بدء زراعتها كان الحولى أو المساح يقيس أرضها الزراعية والحولى (٢) هو المختص بمعرفة حدود القرية وتحديد أرض الأثر لكل فلاح ووقت البذر .

والأثر هو قطعة الأرض التى يمنح الفلاح الحق فى زراعتها واستهلاك جزء من انتاجها وقد تغيرت وتطورت طبيعة هذا الحق خلال مصور الحكم العثماني لمصر .

وقد كان للفلاح الحرية فى اختيار المحاصيل التى يزرعها فى أثره بدون تدخل الملتزم وإن كان ذلك أمرا تحكمه العادات والتقاليد الموروثة .

وكان للفلاح أن يزرع أثره طالما هو يؤدى الضرائب المطلوبة للملتزم الذى لم يكن يستطيع طرده من أرضه إلا اذا توقف عن دفع الضريبة المطلوبة منه وثبت عجزه عن فلاحه أرضه .

وقد كسب الفلاحون فى القرن ١٧ حق نقل آثارهم الى ورثتهم .

وفى القرن ١٨م أصبح من حق الفلاح أن يتنازل عن أرضه لأى شخص یرتضيه مقابل ثمن معين .

وكان الفلاح غير القادر على زراعة كل أثره يستطيع أن يرهن جزءا من أرضه للملتزم فى مقابل مبلغ من المال يمكنه من زراعة باقى أثره. وتصبح أرضه مرهونة حتى دفع المبلغ وحينئذ له أن يستردها وهو ما عرف برهن الفاروق (٣) .

أما اذا عجز الفلاح عن سداد المبلغ الذى اقترضه نظير رهن الأرض فان ممتلكاته الشخصية وتشمل (الماشية والآلات الزراعية تصادر وتباع) .

ومن أهم رجال الإدارة المحلية فى القرية :

Estève : Description de L'Egypte Vol. 2, p. 67.

(١)

Landert : Description de l'Egypte Vol. XI, p. 486.

(٢)

GIBB and BOWN ; Islamic society ... Vol. 1 p. 263.

(٣)

الشماعه :

ويمينه الملتزم من أهالى المنطقة أيضا وهو الذى يحفظ السجل المدرج به بيان الأراضى فى القرية ونوعها وحصص الفلاحين وأسماء الملتزمين فيها والتفريات التى تطرأ على أراضى القرية .

وقد لقب بالعدل للدلالة على الاستقامة التى يجب أن تتميز بها أعماله (١) .

يأتى بعد ذلك :

الوكيل (٢) :

ومنوط به إدارة أراضى الأوسية والاستعانة بالخولى على زراعتها ويجبى إيراداتها ويتصرف فيها طبقا لأوامر الملتزم .

ثم . . الكلاف (٣) :

أو الراعى وهو مكلف تحت اشراف الوكيل بالصيانة بمواشى وغنم الوسية وقطمانها .

وقد كان فى القرية عمال آخرون مثل :

الامام ، الحلاق ، النجار ، ويتناولون أجورهم من الفلاحين ويقدمون الخدمات لهم .

وقد اختلفت إدارة القرى فى الصعيد عن الوجه البحرى بعض الشيء . فقد كان الكشف فى الصعيد هم الذين يديرون قرى الكشوفية وهى القرى التى كان دخلها مخصصا للباشوات ، وكانت مفصولة لذلك عن أرض الالتزام وكان هؤلاء الكشف من الموظفين المماليك من الدرجة الثانية أى لم يصلوا بعد الى رتبة البكوية بعكس الكشف فى الوجه البحرى الذين كانوا حكاما اقليميين من الموظفين المماليك من الدرجة الأولى أى من البكوات ، لانه تبع توحيد اقاليم الصعيد كلها من المتيا الى أسوان تحت إدارة حاكم جرجا الفاء نظام الكشف حكام الأقاليم من الصعيد ولم يبق بالصعيد سوى الكشف الذين يديرون قرى الكشوفية وقد خضع هؤلاء كما خضع حاكم جرجا فى عهد الشيخ هممام لسيطرتة وقفوده .

(١) Estéve Vol. 12 p. 66 Description de L'Egypte Vol. 12. p. 68.

Vol. 12, p. 68.

Ibid, p. 68.

نفس المرجع

(٢) نفس المرجع - نفس الجزء

وكانت أراضي القرى في الصعيد على الشيوع أى أن أطيان كل بلدة لم تكن مقسمة الى تكاليف قائمة بذاتها يمتلك كل فلاح منها تكليفا خاصا به (أثرا) كما هو الحال في الوجه البحرى وكذلك الحال بالنسبة لأراضي الملتزمين الأوامى •

فقد كانت أرض الأثر والأوامى عرضة للتغيير كل عام وعقب انحسار المياه عن الأرض وإمكان زراعتها كان الملتزم ينتدب مساحا غالبا ما يكون من الأقباط يسمح الأرض القابلة للزراعة بحضور الملتزم أو نائبه •

فالأراضي التي يخصصها للفلاحين تكون أثر السنة وتفرض عليها ضرائب مماثلة للضرائب التي يحصلها الملتزمون في الوجه البحرى •

والأراضي التي نخصص للملتزمين تكون هي الأوامى •

وتثبت حدود ومقدار النوعين في أوراق رسمية وطريقة القسمة السنوية هذه سببها عدم انتظام الرى الامر الذى كان يترتب عليه أن الأراضي الصالحة للزراعة في احدى السنين قد تكون شراقي أو باثرة في السنة التالية وبالعكس (١) •

وعملية المساحة في الصعيد كانت تقوم مقام سجل الشاهد في الوجه البحرى •

والجانب الذى كان يطلق عليه اسم الصراف في الوجه البحرى كان يسمى في الوجه القبلى السامل أو القابض •

أما باقى موظفى القرية فكانت واجباتهم مماثلة تماما لأمثالهم في الوجه البحرى (٢) •

وقد قام الملتزم في قرى مصر العثمانية (٣) بمركز البنك الزراعى بالنسبة للفلاحين • فقد كان هو الذى يقدم لهم رأس المال المطلوب لشراء الحبوب اللازمة للزراع ، ولإصلاح الآلات والأدوات المستخدمة في الزراعة والنفقات اللازمة لتبديل حيواناتهم المستخدمة في الحرث والمصروفات اللازمة لدفع أجور الأشخاص الذين يجمعون المحصول •

Lancet : Description de L'Egypte Vol, 11, p. 484.

(١)

Lancet : Description de L'Egypte Vol, 11, p. 486.

(٢)

SHAW : The financial and administrative organization .., p. 56.

(٣)

وكان الملتزم كذلك يقدم لموظفي القرية أجورهم قبل جمع الضرائب
المخصصة لدفع أجورهم •

هكذا توفر للملتزم نفوذ كبير على الفلاحين •

وعندما فقدت الحكومة المركزية قدرتها على السيطرة على الملتزمين
اندفع هؤلاء ويدافع المصلحة الشخصية الى استغلال الفلاحين الى أقصى
حد يفرض الضرائب الإضافية غير القانونية عليهم وتحصيل أقصى ما يمكن
تحصيله منهم من الأموال والغلال زيادة على المقدار المفروض عليهم لأن
هذه الزيادة كانت تبقى للملتزمين بعد تسديد المال الميري •

وانتشرت هجمات الأعراب في كل مكان وهرب الفلاحون الى المدن
وتعذر على الحكومة اعادتهم بالرغم من قانون نامة السلطان سليمان (١) •

نص على أنه من واجب رجال الإدارة تتبع الفلاحين الفارين من
أرضهم والبحث عنهم واعادتهم لقراهم ومعاقتهم واجبارهم على العمل
في أراضيهم بالقوة •

ولكن لضعف سلطات الحكم فشلت في ذلك وأصبح اقفار الأرض
مشكلة حادة (٢) •

نصيب القبائل في الفلاحة والأرض في الصعيد

وقد قام بزراعة معظم القرى في الصعيد الفلاحون ورجال القبائل
العربية المنتشرة به ، وقد اتخذ شيوخ هذه القبائل مركز الملتزمين ،
وكانوا أكثر قدرة على حماية فلاحيههم من هجمات العربان من ملتزمي
الوجه البحري وتميزت المساحات المخصصة للملتزمين في الصعيد باتساعها
عن نظيراتها في الوجه البحري لسيطرة العصابات القبلية على الالتزام
في الصعيد وفي الصعيد ولم يكن عمل الفلاحين شاقا كالوجه البحري
حيث قاسى الفلاحون أشد أنواع الظلم والعذاب وتعرضوا لمظالم كثيرة •

فقد بلغ من ظلم الملتزمين في الوجه البحري أنهم كانوا يأخذون
أبناء الفلاحين (حتى ولو كانوا مشايخ بلد) رهينة عندهم حتى يفي

H, A, R, Gibb and Harold Bowen Islamic society Vol, 1, p, 280, (١)

S. J. (Shaw) : The financial and administrative organization ... (٢)
p, 56.

آياؤهم بما حلّهم من أموال متأخرة (١) وكانوا يفرضون عليهم المغارم القاسية ومنها .

غرامة الأكل (أو الوجبه) (٢) وهي عبارة عن الزام الملتزم ورجاله من صراف ومشهد للفلاحين بتقديم المأكّل والمشرب لهم طوال مدة اقامتهم فى القرية ، وكانوا يكلفون الفلاحين فى هذا أكثر من طاقتهم لأنهم لا يرضون منهم الا باطليب وأغلى أنواع المأكولات التى كان الفلاح نفسه محروما منها .

وهذه الغرامة لم تكن موجودة فى الوجه القبلى لأن الملتزمين كانوا من شيوخ العرب الأثرياء المقيمين فى الصعيد دائما ولا يلزمهم أن يفرضوا على الفلاحين مثل هذه المغارم ومن المغارم الأخرى التى عانى منها فلاحو الوجه البحرى غرامة البطالين .

أى استخدام الفلاحين بغير أجر فى العمل فى أرض الملتزم الخاصة الوسية .

وكان يصحب تحصيل الأموال فى قرى الوجه البحرى الحبس والضرب والأهانات البالغة للعاجزين عن سداد الخراج الذين يضطرون الى اقتراض المال بالربا أو بيع ماشيتهم أو رهن حلى زوجاتهم وإن لم يفلحوا فى ذلك كان الصراف يأخذ أبنائهم رهينة حتى سداد ما عليهم أو يأخذ أخوتهم إن لم يكن لهم أولاد أو أحد أقاربهم .

وقد عانى فلاحو الوجه البحرى الكثير من المناء من استخدامهم سخرة فى حفر السواقي وزراعة أرض الوسية الخاصة بالملتزمين .

فكان المشد يأمر الحفير بالمناداة على الفلاحين ببدء العونة يا فلاحين العونة يا بطلين ويبدأ بعد هذا فى جمع الفلاحين بالقوة للعمل سخرة فى أرض الوسية .

وكان الفلاحون يعتبرون هذه السخرة (العونة) مصيبة كبرى لأنها كانت تعطلهم عن عملهم نفسه (٣)

بالاضافة الى تعرض الفلاحين فى الوجه البحرى لهجمات الأعراب القاسية الذين كانوا يسلبونهم حاصلاتهم ويستحذون عنوة على أجود أطيانهم (٤)

(١) الجبرنى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٠ .

(٢) المريئى : مر الحوف فى شرح قصيدة أبى شوق . ج ٢ ص ١٨٦ .

(٣) المريئى - مر الحوف ٠٠٠٠ ج ٢ ص ٢٢٠ .

Girard : description de L'Egypte Vol, 17, p. 43.

(٤)

وكان فلاحو الوجه القبلي أسعد حالا من فلاحى الوجه البحرى لأنهم كانوا معافين من كثير من الرسوم والضرائب غير القانونية التى تأن يدفعها فلاحو الوجه البحرى مثل ٠٠٠٠ البرانى الجديد (١) .

وقد اتسع نفوذ الملتزمين من صيوخ العرب فى الصعيد لما كانوا عليه من ثراء وعصبية قبلية لتمتعهم بالالتزامات الواسعة .

ففى ولاية جرجا سيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضى الصعيد بحيازتهم للالتزامات الزراعية مما أدى الى إعادة النفوذ والسيطرة اليهم وكان ذلك ناتجا عن اتساع سلطة الملتزم عامة فى القرن الثامن عشر حيث غدا الملتزم فى أراضيه هو صاحب السلطة والمثل للدولة وحاكم المنطقة ومديرها ماليا وإداريا ويتضح ذلك تماما فى عهد الشيخ همام الذى تمكن من السيطرة على معظم أراضى الصعيد بالتزاماته لمساحات واسعة من الأراضى امتدت من المنيا الى أسوان (٢) .

وفى تلك المنطقة بسط الشيخ همام نفوذا واسما غدا حاكمها الفعلى وسيدها المطاع .

(١) البرانى القديم والجديد :

وقد عرفنا باسم : مضاف قديم ، مضاف الجديد .

ولم يكن هناك نص صريح لفرض هذين الرسمين اللذين لم يكونا فى الأصل الا نوعا من الإكراميات أو المنم التى كان الفلاحون يؤدونها مقابل قضاء مصالحهم أو جريا على العرف .

ويرجع تحصيل البرانى القديم الى عهد بيمبا جدا وقد غدا قانونيا مثل المال المصرى .

وفد لفرض البكوات المالك البرانى الجديد منتحلين لأنفسهم تلك الأسباب التى ارتكزوا عليها فى فرض البرانى القديم . وجمع قيم هذين النوعين توفى لقدنا .

Estève : Description de l'Egypte Vol. 12, p. 84.

(٢) دلائل الالتزام القديمة : دفتر رقم ١٨٨ لسنة ١٨١٨م عين ٨ مخزن تركى .

الفصل الرابع

شيخ العرب همام

نشأته ، أسرته ، علاقتها بالمنطقة ،
بالحكام ، العوامل التي ساعدت على ظهور
همام ، دوره كملتزم ، حكومته ، نفوذه ، أثر
سيطرته في جرجا على الحياة الاقتصادية
والسياسية فيها .

شيخ العرب همام بن يوسف

في قرية فرشوط (١) بمحافظة قنا كان مولد شيخ العرب همام ابن يوسف في تاريخ لا نعرف تحديده بالضبط ، ولكننا اذا أخذنا برواية الرحالة فانه يقع حوالي ١٧٠٩م / سنة ١١٢١هـ (٢) أما وفاة الشيخ همام فتاريخها محدد فقد حدها الجبرتي (٣) باليوم الثامن من شهر شعبان سنة ١١٨٣هـ نوفمبر سنة ١٧٦٩م وتؤيد دفاتر الالتزامات بالقلعة وقوع وفاة همام في هذا العام أيضا ، فقد ورد بدفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣هـ عن ٨ مخزن تركي أن أولاد الشيخ همام وهم درويش وشاهين وعبد

(١) زار الرحالة بروس فرشوط في يناير سنة ١٧٦٩ وذكر عنها انها مدينة تقع في سهل زراعي واسع على ارتفاع ٩ أميال أسفل الجبل ، وتشتهر بزراعة القمح وقصب السكر وأنه كان بها دير للرهبان الايطاليين يتبع دير أخميم ، وأن هذه الاديرة قد أنشأت لتزويد المسافرين بين مصر واليويا بالمساعدات وتقديم التسهيلات الممكنة لهم ، ولكنه أضاف ان كرم مشايخ العرب الأغنياء في مصر العليا ، والنسائيتهم ومعاملتهم الكريمة للفرهاء جعلت وجود هذه الاديرة عديمة الفائدة .

Bruce : Travels to discover the Source of the Nile Vol. 2, p. 22,

وفرشوط الآن قرية كبيرة من محافظة قنا وتقع غربي النيل تتبع مركز نجع حمادي

(٢) زار بروس فرشوط وقابل شيخ العرب همام في يناير سنة ١٧٦٩م وذكر انه يقدر سن همام حينئذ بها ٧ يزيد عن ستين عاما .

Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 23,

(٣) الجبرتي عجائب الآثار ج ١ ص ٢٤٤ .

الكريم قد حلوا في بعض الترمات والدهم المرحوم الشيخ همام بنسأه على بيورلدى صدر من على بك قائمقام مصر في ذلك الوقت وكان ذلك ٢١ رمضان سنة ١١٨٣هـ / ديسمبر سنة ١٧٦٩م أى في الشهر التالى لشهر شعبان الذى توفى فيه الشيخ همام كما ورد برواية الجبرتي .

وقد نشأ همام في بيت ورت الثراء والمكانة أبا عن جد فقد كان همام ابنا للشيخ يوسف بن الشيخ أحمد محمد همام الذى آلت اليه زعامة قبائل الهوارة في أواخر القرن الحادى عشر الهجرى / السامع عشر الميلادى .

وقد تمتع الهوارة عامة ببراء واسع ، وكان معظم شيوخهم على جانب كبير من الثراء ، فمنذ نزل الهوارة الى الصعيد واستقروا في جرجا امتدت سطوتهم فيها ، واتسع ثراؤهم ، وكان كبيرهم الذى يتولى رياستهم يقيم في فرشوط ، وله نفوذ في الصعيد كله ، وقد ظلت لشيوخ الهوارة رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٨٩٣هـ / سنة ١٥٧٥م (١) .

وقد كانت الاسرة التى انحدر منها الشيخ همام وهى أسرة الهامية على صلة طيبة بالفلاحين في الصعيد ، فقد استطاعت بما توفر لها من عصبية قبلية قوية حماية فلاحى الصعيد من المظالم التى كانت تلحق بباقي الفلاحين في أنحاء مصر الأخرى .

وقد كانت علاقة أسرة همام بالحكام في العصر المملوكى علاقة يغلب عليها طابع العداء شأن كل العرب القاطنين في مصر للكرامية المصرية بين العرب والماليك .

وفي العصر العثماني المملوكى تأيم الهوارة سياسة العداء ضد السلطات الحاكمة في صورة تمرد وامتناع عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم ، ولا شك أن اسرة همام وخاصة جده الشيخ محمد أحمد همام كان مع الهوارة الذين تمردوا على السلطات الحاكمة ورفضوا تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم للفولة سنة ١١٠٧هـ / سنة ١٦٩٥م عندما قاد عبد الرحمن بك حاكم جرجا الحملة (٢) التى سورتها الحكومة ضدهم ، ففقت على تمردهم ، واعادتهم الى حظيرة الطاعة ، وأعيدت اليهم التزاماتهم (٣) التى رفعتها عنهم الدولة أثناء هذا التمرد ، وكان أبرز

(١) على مبارك - الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٣ .

(٢) من حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الأول .

(٣) دلائل التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ١٣٦ لسنة ١١٠٧هـ ع ٣ .

الملتزمين من الهوارة حينئذ الشيخ يوسف بن أحمد محمد همام والد
الشيخ همام بن يوسف ، الشيخ أحمد بن محمد همام جد الشيخ همام
ابن يوسف .

وقد ساعدت نشأة همام في بيت ورت النراء والمكانة أبا عن جد
على ظهوره كشخصية هامة تولت زعامة الصعيد بالإضافة لضيف السلطة
الحكومية في عصره ، إذ كانت سلطات الحكم العثماني في مصر قد
وصلت الى درجة كبيرة من التدهور ، وحفل العصر بمنازعات العصبية
الملوكية ، وتنازعا على السلطة مما أدى الى تدهور قوتها أيضا ، وترك
الباب مفتوحا أمام ذوي العصبية القبلية ليظهروا على مسرح الأحداث
السياسية ، ويسيطروا نفوذهم ويسيطروا على مناطقهم .

وقد ورت همام عن أبيه الشيخ يوسف التزامات واسعة شملت
معظم أراضى الصعيد من النبا الى أسوان ، وقد آلت هذه الالتزامات الى
الشيخ يوسف وروثة عن أبيه الشيخ أحمد بن محمد همام الذي كانت
التزاماته تمتد من المنيا الى أسوان (١) فقد أخذ شركة مع اقاربه
التزامات أراضى :

حرجة الحرازة ، بخانس وقصير بخانس ، عرب قصاص ، هو ،
بهجورة ، فرشوط ، الكوم الأحمر ، قوص ، سنابة ، أولاد ما من ،
الخارفة ، الروافع ، كوم بدار ، أولاد شلول ، جرف أبو عميرة ، أرض
وقف ملك أشرف برسباي ، المسيرات ، أولاد جامع ، جزيرة الموارنة ،
أرض طباطبا ، شيخية ، خلجان ، قرأى وريفه بأسسيوط ، ادفا وبني مزار ،
تصيرية وصعايدة ، وأبنوب .

وقد ورت الشيخ يوسف عن أبيه زعامة قبائل الهوارة لانه كان
أكبر إبنائه وأبرزهم ، وكذلك كان الحال بالنسبة للشيخ همام فقد كان
أكبر أبناء الشيخ يوسف فألت اليه وراثة عن أبيه كل تلك الأراضى
الشاسعة ، وزعامة قبائل الهوارة في الصعيد .

وقد توفرت للشيخ همام شخصية ساحرة استطاعت ان تمنى
ما ورت من نراء وأن تحتفظ بزعامة الهوارة ، بل وأن تمتد تأثير تلك
للزعامة الى آفاق أوسع وأعظم مما كان لها في عهد أبيه وجده .

(١) طالع الالتزامات الولايات القبلية بالقائمة دفتر رقم ١٥ لسنة ١٩٠٦ هـ عن ٢ .
مخزن تركي .

ويتولى الشيخ همام الوظيفة المنزوم وحسن استغلاله لها ولما ورثه من ثراء ومن عصبية قبلية ، وصفات شخصية كالذكاء والكرم والطموح استطاع أن يتزعم عرب الصعيد ، وأن ينشئ الصلات الواسعة المتعددة الجوانب مع حكام مصر وعلمائها ومع الدولة العثمانية نفسها فقد ذكر الرحالة BRUCE (١) الذي زار همام سنة ١٧٦٩م / سنة ١١٨٣هـ أن الشيخ همام كان على صلة طيبة بالدولة العثمانية نفسها وكان يطلب منها ما يريد مباشرة مما أثار عليه غيرة بكوات القاهرة ، مجتدا ما كان من طيب العلاقات بين أجداده (٢) وبين الدولة العثمانية .

وقد لعب الشيخ همام دورا هاما في حياة الصعيد بل وحياة مصر كلها في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ونحو عشرين عاما من النصف الثاني منه .

وكان من أهم العوامل التي ساندت همام وساعدته على القيام بدوره ثراؤه الطائل الذي هيأته له التزاماته لمعظم أراضي الصعيد ، وقد هيأ نظام الالتزام للهوارة عامة فرصة عظيمة لاستعادة نفوذهم وسلطانهم اللذين تمتعا بهما في العصر السابق للعصر العثماني .

وقد بدأت سيطرة همام على أراضي الصعيد تبرز ابتداء من عام ١١٠٥هـ سنة ١٦٩٣م (٣) ، وكان أبرز الملتزمين منهم كما قدمنا الشيخ أحمد بن محمد همام جد الشيخ همام بن يوسف الذي سيطر على أراضي واسعة امتدت من المنيا الى أسوان أى سيطر على معظم أراضي الصعيد بالإضافة لعدد من الملتزمين الآخرين من أقاربه ومن المماليك ومن العرب الآخرين .

وقد شارك الشيخ يوسف والده أحمد بن محمد همام في تولي التزام أراضي الصعيد .

وابتداء من عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م (٤) ظهر اسم الشيخ همام يوسف كملتزم لأول مرة وأشير اليه في دفاتر الالتزام باسم : همام ولد الشيخ يوسف أحمد حيث اشترك مع والده وأقاربه في التزام أراضي : هو ، بهجورة ، والكوم الأحمر وتوايها .

Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 23, (١)

(٢) من صلة أولاد عمر بالشمايين انظر ص ٤٢ ، ٤٣ من الفصل الأول .

سخن تركي .

(٣) دفاتر التزامات الولايات الكبلية بالقلمة دفتر رقم ١٨ لسنة ١١٠٥ هـ عي ٢

(٤) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٢٢٣ لسنة ١١٣٤هـ عي ٤ سخن تركي .

وكانت السيطرة على أراضى الصعيد قبل ظهور الشيخ همام
ابن يوسف للهوارة يليهم الماليك يليهم العرب الآخرون وتركزت أراضى
الماليك والعرب الآخرين فى :

• اسيوط ، طهطا ، طما ، أخميم ، مدينة جرجا نفسها •

وتركزت أراضى الهوارة فى :

• قنا والأقصر ، أسوان •

حيث كانت تتركز القوة الفعلية للهوارة ، وحيث كانت تنتشر
منازلهم وقراهم فمعظم فروع قبيلة الهوارة وأكثرها فاعلية وقوة كانت
وما زالت حتى الآن تملطن محافظة قنا •

فقد سيطر الهوارة على معظم أسهم تلك المقاطعات •

• اسيوط ، أبو تيج ، أبو مقروفة ، نخيله ، فاو الكبرى ، وطهطا ،
وشندويل ، شرق أخميم ، منشأة أخميم ، وطما •

أى سيطروا على عشر مقاطعات من مقاطعات ولاية جرجا الاحدى
والعشرون •

أما المقاطعات التى كانت تقع جنوبي ذلك وعددها احدى عشرة
مقاطعة وهى مقاطعات خولجان ، بغاناس ، عرب قصاص ، الأقصر ،
بياضية ، برديس ، فرشوط ، هو وبهجورة وتوابها ، حراجية قنا ،
قسوس •

فقد سيطر الهوارة على معظم مقاطعات :

وثلاث الملتزمين فى ولاية جرجا قبل ظهور الشيخ همام موجودة
بالملاحق (١) •

ومنذ ظهر الشيخ همام بن يوسف كملتزم بصورة رسمية فى سنة
١١٣٤هـ/ سنة ١٧٢١م وهو يواصل زحفه على أراضى الملتزمين الآخرين
فى الصعيد من هوارة ومماليك وغيرهم وقد اختفى اسم الشيخ يوسف
والد همام من دفاتر الالتزام منذ عام ١١٥٠هـ/ سنة ١٧٣٧م واستقل
همام بأراضيه وبدأ يزحف على معظم أراضى الملتزمين الآخرين ويحصل على
أراضيهما بإشراف الدولة ورعايتها •

(١) ملحق رقم ٤ ص ١٦٢ - ١٦٦ •

وقد بدأت سيطرة الهوارة على أراضي الصعيد بالالتزام منذ عام ١١٤٢هـ/سنة ١٧٣٩م فقد ضم اليه في هذا العام التزامات معظم أراضي بلصفورة وأخميم .

وفي عام ١١٤٥هـ/سنة ١٧٣٢م ضم اليه معظم أراضي طهطا واسنا . وفي عام ١١٤٦هـ/عام ١٧٣٣م زحف على أراضي المنيا في بني مزار وأخذ عدة قرى من مقاطعة أسيوط .

وما ان أتى عام ١١٦٣هـ/عام ١٧٤٩م حتى وجدنا ان الشيخ همام وأقاربه من الهوارة وشركائه (من وكلائه مثل الحاج عبد الرحمن ، الحاج ابراهيم الخضرى) قد سيطروا على معظم مقاطعات ولاية جرجا فاخذوا التزامات مقاطعات :

برديس ، فرشوط ، هو وبهجورة ، عرب قصاص ، الأقصر قوص ، قنا وتوابعا ، بخانس ، خلجان ، بياضية .

أى سيطروا على عشر مقاطعات كاملة من أصل احدى وعشرين مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا وهى :

- ١ - مقاطعة أسيوط وتوابعا .
- ٢ - مقاطعة أبو تيج .
- ٣ - مقاطعة أبو مرقوفة .
- ٤ - مقاطعة نخيلة وتوابعا .
- ٥ - مقاطعة فاو الكبرى .
- ٦ - مقاطعة طهطا وتوابعا .
- ٧ - مقاطعة شندويل .
- ٨ - مقاطعة شرق أخميم .
- ٩ - مقاطعة منشأة أخميم .
- ١٠ - مقاطعة برديس .
- ١١ - مقاطعة فرشوط وتوابعا .
- ١٢ - مقاطعة هو وبهجورة وتوابعا .
- ١٣ - مقاطعة خلجان .
- ١٤ - مقاطعة قنسا .
- ١٥ - مقاطعة طما وتوابعا .

- ١٦ - مقاطعة قسوص .
- ١٧ - مقاطعة بخانس .
- ١٨ - مقاطعة عرب قصاص وتوابيها .
- ١٩ - مقاطعة الاتصر .
- ٢٠ - مقاطعة بياضية .
- ٢١ - مقاطعة حراجيه (١) .

وذلك بالإضافة الى أجزاء من المقاطعات الاخرى مثل أراضي :

القبيلية والباراس ، بنى جميلة ، سمهود ، شرق المرج القبلى ،
البحرى ، بنى وركان ، بياضة ، أرض المنقذية ، طوخ ، النفاوة ، أبنوب ،
جرف أبو عميرة ، أولاد شلول ، خارفة ، أولاد طوق ، جزيرة المنبرية ،
أولاد مامن ، جراجوس ، بلاص ، سنابسة ، ادفو .

ثم بدأ الشيخ همام بعد ذلك ينفرد بمعظم أراضي الصعيد ، ويملحى
عنها ملتزميها من المماليك ومن أقاربه أيضا ومن العرب الآخرين .

وما ان أتى عام ١١٧٤هـ/ عام ١٧٦٠م (٢) حتى لم يبق فى ولاية
جرجا ملتزمون سوى الشيخ همام وعدد قليل جدا من أقاربه الذين
يكملون أسمه فى مقاطعاته ، وعدد قليل جدا من المماليك بالتزامات
ضئيلة .

وقد استولى همام على أراضي أسرة الاخميمى أقوى الاسر العربية
المنافسة للهوارة فى الصعيد فاخفى اسم آخر رجالها وهو الأمير عيسى
كمالى الاخميمى من دفاتر الالتزام الخاص بولاية جرجا سنة ١١٧٤هـ/
١٧٦٠م (٣) ، وقد زال نفوذ هذه الأسرة وتلاشت مكانتها من حياة
ولاية جرجا بعد ذلك (٤) .

(١) دفاتر الالتزام بالقلمة : دفتر أصول عوايد مقاطعات : رقم ٣٣٧ لسنة
١١٥٩هـ عيّن ٥ مخزن تركى .

(٢) دفاتر الالتزام بالقلمة - دفتر رقم ٣٤٣ لسنة ١١٧٤هـ عيّن ٨ مخزن تركى .

(٣) دفاتر الالتزام بالقلمة - دفتر رقم ٥١٨ لسنة ١١٨٨هـ عيّن ٨ مخزن تركى .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol, 2, p. 8.

وما أن أتى عام ١١٨١هـ/عام ١٧٦٧م حتى تمت للشيخ همام السيطرة على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان .

فقد كان في التزام الشيخ همام في ذلك العام التزام المقاطعات الآتية كاملة وهي :

مقاطعات برديس ، قنا ، الأقصر . بياضية ، شرق أخميم ، هو وبهجورة وتوابها ، عرب قصاص ، خلجان وسيمود ، طهطا ، حراجية ، شندويل ، منشأة أخميم ، فرشوط ، طما ، قوص ، بخانس .

وقد انفرد الشيخ همام بهذه الالتزامات وسيطرة على التزامات ١٦ مقاطعة كاملة من ٢١ مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا أما المقاطعات الخمس الباقية وهي : —

أسيوط . أبو تيج ، أبو مقروفة ، نخيلة وتوابها ، فاو الكبرى . فقد كانت لهمام أجزاء كثيرة في بعضها ولأمراء الماليك وللعرب الآخرين باقى أجزائها .

فكان للشيخ همام في مقاطعة أسيوط التزام .

شرق بويط بقدر ١٢ ط ، بنى وركان ١٢ ط ، ادفا وبنى مزار ٢٤ ط . قرأى وريفة ١٢ ط .

وكان له في منطقة أسوان :

منطقة ادفو بقدر ٢١ ط . نصيرية وصماينة ١٨ ط وقد بقيت هذه الالتزامات للشيخ همام حتى وفاته في سنة ١١٨٣هـ/سنة ١٧٦٩م بل لقد وصلت قوة همام وقبل بدأ النزاع الأخير بينه وبين على بك الى حصوله على جزء كبير من أراضي على بك نفسه في ناحية بنى نصر بمنفاوط بمقاطعة ابي تيج (١) .

وتفصيل زحف الشيخ همام على أراضي الصعيد منذ بلده ظهوره كملتزم سنة ١١٣٤هـ/سنة ١٧٢١م حتى وفاته سنة ١١٨٣هـ/سنة ١٧٦٩م موجودة في الملاحق (٢) .



(١) هذا التنازل وارد بالحجة للشهرة بالملاحق ملحق رقم ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) ملحق رقم ٥ ص ١٦٢ - ١٦٦ .

ثراؤه .. حكومته .. نفوذه

تدتمت سلطة الملتزم للشيخ همام ثراء طائلا ونفوذا واسعا فقد ادى تدهور السلطة المركزية فى القرن ١٨ الى اتساع نفوذ الملتزم وحلوله محل الادارة الحكومية فى الاقليم الذى يتولى التزام اراضيه قائما فيه بحفظ الأمن وتحصيل الاموال الاميرية من الفلاحين وفض المنازعات بينهم سواء اكانت تلك المنازعات مدنية او متعلقة بزراعة الارض او جنائية .

وبسيطرة الشيخ همام على معظم اراضى الصعيد توفرت له ثروة طائلة (١) افاض الجبرتى فى وصفها فذكر أنه كان لهما :

(برسم زراعة قصب السكر اثنا عشر ألف ثور وهذا بخلاف المعد للحرث ودراس الغلال والسواقي والطواحين والجواميس والابقار الحلابة ..)

(وأما شئون الغلال وحواصل السكر والتمر بأنواعه ، فشيء لا يعد ولا يعد) .

وانه كان لدى همام الكثير من الأرقاء وأنه كان ينعم بالجواري والعبيد والسكر والفلل (٢) .

ولثراء همام الواسع وكرمه الشامل كان يمد بعض الناس بالمؤونة التى تكفيهم طوال العام .

وسيطرة الشيخ همام على معظم اراضى الصعيد وبجيازته لتلك الاراضى الواسعة الممتدة من المنيا الى أسوان بالالتزام كان عليه أن ينظم ادارة دقيقة لتلك الاراضى بما تضم من فلاحين وعمال وموظفين .

لذا أقام همام حكما اداريا دقيقا لتنظيم شئون اراضيه والعاملين فيها .

فكان لديه دواوين (مجالس ادارة) تضم جيشا من الكتبة ومعظمهم من الأقباط (لمهارتهم فى الشئون الحسابية) (٣) .

(١) الحساب : تاريخ حوادث وقت مصر من سنة ١١٢٠هـ/سنة ١٧٠٨م الى دخول الرئيس نسخة مصورة من خزنة باريس سنة ١٣٤٣هـ - دار الكتب المكتبة النيبورية رقم ٢١٠٧ تاريخ ص ٧٩ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٤٣ .

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٤٣ .

وكان هؤلاء يعملون في دأب متواصل أثناء النهار وأطراف الليل لانجاز حسابات همام الواسعة والمتعلقة بمعاملاته مع فلاحيه وشركائه .

وكانت تلك الحسابات تتعلق بأموال الخراج التي يقدمها الفلاحون للشيخ همام ما يقدمونه له منها وما يعتدرون عن تأخيرها ، وما يمجزون عن سدادها . ثم طلبات الفلاحين من طلب قروض لمساعدتهم على زراعة أراضيهم مقابل تقديم جزء منها كرهينة للشيخ همام حتى تسديده القرض في العام القادم .

وكان ذلك يتم بتقديم اقرار شخصي من الفلاح المقترض أمام الشيخ همام وموظفيه . أو أمام قضاة الاقليم وبحضور موظفي همام الذين كان عليهم أيضا تسلم الفلال والأموال التي يقدمها الفلاحون لهما . وعمل الحساب الخاص بها أي توزيعها حسب تعليمات الشيخ همام ما هو مخصص منها للدولة وما هو مخصص للشيخ نفسه وحساب نفقات وإيرادات ومصرفات ادارة همام الواسعة .

وكان الشيخ همام يباشر كل أعمال موظفيه يراجع حساباتهم ويملئهم أوامره وتعليماته ومكاتبته . . ومن تلك الأوامر ما يتعلق بمنازعات أبناء المنطقة سواء أكانت مدنية أو جنائية أو متعلقة بشئون الزراعة .

فقد اعتاد همام عقد مجالس عامة (١) جريا على عادة شيوخ القبائل المعروفة لسماع شكاوى أهالي المنطقة من الفلاحين وعرب لتنظيم ادارة أراضيهم الواسعة .

وفي تلك المجالس كان الشيخ يستمع بنفسه الى الشكاوى وبعد دراستها والتحقيق فيها كان يصدر حكمه عليها ويملئ له واحد كتابه ليسجل أمر الشيخ بما يراه في الشكاوى .

وكانت تلك الأوامر تصدر على أوراق صغيرة بحجم كف اليد وتحمل في نهايتها ختم همام وتوقيعه .

وفي أحد تلك الأوامر نجد الشيخ همام يأمر شخصا يدعى حسن

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٤٣ .

الأمير من أهالي فرسوط بأن يسلم شخصاً آخر اسمه على عبد الرحيم
ما يخصه من مساحة في منزل تحت يده (١) *

فهمام هنا يفض نزاعاً (مدنيا) بملكية منزل ويطلب من حسن
الأمير تنفيذ ذلك الأمر الذي (يقتضيه حكم الشرع) *

ومن الأمثلة الأخرى الخاصة بالمنازعات (المدنية) أمر آخر من
الشيخ همام لمحمد علي اسماعيل يأمره فيه بمنع رجاله من التعرض للأمير
محمد اسماعيل الذي يريد بناء مسكن لخفير عنده بجوار جامع مهديم
خاص بأسرة الأول ولكن البناء سيكون في أرض الشماكي ولذا يأمر
الشيخ همام محمد علي اسماعيل بمنع رجاله من التعرض له وتركه يقيم
البناء الذي يريده (٢) *

ومن المنازعات الخاصة بالزراعة والتي كان الشيخ همام يتسولى
أمرها أيضا ويصدر أوامره لتنظيمها *

الأمر الذي أصدره لعبد الرحمن اسماعيل الأمير يأمره فيه بإسداد
مقدار خمسين تليسا من الفلال ثلثها قمح وثلثاها فول إيجار الرزقة التي
يستأجرها من الحاج عمر والتي هي موروثة له عن والده وأن علي عبد الرحمن
اسماعيل الأمير ان يدفع له وللمستحقين الآخرين ذلك القدر من الفلال
منويا لاستحقاقهم له (٣) *

وفي أحد الأوامر الأخرى من هذا القبيل (٤) يأمر الشيخ همام
أحد أقاربه وهو الشيخ أبو بكر أحمد بمنع رجاله من التعرض لشخص
اسمه غزالي الأمير (من أسرة الأمير) اشترى من همام ثلاثة قراريط ونصف
وسدد له ثمنها كاملا ، ولكنه أي الشيخ أبو بكر أحمد حرض عليه رجاله
لمضايقته وحجز قطعة من هذه الأرض. *

ويذكره همام في هذا الأمر بأن هذه الأرض من أرضه شخصيا
(الفقرة من أصلها لنا) *

(١) هذا الأمر والأوامر الواردة في الصفحة التالية من الأوراق التي حصلت عليها
من زيارتي لأحد الشيخ همام بفرسوط وهذا الأمر منشور بالملاحق ، ملحق رقم ٣
ص ١٦٠ *

(٢) هذا الأمر منشور بالملاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦٠ *

(٣) هذا الأمر منشور بالملاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦١ *

(٤) هذا الأمر منشور بالملاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦١ *

وقد ضمت ادارة الشيخ همام بالاضافة للعديد من الكتبة عددا من المباشرين الاقباط الذين كانوا يمثلون الصرافين ويعرفون في الصعيد بالعمال ويختصون بتوزيع الضرائب على الفلاحين وتحصيلها منهم .

وكان أشهر هؤلاء المعلمين في عهد همام المعلم بولص بن منقريوس الذي كان يقوم بتسديد الاموال والغلال المطلوبة من الشيخ همام لحكومة القاهرة .

وقد اوردت دفاتر الالتزام بالقلمة (١) امثلة كثيرة لهذا منها ما كان من قيام المعلم بولص نيابة عن الشيخ همام بتسديد العوايد (الضرائب الخاصة ببعض قرى همام وهي) : -

٥٣	اولاد جاد الغربي
٥٣	اولاد جاد الشرقي
٥٣	بنى وركان
٥٣	قباله شربه
١٦	قرية حراجية
٨	كوم بدار
<hr/>	
٢٣٦ بارة	

وكان هؤلاء المعلمون ينوبون عن الشيخ همام أحيانا في حضور عمليات تنازل الأمراء المالك له عن أراضيهم بولاية جرجا ، ويسلمونهم الثمن الذي يدفعه الشيخ همام مقابل ذلك أمام محاكم القاهرة .

مثال ذلك ما كان في قيام المعلم بولص بن منقريوس بحضور عملية تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازوغلى في ١٩ ذى القعدة سنة ١١٧٣هـ/سنة ١٧٥٨م (أول يولييه) عن حصته بناحية طهطا بولاية جرجا للشيخ همام .

وقام المعلم المذكور بتقديم الثمن الذي دفعه همام مقابل حصوله على هذه الأرض (٢)

★ ★ ★

(١) دفتر قيود عوايد وتقايسط لسنة ١١٧٧هـ برقم ٤٨٩ عين ٨ مخزن تركى .

(٢) هذه الصفحة من الأوراق التي قدمها لى اسناد همام بفرشوط .

چیش همسام

ولكي يحمي همام أراضيه الواسعة ويدفع عنها شر هجمات الأعراب
وأطماع الأمراء المماليك كون جيشا كبيرا من الهواة أقاربهم ومن المماليك
الفارين إلى الصعيد هربا من وجوه منافسيهم وكان أكثر هؤلاء من بقايا
فرقة القاسمية التي شهد عام ١١٤٢هـ/ سنة ١٧٢٩م هزيمتها وتشتت
معظم رجالها إلى الصعيد حيث التحق الكثيرون منهم بخدمة الشيخ همام
وانضموا إلى صفوف جيشه .

وقد قدر جيران عدد رجال جيش همام بـ ٣٥ ألف مقاتل (١) .

ومما لا شك فيه أن هذا الجيش لم يكن له من حسن الاستعداد والتدريب والمهارة الحربية ما يماثل الجيوش المملوكية وهذا ما يفسر الانهيار السريع لقوات همام أمام قوات علي بك الكبير أثناء اللقاءهما في معركة أسبوط (٢) ٠٠ والتي سنتناولها بالتفصيل في الفصل السادس الخاص بالصراع بين الشيخ همام وعلي بك الكبير .

وقد اهتم الشيخ همام بالعلماء واشتهر بتقريبه لهم واکرامهم ومقابلتهم بما يستحقون من احترام وتقديم الهدايا العظيمة لهم اذا ما قصدوه في موطنه .

ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين زاروا الشيخ همام في موطنه
الشيخ مرتضى الزبيدي المشهور بمرتضى الحسيني الزبيدي الذي نشأ
بالبمن (ولد بها سنة ١١٤٥هـ/ سنة ١٧٣٢م وارتحل في طلب العلم
وحج مرارا . واجتمع بأشهر علماء عصره الذين أجازوه ثم حضر الى مصر
سنة ١١٦٧هـ/ سنة ١٧٥٣م وسكن بحي الصاغة وبدأ التأليف واشتهر
أمره وأخذ عنه كثير من شيوخ ذلك العصر كالجوهري ، والحفني .

وسافر الى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وعلمائه وزار الشيخ
 همام الذي اكرمه اكراما كبيرا وقدم له هدايا كثيرة (٣) .

ومن أشهر العلماء الذين كانوا يعيشون في أرض الشيخ همام الشيخ علي بن صالح الشاوري المالكي مفتي فرشوط والذي تلقى علومه بالأزهر ثم عاد إلى فرشوط وتولى إفتاء المالكية بها .

Girard : Description de L'Egypte Vol. 17, p. 39. (1)

(٢) محمد رفعت رمضان - علی بک الکبیر ص ٥٢ .

(۳) الجہرتی - عجائب الآثار - ج ۲ ص ۱۹۶ •

وقد اهتم به الشيخ همام اهتماماً كبيراً وأكرمه إكراماً كبيراً وكان يقبل وساطته في أي أمر مما أدى إلى اشتهاؤه أمره ولما زار الشيخ مرتضى الزبيدي فرسوط، قلعه الشيخ الشاوري لهمام .

وبعد وفاة همام غادر الشاوري فرسوط وحضر إلى القاهرة وظل بها حتى وفاته سنة ١١٨٥هـ/سنة ١٧٧١م (١) .

وقد اشتهر الشيخ همام بالتقوى والورع فكان يؤدي الصلاة في أوقاتها وقد أوقف أوقافاً كثيرة على المساجد في الصعيد وقام بكثير من الإصلاحات فيها مثل ما قام به من إصلاح في مسجد سيدي عبد الرحيم القناني أشهر أولياء الصعيد . فقد جدد همام المسجد والمقام . وأنشأ خلفه مخزناً ودورة مياه وأوقف عليه أوقافاً كثيرة (٢) .

وقد أنشأ همام مسجداً خاصاً في موطنه فرسوط في الجانب الشرقي منها عام ١١٧١هـ/سنة ١٧٥٧م وهو مسجد فخيم (٣) .

وما زال هذا المسجد قائماً في فرسوط في حالة جيدة وتقام به شعائر الصلاة وقد كتب على واجهته :

لجامع همام بن يوسف رونق .

به لاذت العباد من كل وجهة

عليه علامات القبول لوايح .

وقد طاب من أرجائه كل بقعة

فيا داخلا بالباب ادع لمنشيء .

وارخ يسد الله صر المنيسة .

وعلى جدران المسجد كتبت قصيدة نهج البرده .

وقد أوقف الشيخ همام تسعة عشر فدانا بفرسوط للانفاق منها على هذا المسجد (٤) .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٦٧ .

(٢) حجة شرعية صادرة من محكمة قنا وقوس بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١١٧١هـ وموجودة حالياً بملحق خزانة المحكمة الشرعية بقنا بحفظ رقم ١ حجة رقم ٨٨٨ .

(٣) زرت هذا المسجد أثناء تجولي في فرسوط .

(٤) حجة شرعية من محكمة فرسوط بإقامة ناظرين على هذا الوقف من أولاد المعيل بفرسوط واللجنة بتاريخ أول رمضان سنة ١١٧٤هـ وهي من الحجج التي سلمها لي أحفاد الشيخ همام بفرسوط .

نفوذ

رأينا فيما سبق كيف تمتع الشيخ همام ببراء طائل وحكومة منظمة دقيقة وقد اتسع نفوذ همام اتساعا كبيرا فقد تمكن الشيخ بثرائه الطائل وشخصيته القوية وسيطرته على معظم أراضي الصعيد من الدخول فى علاقات قوية مع كبار الامراء المماليك وكبار الموظفين العثمانيين فقد كان همام على صلة وثيقة بالأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة بالقاهرة وقد كان هذا الأمير يقوم بمقد جميع الاتفاقات الخاصة بالشيخ همام مع أمراء المماليك بالقاهرة والخاصة بتنازل هؤلاء الأمراء عن أراضيهم للشيخ همام وكان الأمير عثمان أغا هو الذى يقدم نيابة عن همام الثمن اللازم لذلك ويقبل التنازل أمام محاكم القاهرة نيابة عن همام الذى كان قد اعطاه توكيلا رسميا بذلك .

ولنفوذ همام الواسع تمكن من مصادقة بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير عثمان بك الفقارى ، صالح بك القاسمى حاكم جرجا وتحدى بعضهم مثل الأمير إبراهيم جاويش .

وتمكن أيضا من ارغام الكثيرين من كبار الأمراء المماليك على التخلي عن أراضيهم فى الصعيد والتنازل له عنها ، فقد رأى هؤلاء الأمراء أنه من المصلحة أن يتنازلوا عن تلك الأراضي للشيخ الصعيد الذى كانت الدلائل كلها تشير الى أنه ستكون له وحده السيطرة على معظم أراضي الصعيد .

وستتناول هذه العلاقات بالتفصيل فى الفصل التالى الخاص بعلاقة همام بالأمراء المماليك .

أثر سيطرة همام فى ولاية جرجا على الحياة الاقتصادية والسياسية فيها

تمكن الشيخ همام من حفظ الأمن فى الصعيد بكسبه ود القبائل العربية الأخرى المقيمة فيه مثل قبائل العليقات الذين ناط بهم الشيخ همام حراسة طريق القصير (١) .

(١) العليقات :

قبيلة عربية من ذرية مسلم بن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقد هاجرت تلك القبيلة من الجزيرة العربية الى الشام ثم دخلت الى مصر بعد الفتح العثماني مباشرة واستقرت أولا فى سيناء ثم دخلت القليوبية ثم هاجر فرع منها الى قنا وأسوان .
وقد اشتغل غالبهم فى خفارة طريق القوافل من قنا للقصير وطريق التجارة السودانية (الدرب الأريسي) .

ومثل قبائل العبايدة التي كانت تسكن منطقة كوم أمبو في أسوان والتي كانت دائما وقبل عهد همام مثيرة للشغب ، وكانت تهاجم مزارع الفلاحين في الصعيد وتسلبهم محاصيلهم ، فاستطاع الشيخ همام أن يستميل هذه القبائل وأن يجعلها تستقر بجوار نهر النيل - لأول مرة في حياتها - وأن تكف عن أعمال السلب والنهب التي كانت تمارسها من قبل (١) .

هكذا أدت سيطرة همام على الصعيد الى سلب سائر القبائل العربية القيمة به النفوذ الذي كان للعرب على الفلاحين في أرجاء مصر الاخرى .

وبفضل النظام الذي وضعه الشيخ همام للأمن أثناء سيطرته على الصعيد تمكن البكوات البعيدون عنه والذين لهم التزامات فيه من الحصول على إيرادات أراضيهم كاملة بعكس الاقاليم الاخرى التي لم يتمكنوا من الحصول على إيراداتهم فيها لما كان يسودها من فوضى واضطراب لم يرهاا الصعيد في عهد الشيخ همام .

وقد استراحت الدولة عامة الى تولي الشيخ همام ادارة اراضي الصعيد ، فقد كفاها همام متاعب كثيرة في تحصيل الأموال بتسديده الدائم لما عليه من خراج .

وينوه كتاب ذلك العصر بأن الصعيد كان سعيدا في عهد سيطرة همام وقد حفظ أهله من فقر وغنى ومسلم ومسيحي لهما أكرم الذكرى .

وقد أدى النظام الذي وضعه الشيخ همام للأمن والحماية التي كان يبذلها لصيانة الترع والجسور الى ازدهار الزراعة وتحقيق الرخاء لاهالي مما جعلهم يبدون أسفهم لانهايار هذا النظام بعد وفاة همام (٢) .

BRUCE : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, (١)
p. 49.

(٢) زار جيرارد الصعيد سنة ١٧٩٩ وتجرول في قنا وجرجا وقابل أهالي الصعيد واستمع منهم شخصيا لقصة حياة الشيخ همام وسيطرته على الصعيد وحالة الصعيد في عهده وقد ذكر جيرارد هذا في :

GIRARD : de L'Egypt Description Vol. 17, p. 40.

ما زالت أخبار همام وما كان له من سيطرة ونفوذ في الصعيد وما كان عليه همام من كرم تملأ أسماع الناس في الصعيد وقد لمت ذلك كثيرا أثناء تجرولي في محافظات اسيوط وسوهاج وقنا بحثا عن وثائق تليدني في دراسة موضوع الشيخ همام .

فما أن انتهت أيام همام حتى غدا الصعيد نهبا لبكوات القاهرة
المنتفعين . . الذين لم ينل الصعيد على أيديهم أدنى تقدم إذ لم يكن لهم
هم الا استعادة سلطاتهم مسخرين أرض الصعيد وثرواته وفلاحيه لخدمة
مآربهم الشخصية وقد بدأت تلك الفترة بعد وفاة همام بقليل في عهد
على بك نفسه الذي طرد قائده محمد أبا الذهب فلجأ الى الصعيد محاولا
استغلال أهله لاستعادة مركزه .

ثم كان النزاع بين مراد بك وإبراهيم بك وبين زميلهما اسماعيل
بك على رئاسة مصر ، وما كان من لجوء كل فريق تلحقه الهزيمة من
الفريقين الى الصعيد يستولى عليه ويسوم أهله سوء العذاب مما أدى الى :

• تدهور الزراعة واضطراب الأمن في الصعيد (١) .

• وإن كانت سيطرة همام قد أدت الى ضعف وتلاشي السلطة الحكومية
المركزية في الصعيد ، وقضت على كل نفوذ فعلي لحاكم جرجا .

فان تلك السيطرة وفرت للصعيد وأهله أمنا واستقرارا وازدهارا
للزراعة لم ينعم بهم الصعيد وأهله قبل همام أو بعده .



Girard : Description de l'Égypte Vol. 17, D. 41.

(١)

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ٢ ص ٨٢ .

علاقة الشيخ همام بالأمراء الماليك

علاقة الهوارة بالأمراء الماليك - نمو قوة
همام - تحديه لبعض الأمراء الماليك مثل الأمير
إبراهيم جالوش - أسباب النزاع بينهما -
توسع همام في أراضي الصعيد - تنازل الأمراء
الماليك عن أراضيهم لهما - علاقة همام
الودية بصالح بك القاسمي *

علاقة الشيخ همام بالأمراء المماليك

تمتعت قبيلة الهوارة التي ينتمى اليها الشيخ همام بسيطرة واسعة على الصعيد وقد ظلت لشيوخ هذه القبيلة رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٩٨٢هـ/١٥٧٥م حيث عزل العثمانيون الهوارة عن الحكم في الصعيد كما قدمنا . ولكن السيطرة والنفوذ عادا ثانية الى الهوارة حينما ادخل نظام الالتزام الى مصر في الربع الأول من القرن ١٧م وقام نفوذ الهوارة حينئذ على أساس الاعتراف الرسمي بهم كملتزمين أي جامعي ضرائب للسلطان (١) Tax-Farmers

وقد ساعد على تدعيم نفوذ الهوارة ما كان لهم من هبة موروثية ، وعصبية قبلية ، وثراء طائل وصلات متعددة بالحكام وتدخّل مستمر فيما كان يجري من أحداث بين أمراء مصر وفقا لما تملّيه عليهم مصالحهم وقد استمر الهوارة في تدعيم نفوذهم ومد سيطرتهم على أراضي الصعيد بحيازتها بالالتزام وقد شهد القرن الثامن عشر أقصى مراحل نمو ونفوذ الهوارة وسيطرتهم على الصعيد ، وقد غدا الهوارة من القوة بحيث أمكنهم تحدي عبد الرحمن بك حاكم ولاية جرجا في عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م .

حيث تمردوا عليه ورفضوا ان يقدموا له ما عليهم من أموال وغلال للدولة ولم يستطع عبد الرحمن بك أن يرجعهم عن تمردهم الا بعد أن

Holt (P.M.) : gypte and the Fertile Crescent 1516-1923, (١)
London, 1966, p. 70.

أرسلت له الحكومة بالقاهرة حملة قام بقيادتها ضد الهوارة الذين منسوا بالهزيمة أمامه، وفروا هاربين إلى الجبل ثم عادوا إلى طاعة الدولة (١) .

وقد لعب الهوارة دورا كبيرا في المنازعات التي كانت تدور بين أمراء المماليك بالقاهرة وحاولوا استغلال هذه المنازعات لصالحهم وكانوا عاملا هاما في اذكاء حدة الصراع بين كبار الأمراء المماليك .

فبعد عزل عبد الرحمن بك من ولاية جرجا يسعى منافسيه ذهب إلى القاهرة وأثار عليه غضب زملائه لخروجه من فرقة الفقارية فرقتهم الأصلية وانضموا إلى الفرقة المنافسة لها وهي فرقة الفقارية ، وقد تحمل عبد الرحمن بك بسبب تصرفه هذا عداوة زملائه بالإضافة لعداء الباشا الذي كان يضمّر في نفسه الكراهية لعبد الرحمن بك لاشتراكه في عزل الباشا السابق له والذي كان هو كئده .

وقد انتهز الهوارة هذه الفرصة واستغلوا الصراع الدائر بين عبد الرحمن بك وزملائه للانتقام منه لمحاربتهم السابقة لهم فكتبوا للباشا قوائم بما ذهب لهم من (خيول ، جمال ، وعبيد ، وجوار ، وغلال ، وأخشاب وفرش ونحاس) (٢) وثمنوها بثلاثمائة كيس واتهموا عبد الرحمن بك بأخذ هذه الأشياء وأنبأوا عنهم وجات الانكشارية في خلاص ذلك منه فرجع هؤلاء الأمر إلى الباشا فأمر بإحضار عبد الرحمن بك فرفض الحضور وانتهز أعداؤه هذه الفرصة واتفقوا على محاربته أن أصر على عدم تسليم الهوارة ما أخذه منهم خلال حملته عليهم ، ولما استمر عبد الرحمن بك على موقفه من عدم الاعتراف بما اتهمه به الهوارة حاد به منافسوه حيث كان متحصنا في منزله ومع أتباعه وانتهى الأمر بمقتله سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م ونجح الهوارة في الانتقام من عبد الرحمن بك مستغلين فرصة النزاع بينه وبين زملائه وكان تدخل الهوارة هو الذي زاد من اشتعال حدة النزاع ووصل به إلى أخطر مدى له .

وعندما اندلعت أحداث فتنة أفرنج أحمد بالقاهرة سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م اشترك الهوارة فيها اشتراكا فعليا بحضورهم إلى القاهرة بصحبة محمد بك حاكم ولاية جرجا حينئذ (٣) .

فبعدما أرسلت الدولة حملة بقيادة محمد بك قطامش مسنة ١١٢٣هـ/١٧١١م لمقابلة الهوارة لاشتراكهم في أحداث فتنة أفرنج أحمد

(١) عن حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الأول .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠٦ ، ١٠٢ .

(٣) عن فتنة أفرنج أحمد انظر ص ٦٦ من الفصل الثاني .

وَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ تُخْزِيهِمْ خِلَالَهَا سِوَاهُ فِي الْقَاهِرَةِ أَوْ فِي أَنْحَاءِ
الْصَعِيدِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ مُنَافِسِيهِمْ لَمْ يَنْقُذِ الْهَوَارَةَ مِنْ غَضَبِ
الْبُلْبُلَةِ - (بعد هزيمتهم أمام هذه الحملة واعتصامهم بالجبل) - إلا صديق
لهم من أكبر الأمراء المماليك بالقاهرة حينذاك وهو الأمير إبراهيم
أبو شنبه (١) الذي لجأ إليه الهوارة طالبين منه التوسط لهم لدى البابا
وأخذ أمر منه بالعفو عنهم وتأمينهم في ديارهم وقعلا تم لهم ذلك عن طريق
هذا الصديق .

وَأثناء الصراع بين فرقتي القاسمية والفقارية (١) استعان القاسمية
بالهواره في صراعهم ضد الفقارية .

(١) عن ترجمة الأمير إبراهيم بك أبو شنبه انظر ص ٦٩٠ من الفصل الثاني .
(٢) اختلف المؤرخون في كيفية وتاريخ ظهور هاتين الفرقتين فأورد الجبرتي عن أصلهما
روايتين .
الرواية الأولى ترجع ظهور هاتين الفرقتين إلى أوائل العصر المماليكي أثناء إقامة السلطان
سلجوق بالقاهرة .
والرواية الثانية ترجع ظهورهما إلى سنة ١١٩ هـ / ١١٠٧ م على أثر النزاع الذي
قام بين قاسم بك البغدادي ومناقبه في القاهر بك الكبير أمير الحج .
وقد رجح الكثير من المؤرخين الرواية الثانية لأنه لم يورد ذكر للرواية الأولى يؤيدها
في كتابات المعاصرين للفتح المماليكي كما إبن زيل وابن لياس .
وهذه التباس بين فرقتي القاسمية والفقارية نساء البيوت المملوكية التي حلا النزاع
بينها تاريخ ظهر في العصر المماليكي .
فن القاسمية نساء بيت الأيوادية وأبي شنبه .
ومن الفقارية نساء بيت
بعليا ، رشوان ، الصابوني ، الحجاب ، الجليلية ، القازوقية ، الإبراهيمية ،
الملوية ، الحبيدية .

وقد كان البيت المملوكي ينسب بطريق أحد المماليك على زعمائه فيمنع في
تولي رئاسة المماليك جنينا بالقضاء على شيخ البلد الموجود بالنسبة أو بالقتال فإذا
ما نجح في ذلك وصل إلى منصب شيخ البلد وإذا ما فشل فر إلى الصعيد أو الشام حيث
يجمع الأمراء للتعيين ويستعين بالمرتزقة يهود لواصله الصراع وقد يقتل ويلهب شخصية
أطاعه فيسول رئاسة ممالكه ابنه أو خاله لهده فيفتح بيت أبيه أو أستاذه ويكون
برئاسه بيتا جديدا قد تنشأ الأطماع بين أعضائه فيتنازعون ويحاول بعضهم من الأعضاء
البارزين تكوين بيوت خاصة بهم .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٤ .

Holt (P.M.) : Al GABARTI's introduction of the history of otoman
Egypt.

Bulletin of the school of oriental and African studies Vol. XXV, p. 1,
1962.

ففى أثناء اشتداد الصراع بين هاتين الفرقتين هرب محمد بك جركس
أكبر زعماء فرقة القاسمية الى الصعيد حيث أعاد تنظيم صفوفه واستعان
بمن كان لاجئا الى هناك من أفراد فرقة القاسمية واستعان بالهواره
الذين صحبوه فى طريقه للتقدم الى القاهرة ولكنه قتل على أيدي منافسيه
بالجيزة .

وَبموتِه انتهى الصراع بين القارية والقاسمية الذين هزموا وتمتتوا
فى البلاد سنة ١١٤٣هـ/١٧٢٩م .

وقد لجأ الكثيرون من أفراد هذه الفرقة الى الهواره حيث عملوا
عندهم كجنود واختلطوا بهم وعاشوا فى بلادهم .

وخاصة فى عهد الشيخ همام فقد انضم اليه الكثيرون من هؤلاء
الرجال وعملوا بين صفوف جيشه (١) .

وقد وصل الهواره الى ذروة القوة والسيطرة على الصعيد فى عهد
الشيخ همام بن يوسف الذى وصل الى حد من القوة والنفوذ مكنته من
مصادقة الكثيرين من كبار الأمراء المماليك بالقاهرة يلجأ اليهم لمساعدته
على تحقيق أغراضه ، ومكنته تلك القوة أيضا من الوقوف موقف التحدى
من بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير ابراهيم جاويش .

وعن طريق سيطرة الشيخ همام على معظم أراضى الصعيد من المنيا
الى أسوان بالالتزام توفرت له سلطة واسعة ونفوذ كبير .

وقد بدأ اسم الشيخ همام يظهر كملتزم لبعض أراضى الصعيد كما
قدمنا ابتداء من سنة ١١٣٤ هـ/١٧٢٢م (٢) .

ومنذ هذا العام والشيخ همام يواصل زحفه على أراضى الصعيد فقد
شهدت الأعوام التالية لهذا العام نموا سريعا للأراضى التى أخذها همام
بالالتزام واستمر فى تنفيذ سياسته بتوسيع أراضيه وتنحية الملتزمين
الأخرين لأراضى الصعيد من المماليك ومن أقاربه الهواره ومن العسرب
الأخرين (٣) .

وقد أدى هذا التوسع الى اصطدام الشيخ همام ببعض كبار الأمراء
المماليك الذين كانت لهم أراض أخذوها بالالتزام فى ولاية جرجا والتى
كان بعضها يجاور أراضى همام مباشرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) انظر ص ١٠٤ من الفصل الرابع .

(٣) عن هذا التوسع انظر ص ١٠٦ من الفصل الرابع .

وقد اضطر بعض هؤلاء الأمراء للتنازل للشيخ همام وشركائه (من اقاربه) عن معظم أراضيهم في الصعيد فلم يكن أمام هؤلاء الأمراء مجال للاختيار أمام قوة شيخ الصعيد ونمو نفوذه المطرد ، وكانت الدلائل كلها تشير الى انه ستكون له السيطرة على معظم أراضي الصعيد .

ومن هنا اضطر الكثيرون منهم للتخلى عن أراضيهم للشيخ همام بل وصل الأمر ببعضهم الى حد الحضور بنفسه الى فرشوط مقر الشيخ همام لتسجيل تنازله عن أرضه لهمام أمام محكمة فرشوط مثال ذلك ما كان من : تنازل الأمير عثمان جليبي بن أخى حسن قهوجي عن حصته في ناحية بلصفورة بولاية جرجا للشيخ همام وشريكه (عمه عيسى أحمد محمد همام) نظير ثمن معين وقدره اثنا عشر كيسا وذلك بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١٢٤٦هـ / سنة ١٧٣٣م (١) .

وقد كان الأمير ابراهيم جاويش (٢) أهم الأمراء الذين اصطدم بهم الشيخ همام في محاولته لحد سيطرته على أراضي الصعيد وأخذ معظمها بالالتزام .

فقد كان للأمير ابراهيم أراضي واسعة أخذها بالالتزام في منطقة قنا من ولاية جرجا حيث كانت تلك المنطقة المعقل الأساسي لهمام ولقبيلته .

(١) هذا التنازل وارد بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط أمام القاضي ابراهيم عثمان على بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١١٤٦هـ .
(٢) ابراهيم جاويش :

وكان يطلق عليه أحيانا ابراهيم كنعدا كان تابعاً للأمير سليمان كنعدا الكازرغل وقد عمل جاويشا كفرقة المستوطنين وقاد امارة الحج أثناء رئاسة عثمان بك لدى القنصل سنة ١١٥١هـ / سنة ١٧٣٨م وفي تلك السنة بدأ العداء بينهما بامتنان لأن ابراهيم جاويش كان شديد المراس قوى الشكينة وكان يطمع لتولى رئاسة مصر بدلا من عثمان بك .

وبعد عودته من الحج لما ذكره وذاع صيته وانشغل بتبذير المؤتمرات ضد عثمان بك حتى أوقع به وأزاله من رئاسة مصر سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م .

وانتهت اليه رئاسة مصر بدلا من عثمان بك وشاكره في الرئاسة زميله وعضوان كنعدا ونقلت كلمتهما واهتم ابراهيم جاويش بالسيطرة على الحكم وتسلم الأموال الإمبرية وتوجيهها كأوامر الدولة التي رضى عنه كل الرضا بينما انشغل زميله بملذاته فقط .

وقد أستكثر ابراهيم جاويش من شراء الممالك وتقليد أهم الامرات والنماص ومن أشهر ممالكه على بك الكبير .

وقد توفي ابراهيم جاويش سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٢ .

وما كان الشيخ همام - وهو بصدد تنمية أراضيه ومحاولة توسيع نطاقها - اليرضى عن بقاء أراضى الأمير إبراهيم جاويش وكان للأمير إبراهيم من قوة الشكينة ومن عظم النفوذ ما جعله يخوض معركة تحد ضد نفوذ همام وضد محاولاته للتوسيع وضم أراضيه فى الصعيد .

وفى رواية الجبرتي أن الصراع بين الشيخ همام وبين الأمير إبراهيم جاويش بدأ يأخذ صورة واضحة ابتداء من سنة ١١٤٩هـ/ سنة ١٧٣٦م .

ففى هذا العام رهن الشيخ همام للأمير إبراهيم ناحية برديس مقابل قرض مالى على ان يكون من حق الأمير إبراهيم التصرف فى تلك الناحية لو تأخر الشيخ همام عن سداد المبلغ المقرض فى الموعد المحدد للسداد .

وقد رفض الشيخ همام تسديد المبلغ فى مواعده ومنع إبراهيم جاويش من تسلم ناحية برديس والتصرف فيها واستعان بصديق له من كبار الأمراء المالكين بالقاهرة حينذاك وهو الأمير عثمان بك الفقارى (١) الذى ايد موقف همام .

وقد لعب همام دورا كبيرا فى تصعيد حدة الصراع بين الأمير عثمان ذى الفقار والأمير إبراهيم جاويش فقد كان الصراع شديدا بين هذين الأميرين بسبب تنافسهما على رئاسة مصر ، فادت استعانة الشيخ همام بالأمير عثمان لمساندته فى موقفه ضد الأمير إبراهيم جاويش الى استياء الأمير إبراهيم من الأمير عثمان وسعيه بكل قواه لجمع كلمة زملائه وتحريضهم على مهاجمة عثمان بك وهو فى طريقه الى القلعة وتم لهم ذلك . وهرب عثمان بك أمامهم وفر الى الصعيد عند تابعه على بك حاكم ولاية جرجا حيث معقل الشيخ همام ومهد قوته ونفوذه .

(١) عثمان بك الفقارى :

من أتباع الأمير ذى الفقار تقلد الإمارة والصينجية سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م وتقلد عدة مناصب وكشوفيات الأقاليم وقد شهدا من كبار الأمراء المالكين واشتهر بمحاربه للقلاسية .

وولد الفتح اليه رئاسة أمراء مصر سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٣٨م وكان قوى الهمة حسن السياسة وكان كما وصفه الجبرتي نطنا عادلا محبا للحق ولم يكن عيبه سوى حدة الطبع والتماد ما جعله يختلف مع زملائه وأهمل إبراهيم جاويش وقد قام الصراع بينهما على رئاسة مصر والسيطرة على مقاليد الأمور فيها وقد انتهى الأمر بتغلب إبراهيم جاويش وخروج عثمان بك من مصر الى استانبول سنة ١١٥٧هـ وبثاقه بها حتى وفاته سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م ولجأ شاله وعظمته جعل أهل مصر عام خروجه منها تاريخيا لأخبارهم ومواليدهم ذوقا لهم ليقتولون جرى ذلك سنة خروج عثمان بك أو يده كذلك سنة أو شهر أو كان عمرى على ذلك الوقت كذا سنة .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٧٨ .

وهكذا كان همام سببا في احتدام الصراع بين أكبر أميرين في هذا الوقت وهما عثمان بك الفقاري وإبراهيم جاويش وبالرغم من انتهاء هذه الجولة بخروج الأمير عثمان من مصر إلى استانبول (١) .

وبالرغم من وصول الأمير إبراهيم جاويش إلى مركز السيطرة على مصر فإنه لم يتمكن من إرغام الشيخ همام على تسليمه ناحية برديس .

فقد بقيت تلك الناحية في أراضي همام التي أحرزها بالالتزام حتى وقت وفاته سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م (٢) وكانت هي الدار الذي سيبدأ منه على بك . التحرش بهمام كما سترى في الفصل التالي : -

وتفسير موقف همام من إبراهيم جاويش ورفضه تسليمه المبلغ المقترض أو الأرض المرهونة أمر يسير .

فالشيوخ همام كان صاحب ثراء طائل فلم يكن في حاجة لاقتراض مال من الأمير إبراهيم ، وقد اشتهر الشيخ همام بالنبل والكرم فلو أن الأمر كان متعلقا بقرض عادي ورهن عادي لكان همام أول من ينفذ هذا الاتفاق ويرد المبلغ لصاحبه أو يعطيه حرية التصرف في الأرض المرهونة .

ولكن الأمر كان وراه سر آخر فقد كانت للأمير إبراهيم كما قدمنا أراض واسعة أخذها بالالتزام في ولاية جرجا في نواحي المرحلة وكوم الباسكية والشغب والشيشية وبيج القهرمون ، وقوص ، والحراجية (٣) وكلها في منطقة قنا مهد نفوذ همام ومقله .

ولابد أن الشيخ همام قد ساءه كثيرا أن تبقى تلك الأراضي للأمير إبراهيم في هذه المنطقة ولعله بمحاولته عدم تنفيذ الاتفاق الذي كان بينه وبين الأمير إبراهيم كان يريد إرغامه على التخلي عن تلك الأراضي والتنازل له عنها .

ولعل تداخل هذه الأراضي مع أراضي همام أدى لتداخل المصالح المالية بين همام وإبراهيم جاويش وربما أراد همام أن يأخذ المبلغ المقترض من إبراهيم جاويش ربما أراد بذلك الحصول على حقوق مالية كانت له لدى هذا الأمير وأن عملية الرهن كانت شكلية في نظر همام الذي كان

(١) الجبرتي : حياقب الآثار ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣هـ عين ٨ مخزن تركي .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ٢٠٧ لسنة ١١٥٤هـ عين ٧ مخزن تركي .

يعرف أن له من القوة والمنعة والنفوذ ما يمكنه من منع إبراهيم جاويش من التصرف في ناحية برديس .

ولعل هذا ما يفسر عبارة الجبرتي عند ما أشار إلى أن الشيخ همام لم ينفذ اتفاقه مع إبراهيم جاويش بالرغم من استعاضته بكثير من الأمراء فقد وصف الجبرتي موقف همام بقوله (ويحتج عليه بأشياء وشبه قوية وحسابات وحالات ونحو ذلك) (١) .

فرفض همام تسديد المبلغ الذي اقترضه من الأمير إبراهيم جاويش ربما كان لتخليص حقوق مالية كانت لهما لدى هذا الأمير ورفض همام تسليم الأمير إبراهيم ناحية برديس كما نص على ذلك في الاتفاق الذي كان بينهما كان ذلك الرضا دفع الأمير إبراهيم للتنازل عن أراضيها في ولاية جرجا للشيخ همام ما دام ليس في إمكانه وضع يده على الأرض التي له الحق فيها مثل ناحية برديس وهذا ما حدث فعلا في السنوات التالية فقد شهد عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م تنازل الأمير إبراهيم جاويش عن حصته وقدرها ١٢ ط من أصل ٢٤ ط في ناحيتي سمهود وخلصان تنازل عن الحصص السابقة لشريك همام الشيخ عيسى أحمد محمد همام الذي قام بدوره بالتنازل عن هذه الحصص للشيخ همام الذي ذكرت عنه الحجة .

أله بضم الجزء السابق صار له التزام ناحية سمهود وخلصان بالكامل لأنه كان له من قبل نصف تلك الناحية .

ويبدو أن العداء بين الشيخ همام وبين إبراهيم جاويش كان قد وصل إلى أقصى مدى له في تلك الأعوام فإن الأمير إبراهيم لم يقدم تنازله عن تلك الناحية للشيخ همام مباشرة وإنما تنازل عنها لشريك همام عيسى أحمد محمد همام الذي قام بدوره بالتنازل عنها للشيخ همام كما قدمنا (٢) .

وفي عام ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م (٣) ضم الشيخ همام أراضي إبراهيم جاويش التي كانت له في قوص ، الحراجية .
وفي عام ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م (٤) ضم الشيخ همام لأراضيها ما كان

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) هذه الحجة من الأوراق التي سلمها إلى أحفادها بفرضوط وهي صادرة من محكمة فرضوط وأمام قاضيها علي عثمان في ١٠ رجب سنة ١١٥٦ .

وهي منشورة بالملحق ملحق رقم ٧ ص ١٧٢ .

(٣) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٤٣٢ لسنة ١١٦٣ هـ على ٨ مغزى تركي .

(٤) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٤٣٦ لسنة ١١٦٧ هـ على ٨ مغزى تركي .

لإبراهيم جاويش من أراضى فى نواحي الشطب ، الحرجة ، الباسكية ،
الشيخية ، بيج القهرمون .

وهذا يوضح الى أى مدى وصلت قوة همام وسيطرته على الصعيد
بالرغم من ان إبراهيم جاويش كان وقتها فى قمة نفوذه وسيطرته على
الحكم .

فانه اضطر أمام قوة شيخ الصعيد (نزولا على حكم الواقع الى التنازل
عن أراضيه فى الصعيد والاعتماد عن منطقة نفوذ همام) .

وقد استمر الشيخ همام فى تدعيم نفوذه وبناء قوته بدفع كبار
الأمراء المالكين واحدا تلو الآخر للتنازل له عن أراضيه فى الصعيد .

ففى عام ١١٧٣ هـ // ١٧٥٩ م ، وأمام محكمة الباب العالى بالقاهرة
تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازد على عن حصته وقدرها ٢ ط
بناحية طهطا وتوابها للشيخ همام نظير ثمن معين وقدره عشرون كيسا
قدمها نيابة عن همام وكيله المعلم بولص (١) .

وواصل الشيخ همام اجلاء امراء المالكين الآخرين الذين كانت لهم
أراضى فى ولاية جرجا وخاصة من كانت أراضيه تداخل مع أراضيه .

ففى عام ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م (٢) تنازل الأمير خليل بك القازد على
الدقتردار عن نفسه وعن وكيله وشريكه حمزة بك القازد على عن ١٨ ط
من أصل ٢٤ فى كامل أراضى ناحية منشأة اخميم (الحرزات والزوك
والكوامل وأولاد مامن وتوابها من ولاية جرجا) .

وتم التنازل أمام محكمة الباب العالى بالقاهرة نظير ثمن دفعه همام
وقدره مائتا كيس .

وفى عام ١٧٦٧/١١٨١ م ، اضطر أمير آخر هو عثمان بك أبو يوسف
صارى عسكر الخزينة العامرة وقتها الى التنازل عن نفسه وعن موكله عن
٣ ط حصته فى ناحية نفس اخميم ، قيراط فى أراضى شرق اخميم
وتوابها ساقلته ، سفلاق صوامعه طوايل بولاية جرجا نظير مبلغ
٢٧ كيسا .

(١) هذه المجلة من الأوراق التى سلمها لى أحفاد الشيخ همام بنفسا وهى بتاريخ

١٤ ذى القعدة سنة ١١٧٣ هـ .

(٢) هذه المجلة موجودة بدفترخانة المحكمة الشرعية بقببرا بالقاهرة - مادة رقم ١٣٩

ص ٩٩ من سجلات محكمة الباب العالى سجل رقم ٢ .

وتم التنازل أيضا أمام محكمة الباب العالي بالقاهرة في ١٢ رجب
سنة ١١٨١ هـ (١) ديسمبر سنة ١٧٦٨م .

وكان يذكر في كل تنازل من هذا القبيل ان الأمير التنازل عن اراضيه
للشيخ همام تنازل عنها له .

(لما علم لعمه في ذلك من الحظ والمصلحة) وكان التنازل عن
الأرض في جميع الحالات من الأمراء المماليك للشيخ همام هو تنازل عن
الأرض الزراعية فقط وليس عما بها من الفلاحين والحيوانات والأشياء
الأخرى وكان همام يدفع دائما ثمن ما يأخذه من أرض هؤلاء الأمراء .

وكان متوسط ما يدفعه همام من تقود ثمننا للتنازل عن القيراط
أحد عشر كيسا مصرية (ولم يكن القيراط في ذلك الحين يعنى . بـلح من
الفدان وإنما كان يعنى ٢٤ من أرض المقاطعة الزراعية فقد كانت كل
مقاطعة تقسم الى ٢٤ قيراطا أى جزء ولم يكن الشيخ همام يصادر
الصعيد الى القاهرة لحضور عمليات التنازل هذه بل كان ينيب عنه وكلاءه
للقيام بذلك وتسلم الأرض التنازل عنها ودفع الثمن اللازم لعملية
التنازل ، وكان منهم المعلومون الإقباط الذين يعملون بأراضى همام في
الصعيد بمثابة مباشرين عنده ومنهم الأمير عثمان اغا العثماني وكيل دار
السعادة (٢) بالقاهرة والذي كان الشيخ همام قد اعطاه توكيلا شرعيا
للقيام عنه بمثل هذه الأمور .

(١) هذه الحجة موجودة بملتحقة المحكمة السرية بشبرا بالقاهرة ٠٠٠ مادة رقم ١٥١
ص ١١١ من سجلات محكمة الباب العالي سجل رقم ٢ .

(٢) دار السعادة :

اسم أطلقه المماليك على دار الحكم التي يقيم فيها نائب السلطان في الأقاليم التابعة
للبلدة .
وقد ذكر ابن طولون في تاريخه ملاكته الخلان ص ١٢ ج ١ هذا الاسم كثيرا بما يعنى
ذلك الملهوم .

لقد ذكر ص ١٢ وصل خبر انعام السلطان على نائب دمشق فذكرت البشائر في دار
السعادة .

وقد أطلق العثمانيون هذا الاسم على دار الحكم في استانبول أبرز المحاسن المنهسل
الصائى ج ١ ص ١٥٢ .

أما اغا اغاه بكل دار السعادة في مصر فهو كثير الأغوات الرئيسى للملك العالي
والذى كان يرسل الى مصر لتولى نظارة الأوقاف السلطانية العامة .

الجرى : عجائب الآثار : ج ٤ ص ٧٧ .

S. J. Shaw : The financial and administrative organization, p. 44.

الشيخ همام — ١٢٩

بل لقد وصلت مسطرة همام ونفوذه وقوته الى حد أنه استطاع ان يرغم على بك الكبير اعظم الأمراء الماليك حينئذ وشيخ البلد والمسيطر على مقاليد الحكم في مصر على التنازل له عن مساحات واسعة من أراضيه التي كان يحرزها بالالتزام في الصعيد من ذلك ٠٠٠ ما كان من تنازل الأمير على بك الكبير للشيخ همام عن ٢٢ قيراطا من أصل ٢٤ قيراطا أي معظم ناحية بني نصر بنفوط وكان ذلك أمام محكمة الباب العالي (١) بالقاهرة في أول رجب سنة ١١٨٢هـ. ١١ نوفمبر سنة ١٧٨٦م نظير مبلغ ٢٥٢ كيسا قدمها وكيل همام الأمير عثمان أغا .

ولعل على بك امتلأت نفسه حقدا على همام بعد وقوع تنازله هذا عن أراضيه لهمام ولعل هذا التنازل هو وما وصل اليه همام من قوة ونفوذ حينئذ الذي أثار كرامن غضبه على همام وشككه فيه (٢) .

ففي منتصف هذا الشهر نفسه ١٥ رجب سنة ١١٨٢/٢٦ نوفمبر سنة ١٧٦٨ بدأ تحرشه بالشيخ همام بارساله حملة بقيادة محمد بك أبي الذهب لمطالبة همام بالتخلل عن جميع أراضيه شمال برديس وهي الحملة التي سنناقشها بالتفصيل في الفصل التالي عند تناول المواجهة بين همام وعلى بك .

هكذا رأينا كيف تمكن همام بما اتبع له من قوة وثراء ونفوذ وسيطرة على معظم أراضى الصعيد من الدخول في علاقات قوية مع امراء الماليك

(١) محكمة الباب العالي

أحدى ثلاثة عشرة محكمة كانت توجد بأقسام القاهرة وتوجد سجلاتها الآن بدفترانة المحكمة الشرعية وغالبها حجج تسجيل للامارات المالية والوارثت وهذه المحاكم هي :

- ١ - محكمة الباب العالي .
- ٢ - محكمة قوصون .
- ٣ - محكمة بابي سمادة والخرق .
- ٤ - محكمة القنسة العسكرية .
- ٥ - محكمة القسم الغربي .
- ٦ - محكمة الزينى ببولاق .
- ٧ - محكمة مصر القديمة .
- ٨ - محكمة الصالحية .
- ٩ - محكمة طولون .
- ١٠ - محكمة قناطر السبع .
- ١١ - محكمة جامع الحاكم .
- ١٢ - محكمة باب الشعربة .
- ١٣ - محكمة الزاهد .

(٢) بعد القضاء على شيخ العرب همام استعاد على بك أراضى ناحية بني نصر هذه مرة ثانية فقد ورد بدفتران التزامات القلعة دفتر رقم ٥٥٠ لسنة ١١٨٥هـ عن ٩ مغزن تركى ٠٠٠٠ ان ناحية بني نصر بنفوط في التزام على بك الكبير .

فتحدى بعضهم واضطره للتخلي عن أراضيه في الصعيد وصادق بعضهم صداقة قوية ربطت حياته بحياتهم ومصيره بمصيرهم مثل صداقته للأمير صالح بك القاسمي الذي بلغ من صداقته له انه كان ينبيه عنه في جميع مصالحه بالقاهرة والذي آيده الشيخ همام بكل ما يحتاج اليه من مال ورجال ومؤن وذخائر عندما فر هاربا الى الصعيد سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م عندما حاول على بك نفيه من مصر ليخلو له الجو لفرض سيطرته خالصة على مصر .

وقد بدأت صداقة همام مع صالح بك (١) منذ عام ١١٦٨ هـ ١٧٥٤م حينما عين صالح بك حاكما لولاية جرجا ، فقد قبل هذا الأمير صداقة الشيخ همام ربما لأنه من القاسمية ، وهم الرجال الذين غمرهم الهوارة عامة والشيخ همام خاصة بكرمهم ، وأفسحوا لهم ديارهم . وقدموا لهم المأوى والأمان عندما انتهت دولتهم سنة ١١٤٢هـ/١٧١٩م وتعرضوا للتشتيت والنفي .

وربما أدرك صالح بك بنقاب بصره أنه من الخير له أن يكسب ود وصداقة شيخ الصعيد المسيطر على معظم أراضيه ان أراد أن يضمّن لنفسه حكم ولاية جرجا فقد وصل الشيخ همام في تلك السنوات الى حد من القوة والسيطرة والنفوذ ما كان يجعله في مركز يستطيع منه تحدى أى حاكم لولاية جرجا لا يكون على وفاق معه .

وسنرى في الفصل التالي الخاص بالصراع بين على بك والشيخ همام تفصيلا للعلاقة بين الشيخ همام وصالح بك القاسمي وعلى بك الكبير نفسه .

(١) صالح بك القاسمي :

أصله مملوك مصطفى بك المعروف بالقرند ، ولا مات سيده تقلد الإمارة بحوشه ، وقد اشتهر ذكره ، وتقلد إمارة الحج في سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م وسار أحسن سيرة ، وقد التزم بالتزامات أسانده وقطاعاتهم بالصعيد .

وقد أنشأ صالح بك دارا عظيمة بالفكرة لم يكن لها نظير ، ولا لما أمر على بك وعلى زعيمه عبد الرحمن كتبخدا الى السويس أرسله الى هناك برفقة صالح بك القاسمي ، وأرسل خلفه فرماتا يطيعه الى غزة ثم نقل منها الى رشيد ثم الى دمياط ومن هناك فر الى الصعيد الى حسى الشيخ همام وأقام بالحبيا وتضمن بها بصورة همام ولا خرج على بك متلبا مع زملائه وذهب الى الصعيد انضم الى صالح بك بوساطة الشيخ همام ، وتقدم صالح بك مع على بك الى القاهرة واشترك معه في تطهيرها من منافسيه ، ولكن ما أن تم الأمر لم يلبث على بك حتى هدر بزميله صالح بك وقتله سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م . وقد كان صالح بك أميرا جليلا ، لبق الحريكة ، يميل الى الخير ويكره الظلم ولا يتطلع لما في أيدي الناس .

المجرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣١٨ .

الفصل السادس

الصراع بين الشيخ همام وعلى بك

شخصية على بك الكبير - أسباب الصراع بينه
ووين همام - المواجهة بينهما - نهاية همام -
كيف أدار على بك الصعيد بعد وفاة همام
- اثر القضاء على سلطة همام في حياة
الصعيد •

الصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير

لتحديد اسباب الصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير ينبغي ان ندرس شخصية على بك وحركته وأهدافه منها .

ولد على بك سنة ١٧٢٨م/١١٤١هـ ببلاد الأباظة من أعمال القوقاز العثماني حينئذ ، وكان والده داود أحد قساوسة الكنيسة اليونانية يأمل أن ينشئ ابنه يوسف تنشئة دينية ، ولكن القدر شاء غير ذلك ، فقد اختطف الابن بيد إحدى عصابات الطرق التي باعته الى كرد أحمد ، وهو من كبار تجار الرقيق ، فقصد به الى الاسكندرية حيث باعه الى مديري جمرکہا الاخوان اليهوديين أسحق ويوسف اللذين قدماء هدية الى ابراهيم كتخدا جاویش (الينكجری) تقربا اليه لأنه كان من أصحاب النفوذ في مصر .

وقد بدأت حياة على بك كما كانت تبدأ حياة غيره من المماليك بعد شرائهم فاعتنق الاسلام وسمى عليا ودرس تعاليم الدين الاسلامي ، ومبادئ القراءة والكتابة العربية والتركية ولما أبداه من ذكاء واردة وحزم تمتع بعطف استاذہ الذي والاه بالترقية حتى وصل الى مركز خازن دار بيته ، وقد أخذ على نفسه بالتدريب الدائم على التمرينات البدنية ، وركوب الخيل ، واستعمال الاسلحة النارية فمهر في ذلك

مهارة فائقة اكتسبته لقب الجن على ، اى النشمييل الذى يغلب ولا يغلب (١) *

ولما توفي استاذاه ابراهيم جاويش سنة ١١٦٨ هـ / سنة ١٧٥٤ م تقلد الصنيقية وبدأت شخصيته فى الظهور على مسرح الأحداث بالقاهرة ، وبدأ يسعى للحصول على منصب شيخ البلد اى الوصول الى زعامة الممالك جميعا والسيطرة على مقاليد الامور فى مصر كلها *

وللوصول الى منصب شيخ البلد كان على على بك أن يزيع من طريقه رضوان كتخدا الجلفى شريك استاذاه ابراهيم كتخدا فى النفوذ والذى انقرض بعد وفاته بالنفوذ والسيطرة *

وكان من الطامعين فى مشيخة البلد أيضا عبد الرحمن كتخدا (٢) الذى تركه على بك يبدأ النزال مع الامراء الاخرين حتى يهد له الطريق ويخليه من المنافسين وفعلآ الب عبد الرحمن كتخدا مماليك ابراهيم كتخدا على رضوان الجلفى وأغرام به سنة ١١٦٩ هـ/ ١٧٥٥م حتى هاجسوه وأطلقوا عليه الرصاص واضطروه للفرار الى الصعيد حيث توفي بأولاد يحيى (٣) بعد أيام من مهاجمته وفراره *

وانتهى بموته سلطان الجلفية أتباعه ، واستمر على بك فى اخفاء ما فى نفسه من تطلع لمنصب شيخ البلد وترك المنافسين على ذلك

(١) محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ١٨ *

فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام - ترجمة ادوارد البستاني بيروت ١٩٤٩

ج ١ ص ٨٠ *

(٢) عبد الرحمن كتخدا :

ابن حسن جاويش القازوقل أستاذ سليمان جاويش أستاذ ابراهيم كتخدا وكان من الاتكسارية وتقلد السردارية وحجج سنة ١١٥٥ هـ/ ١٧٤٢م وبقي بالجهاز حتى سنة ١١٦١ هـ/ ١٢٤٨م ثم عاد الى مصر وتولى كتخدا الوقت عامين وشرع فى بناء المساجد وعمل الخيرات وإبطال التكرات وبلغ عدد المساجد التى أنشأها وحججها ١٨ مسجدا خلاف الزوايا والأسبلة والكتائب والأحواش والقناطر والربط للنساء القفريات ومن أهم المساجد التى بناها المشهد الحسينى والسيفة زيتب ، وقد اشتهر بالجود ولقب بصاحب الخيرات والعماثر فى مصر والشام وعد مهد السبيل لمل بك وأمانته على تولى مشيخة البلد ولكنه غدر به وعاد الى الجهاز سنة ١١٧٨ هـ/ ١٧٦٤م وبقي هناك حتى عاد الى مصر سنة ١١٩٠ هـ/ ١٧٧٦م ومات بعد أيام ودفن بالأزهر *

الجبerty : عجائب الآثار ج ٢ ص ٥ *

(٣) أولاد يحيى : قرية من قرى جرجا شرقى النيل كانت عامرة بالمساجد والتخيل والمسايف ولأهلها كرم وشهامة * على مبارك المخط ج ٩ ص ١٠٥ *

المنصب يستقطب بعضهم بعضا ولم يستطع عبد الرحمن كتحدا أن يتقلد مشيخة البلد لانه برغم شهرته وفربه من نفوس الشعب لم يكن له من الأتباع والصناجق ما يوازي صناجق عثمان بك الجرجاوى (أول الصناجق الذين قلدهم ابراهيم كتحدا) والذي انتهى الأمر بتوليده مشيخة البلد فلم يحسن معاملة زملائه الذين نزعوه من الرياسة وتولى بعده حسين بك الصابونجي (١) أوائل سنة ١٧٥٧م/سنة ١١٧١هـ .

فاتبع سياسة أسامها تشييت شمل الصناجق الإبراهيمية (٢) الذين كان على رأسهم على بك فأصدر حسين بك أمرا ينفي على بك (٣) الى نوسا الفيط (من اعمال الدقهلية) ولكن خشيدهاشينة تأمروا ضده واغتالوه سنة ١٧٥٧م/١١٧١هـ وتولى بعده على بك الغزاوى الذى سمى للقضاء على عبد الرحمن كتحدا مدبرا لذلك مؤامرة علم بها الأخير فعمل على اسقاطه من مشيخة البلد وانضم لذلك الى على بك الكبير وعقده معه أواسر الصداقة وبذل جهده حتى تمكن من جمع كلمة الأمراء على اختيار على بك شيخا للبلد فى أوائل عام ١٧٦٠م/١١٧٤هـ وظفر باقرار الباشا لذلك .

وهنا يحاول على بك بعد وصوله الى منصب شيخ البلد أن يحتفظ بهذا المنصب سبيله الى ذلك القضاء على من عساهم ينافسونه فيه وكان أهم هؤلاء ثلاثة :

عبد الرحمن كتحدا ، حسين بك كشكش ، صالح بك القاسمى حاكم جرجا .

وقد بدأ بعبد الرحمن كتحدا فاستصدر من الباشا أمرا بنفيه الى المحجاز سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م كما نفى الكثيرين من أنصاره .

(١) حسين بك الصابونجي :

من ماليك ابراهيم الصابونجي ، فر الى ابراهيم كتحدا فآذله ورياه ، تولى اماره الحج مرتين ١١٦٩م/١٧٥٥م والعالم التالى له ثم تولى شيخا للبلد ١٧٧١م/١٧٥٧م .
الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٦ .

(٢) بيت الإبراهيمية : هو الحزب الذى كان ينتمى اليه ماليك ابراهيم كتحدا استاذ على بك الكبير .

(٣) الخشداش أو الخوشداش أو الخويشداش مررب اللط الفارسى خوجاتانى ومعناه الزميل فى الحفلة ، والخشداشية فى اصطلاح عصر الماليك يصير هم الأفراد الذين نشأوا عند استاذ واحد .

ثم اتجه على بك الى الايقاع بين حسين بك كشكش (١) وصالح بك القاسمي بتعيين الأول حاكما لجرجا ثم أصدر أمرا بنفى صالح بك الى رشيد ثم الى دمياط ولكن صالح بك لم يستسلم بل فر الى المنيا الى الشيخ صديقه وحليفه الشيخ همام وجمع حوله (المتفين) من فرقة القاسمية (٢) وتشتتهم سنة ١١٤٢هـ/ سنة ١٧٢٩م فلجا الكيرون منهم الى الهوارة بالصعيد وفي عهد همام انضموا اليه وعملوا جندا عنده ، وكانوا يلتفون حول الأمراء المالك الفارين الى الصعيد ، ويخدمون في صفوفهم ، فلما فر صالح بك القاسمي (٣) الى المنيا لاجئا الى حمى الشيخ همام فرارا من وجهه على بك تجمع القاسمية لتأييده ومساعدته .

وقد اهتم الشيخ همام بمساندة صديقه صالح بك ومساعدته مساعدة فعالة ، عملا بما تقتضيه واجبات الصداقة من جهة وادراكا لضرورة نوايا على بك من جهة أخرى فلاحظ أن مساعدة الشيخ همام لصالح بك كانت تحمل في ثناياها ادراكا من همام لنزعة على بك وميله للقضاء على كل ذوى السلطان والنفوذ الذين يخشى منهم على نفوذه وسيادته ومن هؤلاء كان صالح بك الذى كان يستمد قوته من صداقته وارتباطه بالشيخ همام ، وقد أمد الشيخ همام صديقه صالح بك بكل ما يحتاج اليه من ذخيرة ومؤن ورجال لمقاومة الحملة التي وجهها اليه على بك بقيادة حسين بك كشكش .

وقد تمكن صالح بك بمعاونة الشيخ همام من قطع الاتصال بين الصعيد والقاهرة ، ومنع ارسال الفلال والأموال الإميرية .

وقد كان الشيخ همام يقف بكل قوته وراء صالح بك ، ويحسن سياسة الشيخ همام وبعد نظره فشلت حملة على بك ضد صالح بك ، فلا شك أن الشيخ همام بمساندته القوية لصالح بك نبهه الى حقيقة

(١) حسين بك كشكش :

من ممالك ابراهيم كنفدا ثامر (أى ولي) لى حياة أستاذ وكان شجاعا معاديا المشهور بالفروسية وخرج أميرا للحج أربع مرات دون أن يجرؤ العرب لى الطريق الى الحجاز على التعرض له بل هابوه وخافوا منه وكانوا يخوفون بذكره ألقابهم وكان ذا مزينة ماضية ونفس طموحة مما جعل على بك يشبهه ولا تهدأ قلعه الا بالقضاء عليه بطلما سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م .

المجربى : عياني الآثار - ج ١ ص ٣١٧ .

(٢) عن اللقارئة والقاسمية انظر ص ١٢٠ ، ١٢١ من الفصل الخامس .

(٣) عن ترجمة صالح بك انظر ص ١٢٩ من الفصل الخامس .

ويبدو أن الشيخ همام لم يقبل مساندة على بك إلا أنه ادرك خفايا شخصية على بك ، وأنه يملك من العزيمة ما سيمكنه من هزيمة زملائه ، وإحراز السيطرة على مصر كلها ، ورأى همام في مساندة على بك ما قد يعود عليه ، وعلى صديقه صالح بك بالنفع لو تم النصر لعلى بك وفاز بالسيادة ثانية .

وفعلا تم الاتفاق بينهم ، وقبل صالح بك الانضمام إلى صفوف على بك الذى سر كثيرا بهذا الاتفاق الذى سيكفل له الحصول على أكبر قدر من الأموال والرجال والعتاد من الشيخ همام .

وقد وعدهم على بك بأنه إذا ما تم له النصر ثبت صالح بك فى حكم ولاية جرجا مدى الحياة (١) أى ثبت نفوذ همام وسلطته فى الصعيد مدى الحياة أيضا فصالح بك كان هو الحاكم لجرجا شكلا ولكن النفوذ الحقيقى فيها كان لشيخ العرب همام ، وبمصاحبة صالح بك وبمعاونة همام تقدم على بك فى طريقه إلى القاهرة بجيش جرار حيث التقى بمنافسيه شمالي بنى سويف فى جمادى سنة ١١٨١ هـ أكتوبر سنة ١٧٦٧ م . حيث دارت المعركة الفاصلة التى انتصر فيها على بك نصرا تاما ودخل القاهرة حيث ثبتت أقدامه هذه المرة فى أمانة مصر ورياستها وحيث بدأ فى تنفيذ سياسته التى كانت ترمى إلى :

(قتل المتمردين وقطع الماندين وتشتيت شمل المنافقين) (٢) وقد بدأها بالقضاء على حسين بك كشكتس وزميله خليل بك سنة ١١٨٢ هـ سنة ١٧٦٨م ثم التفت إلى صالح بك حليفه الذى ساندته فى صراعه الهام ضد منافسيه والذى كانت له بمساعدة صديقه همام اليد الطولى فى حصول على بك على نصرة المؤزر على زملائه .

ولكن على بك فى سبيل التخلص من زملائه الذين يخشى من منافستهم له غدر بصالح بك بأن أغرى به بعض أتباعه فاغتالوه ليلا أثناء سيرهم معه قرب سويفه عصفور ببولاق بعد خروجهم من اجتماع ضمههم وعلى بك فى منزله فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١١٨٢ هـ / ١١ سبتمبر سنة ١٧٦٨م (٣) وبذلك تخلص على بك من آخر صنف قوى كان يمكن أن ينافس على مشيخة البلد ، ولعل من أهم الأسباب التى جعلت على بك يعجل بالقضاء على صالح بك خوفا من خطورة صالح بك لاستناده

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٠٧ .

الى حليفه القوي المسيطر على الصعيد شيخ العرب همام ، ولكن على بك كان سريع الخطأ ، بعيد النظر فقصى على صالحيه بك قبل أن يترك له فرصة تتميع له القيام بأى عمل ضده .

وبذا استقرت الأمور لملي بك الذى غدا سيد مصر الفعلي ، وتطلعت نفسه الى الانفراد بشئون الحكم فى مصر كلها وكان لايد له لتثبيت مركزه من تعبيد الطريق ، ازالة ما به من عقبات كان أهمها كسب ثقة الباب العالي باطاعة أوامر السلطان والتقرب الى مثله فى مصر واستصدار فرمانات من الباشا لتنفيذ ما يتخذ من قرارات ونجح على بك فى ذلك نجاحا تاما (١) .

وكان عليه أيضا أن يقضى على ما بقى من قوة الحامية العثمانية فى مصر ، فهى وإن كانت قد ضعفت وأصبح معظم رجالها من أرباب الحرف ، (المتزمتين) (٢) ولم تعد هيئات قوية منظمة ، الا أنها كانت موجودة وللانفراد بالسلطة فى مصر كان على بك أن يقضى على كل قوة لها ، ولذا اتبع سياسة التخلص منها باهلاك رجالها فى الحروب الداخلية ومنع العناصر غير المرغوب فيها من بين ضباطها من التزام الأراضى ومصادرة أموال البارزين من قادتها أو اعدامهم .

وبعد أن أمن على بك جانب السلطان وقضى على المتمردين والمنافسين له من البكوات المماليك وبعد أن شل نفوذ الحامية العثمانية وركز السلطتين الادارية والحربية فى يده أصبح فى مركز يسمح له بالقضاء على آخر القوى الخطيرة التى يمكن أن تهدد سلطانه ونفوذه وهى :

القبائل العربية المنتشرة فى الوجهين البحرى والقبلى .

وقد أظهر على بك أنه بمحاولته القضاء على سلطة تلك القبائل انما يهدف الى اقرار الأمن الداخلى (٣) .

ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد كان على بك يهدف من تحطيم سلطة القبائل العربية فى مصر الى دعم مركزه وفرض سيطرته الحاصلة على مصر كلها .

ومحاولة على بك للقضاء على القبائل العربية فى الوجه البحرى قد تكون محاولة صادقة منه لاقرار الأمن فقد كثر عبث الحبايية بشرق

(١) محمد رستم رمضان : على بك. الكبير. ص ٢٦ .

(٢) تولتى : ثلاثة اعوام فى مصر ودير الضمام .. مخرجة ادوارد البسماتى ج ١ ص ١١٠ .

الدلتا وأصبحوا أخطر العرب الموجودين بالوجه البحرى وأكثرهم نفوذا وسيطرة وهم ينتسبون الى حبيب بن مسعد أعظم مشايخ العرب قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة .

وقد وفد الحبايية أصلا من الحجاز واستقروا فى شطب بأسسوط ثم نزحوا الى الدلتا ، وكان ظهور جدهم حبيب فى أوائل القرن الثامن عشر وقد تولى رياستهم فى عهد على بك سويلم ابن حبيب الذى ورث عن أبيه حبيب وعن شقيقه سالم شهرة تردد صداها فى انحاء الوجه البحرى وقد انتهت الى سويلم زعامة جميع القبائل العربية هناك وهابه الجميع لجرأته وشدة بأسه .

وقد احيطت اعماله بهالة من الخيال حتى لقد (قوموه وفرصه بألف خيال) .

وقد انتهت اليه خفارة (حراسة) الملاحة النيلية بين بولاق وكل من دمياط ورشيد ، غير أنه رغم ثروته الطائلة وضياعه الواسعة تجبر ولفى وأصبح لا يقترب فى شىء عن قطاع الطرق فزاول القرصنة النيلية وأعد مراكب خاصة لذلك تخرج الى النيل وعليها رجال غلاط ومزودة بالسلاح فاذا مرت بهم سفينة صاعدة الى الوجه القبلى أو حادرة الى الوجه البحرى أوقفوها فان خضعت لهم أخذوا منها ما يشاؤون وان عصتهم أو حاولت الهرب منهم تتبعوها وضيّقوا عليها الخناق حتى تقسح بين أيديهم وحينئذ يأخذون منها أضعاف ما كانوا سيأخذونه منها لو سلمت لهم من أول الأمر .

وزغم تكرر الشكاوى من سويلم فان حكام مصر لم يكونوا يحركون نحوه ساكنا فقد كانت هداياه الفخمة الدائمة لهم تلجم أسنتهم وكان له من امراء الممالك واتباعهم اصدقاء كثيرين يحمون ظهره .

وقد وصل نفوذ الحبايية اقصى اتساع له فى عهد على بك فقد أصبحت معظم بلاد القليوبية والشرقية تحت حماية سويلم بن حبيب وحماية أقاربه وأولاده وأصبح الملتزمون فى تلك النواحي تحت رحمته يتدخل فى كل أعمالهم بالإضافة لتحكمه فى الطريق بين القاهرة وموانى القطر الشمالية .

وما كان على بك يسمح لتلك الفوضى بالبقاء فى عهده وما كان يستطيع أن يغمض عينيه عن خطورة سلطة ابن حبيب على نفوذه فى مصر، لذا وجه اليه حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب ، وأيوب بك للقضاء عليه

وفى رواية الجبرتي (١) ان على بك احتج فى ارسال تلك الحملة بما كان من اكرام ابن حبيب لمنافسه حسين بك كشكش وتستتره عليه أثناء مطاردة على بك له .

وعندما وصلت الحملة الى دجوه - (قرية صغيرة بالقليوبية تقع على الضفة الشرقية لفرع دمياط) - لم يكن سويلم موجودا بها وعندما علم بحضورها أسرع الى البحيرة والتجأ الى عرب الهنادى ، فاكتمى محمد بك ينهب دياره وأمواله وعاد الى القاهرة سنة ١١٨٢هـ / سنة ١٧٦٨م .

ولكن على بك لم يكتف بذلك بل جرد عليهم حملة أخرى بقيادة اسماعيل بك استطاعت هذه الحملة أن تهزم الحبابية والهنادى أيضا فانكسروا شر كسرة ، وقضى على سويلم وأتباعه وزال خطر هذه القبائل العربية نهائيا ولم تقم لها قائمة بعد ذلك (٢) .

وبعد أن تخلص على بك من أخطر عرب الوجه البحرى اتجه للقضاء على عرب الهوارة بالصعيد واستخلاصه من أعظم مشايخ العرب قدرا ونفوذا وأتباعا وهو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى .

وفى محاولة على بك القضاء على الشيخ همام ونفوذه بالصعيد تبوؤ رغبته فى دعم مركزه بالقضاء على كل ذى نفوذ يمكن أن يهدد نفوذه وسيطرته على مصر .

وترجع أسباب النزاع بين الشيخ همام وعلى بك الى سنوات بعيدة الى عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م حين تحدى همام الامير ابراهيم كتخدا (جاويش) استاذ على بك وسيدته ذلك التحدى والعداء الذى لم ينته الا بنهاية الشيخ همام وقد أشار الجبرتي الى هذا المعنى بقوله :

(وأما النفرة التى لم يندمل جرحها فهى دعوة برديس وفرشوط (٣) فقد رهن الشيخ همام لابراهيم جاويش ناحية برديس (٤) نظير اقتراضه منه مبلغ من المال بشرط أن يتصرف ابراهيم جاويش كيفما

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٤٥ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ١٨١ .

(٤) كان نظام رهن الأرض لحاجة صاحبها الى المال نظاما جرى به العرف فى مصر المتعاقبة وعرف برهن الأرض الفاروق أى الرهن المؤقت الذى تعود فيه الأرض لصاحبها بعد تسديد المال الذى اقترضه عليها . وقد ذكر الجبرتي أمثلة كثيرة لرهن البكوات المماليك جزءا من أراضيهم بهم على بك الهندى الذى كان قد رهن بلدا لبك آخر - ج ١ ص ١٣٩ - وفى الترجمة للخواجا محمد الداهه الشرايبي ذكر عنه الجبرتي - ج ١ ص ٨٧ أنه كان يقترض المال لقاء رهن البلاد عنده .

وقد كان طبيعيا أن يستنكر الشيخ همام غدر على بك بصديقه وحليفه صالح بك . وأن يظن إلى أنه لم يعد هناك مطلب لملي بك سوى القضاء عليه هو الآخر بعد أن قضى على جميع منافسيه وعلى القوى التي كانت تهدد نفوذه في مصر .

وقد سارع على بك ببدء النزاع ضد همام عقب التخليص من صالح بك فوجه على همام حملة بقيادة محمد بك أبي الذهب سارت إلى الصعيد في ١٥ رجب سنة ١١٨٢ هـ / ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٦٨ م لفرض شروط على بك على الشيخ همام وهي الشروط التي كانت تقضى بأن يقصر الشيخ همام منطقة نفوذه وسيطرته على أراضي الصعيد ابتداء من برديس (قرية بجوار مدينة جرجا تقع بحرى فرشوط مقر همام) وهي القرية التي سبق النزاع بشأنها بين همام ، وإبراهيم جاويش أستاذ على بك .

أى أن تلك الشروط كانت تقضى بأن يقصر همام نفوذه على المنطقة التي كان يتركز فيها الهوارة في قنا وأسوان وليس على الصعيد كله .

وقد كان على بك وقتها في مركز يسمح له بتحملي شيخ الصعيد وإملاء أوامره عليه فقد أصبح على بك شيخا للبلد وسيد مصر الفعل . وكانت الدلائل كلها تشير إلى أنه سيكون الحاكم المطلق لمصر كلها .

لذا أثر الشيخ همام الخروج من الجولة الأولى بدون اشتباك كان يدرك مقدما أنه سيخسره ، وقبل همام شروط على بك بتحديد منطقة نفوذه ابتداء من برديس ، وترك الأراضي الواقعة شمالها إلى المنيا - والتي كانت من قبل تحت سيطرة همام - لملي بك يتصرف فيها كما يشاء (١) .

ولا شك أن الشيخ همام قد قبل هذه الشروط بدون مقاومة وانسحب مؤقتا حتى يجد له منفذا آخر ولكن كلا من الطرفين لم يكن ينوى حقيقة تنفيذ هذا الاتفاق فقد بقيت تلك الأراضي في التزامات الشيخ همام (٢) وكان قبول همام للاتفاق ما هو الا تقدير منه لحظيرة الموقف فقط. وقوة الحزم الذي يقف أمامه فآثر الانسحاب ريثما يعيد النظر في موقفه ولكي يرى محمد بك أبا الذهب بالعودة وربما ليستميله ويجعله يشي على بك عن نية القضاء عليه تنازل له عن التزام ناحية برديس هدية منه له - أى بدون أن يقبض ثمنها لهذا التنازل بمناسبة مولود ولد لمحمد بك .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) دلائل الالتزام بالقلمة : دفتر رقم ٥٢٢ لسنة ١١٨٢ هـ عين ٨ مغزون تركي .

وقد كانت تلك هي الجولة الأولى بين همام ، وعلى بك تلك الجولة التي أكدت لهما أن :

على بك قد غدا العزم ناهما على القضاء عليه وعلى سيطرته الواسعة على الصعيد .

ولم يتخضع على بك بالانسحاب الهادئ الذي قدمه الشيخ همام يتنازله الظاهري عن أراضيه ، ولم ينس على بك أيضا الشكوك التي كانت ما تزال تؤرقه من ناحية الشيخ همام وما يربطه أي همام من صلات الود بالدولة العثمانية نفسها التي سمحت له بمدة نفوذه على أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان بأذنها فقد كان همام كما قلنا يحصل على كل أراضيه بالالتزام بأذن الدولة ورضائها .

وعاد التحرش من جديد واستأنف على بك الصراع حتى لا يترك لهما فرصة للتفكير أو العمل فأرسل اليه يطلب منه طرد الأمراء المالكين المعادين له والمقيمين بأراضيه عربونا لأقراره لشروط الاتفاق التي جرت بينه وبين محمد بك أبي الذهب .

وهنا تأكد لهما بما لا يدع مجالا للشك رغبة على بك في القضاء عليه وأنه لن يتركه يهتأ بما كان له من سيطرة ونفوذ في الصعيد لذا قرر همام في هذه المرة أن يقوم بعمل ايجابي لمقاومة محاولة على بك للقضاء عليه ، ولكنه لم يعلن عنائه صراحة لكل بك ولم يقاومه وجهها لوجه بل لجأ الى الأمراء المساليك خصوم على بك والموجودين في أراضيه مثل :

أتباع صالح بك القاسمي وباقي القاسمية وأتباع كثير من البيوت المملوكية التي قضى عليها على بك مثل بيوت :

الخشب ، الفلاح ، الجلفية ، مناو ، السكري ، أتباع كشكش بك .

وكان هؤلاء يشلون عددا كبير من الأمراء والأتباع فمنهم همام واتفق معهم على أن يتقدموا للاستيلاء على أسبوط وانتزاعها من أتباع على بك تهيئاً لتقديمهم الى القاهرة لاجلاء على بك عنها والقضاء على حكمه لمصر واسترجاع ما كان لهم من نفوذ وسطوة على أن تبقى له سيطرته على الصعيد ، وفعلا وافقه الأمراء على ذلك ، فأملهم همام بالرجال من كبار الهواة ومن أهالي الصعيد فتكون لهم جيش كبير قدم له همام كل ما يحتاج اليه من أموال وذخائر ومؤن .

(١) الجبرتي : مجالس الآثار ج ١ ص ٣٣٥ .

الشيخ همام - ١٤٥

وانتهى الأمر باستيلاء الأمراء حلفاء همام على أسبوط ووصل الخبر الى على بك الذى كان قد أرسل حاكما جديدا لجرجا من خاصة صنابقه وهو أيوب بك فى محرم سنة ١١٨٣هـ / مايو سنة ١٧٦٩ م وأمره بالتوجه الى جرجا لتولى منصبه ، وخرج أيوب الى الصعيد متوجها الى جرجا ومعه عدد كبير من الجنود والأتباع ، ولكنه وجد أن الصعيد فى قبضة همام وحلفائه ووجد أن سلطان على بك على مصر يتهدد بالخطر من شيخ الصعيد وحلفائه فأرسل يطلب مددا من على بك لمواجهة الموقف .

وقد أدرك على بك أهمية المعركة القادمة وأنه لتثبيت سيادته على مصر لا بد وأن ينتصر فى هذه المعركة ولا بد وأن يقضى قضاء نهائيا على الشيخ همام الذى أصبح منبعا للخطر الداهم يتهدد به نفوذه وبقاؤه فى الحكم .

لذا جهز على بك وبسرعة فائقة جيشا ضخما حشد فيه الى جانب جنده المماليك مجموعة كبيرة من رجاله الفرق العسكرية كلها وعلى رأسهم اثنان من بكواته الذين يثق فيهم وهم :

خليل بك القاسى وإبراهيم بك .

وأرسل هذا الجيش بسرعة للانضمام لجيش أيوب بك حاكم جرجا لمحاربة همام وحلفائه .

وقد حشد على بك لهذه المعركة كل قواه فلم يكتف بما أرسله بل أرسل حملة ضخمة بقيادة قائده المظفر محمد بك أبى الذهب ومعه رؤسوان بك ومجموعة من الأمراء والصنابق أتباع على بك وضمت هذه الحملة أعدادا ضخمة من :

المماليك والمرزقة من الدلاء والدروز والمتاوله والشوام .

وانضم الجميع الى جيش أيوب بك الذى كان معسكرا خارج أسبوط التى كانت ما زالت فى أيدي حلفاء همام .

وتقديرا من على بك لأهمية هذا الصراع وخطورة المعركة القادمة استمر فى ارسال الامدادات والذخائر المتوالية الى رجاله الذين أصبحوا يضمون جيشا ضخما مكونا من ثلاثة جيوش وهم جيش أيوب بك وجيش خليل بك وجيش محمد بك أبو الذهب الذى تزعم الجميع .

وأمام أسبوط دارت المعركة الحاسمة التى كتب النصر فيها لقوات على بك بعد قتال عنيف قتل فيه الكثيرون من أعداء على بك من الأمراء المماليك وفرت فلول المهزومين الى قرشوط مقر الشيخ همام .

وقد كان من الطبيعي أن ينتصر رجال على بك على حلفاء همام فقد كان رجاله يمثلون قوة الدولة وقد هيا لهم على بك الوسائل التي تضمن تفوقهم من تزويدهم بالأعداد الهائلة من الرجال والأموال والمؤن والأسلحة.

بينما كانت قوة همام أقل عددا وأضعف استعدادا لأن حلفاءه من الماليك لم يكونوا أكثر من جماعة من الأمراء اللاجئين إلى الصعيد بعد فقدهم كل قوتهم ونزواتهم التي جردهم منها على بك وما قدمه لهم الشيخ همام من رجال لم يكن لهم من المهارة الحربية ومن التدريب والتسلح وحسن الاستعداد ما يضمن لهم التغلب على الجند الماليك والطوائف العسكرية الأخرى التي كانت تتألف منها قواته على بك وبعد انتصار على بك الساحق على حلفاء همام ورجاله في معركة أسيرت أمر قائده محمد بك أبي الشعب بالزحف فورا إلى فرشوط لمحاربة الشيخ همام والقضاء عليه .

وقبل أن يجهز همام مخرجا من هذا الموقف ، وقبل أن يتقدم ب رجاله لمواجهة جيش محمد بك لجأ محمد بك إلى سلاح العصر وهو سلاح الحياة والحديعة فأغرى ابن عم همام الشيخ اسماعيل أبو عبد الله بخيانة همام وأخذ يستميله وأعدا أياه برئاسة الصعيد بدلا من همام إذا ما تقاعس عن القتال في صفوف همام ونشر فكرة التخاذل بين جنده (١) .

وبهذه الوعود البراقة استثار محمد بك جوانب الضعف الانساني والأناقية الشخصية التي جعلت الشيخ اسماعيل ينخدع بحيلة أبي الذهب ويخون ابن عمه الشيخ همام ويتراجع عن القتال معه بل ويضم إلى صفوفه الكثيرين من رجال همام .

ويبدو أن الشيخ همام كان يمتد أهمية كبيرة على وجود ابن عمه هنا بين صفوفه ، لذا قصصت هذه الحيانة ظهوره وفتت في عضله إذ أدرك أنه لن يبقى له شيء بعد أن خانت عشيرته وتخلي عنه أقرب الناس إليه ، لهذا أدركه حزن قاتل واضطر إلى التقهقر وخرج من مسقط رأسه وموطنه وعاصمة نفوذه ومجده فرشوط ومات (مكبوتا مقهورا قرب أسنا في قرية قبولة) (٢) .

في ٨ شعبان سنة ١١٨٣هـ / أول نوفمبر سنة ١٧٦٩م (٣)
وكان في نحو الستين من عمره .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٣٦ .

(٢) لمولة (أو قبولا) قرية كبيرة تقع غرب النيل وتبعد عن مركز قوص وقد نسبت في سنة ١٢٥٩/١٨٤٣م إلى ثلاث نواح وهي : البحري قبولا والأوسط قبولا وهي الأصلية والقيل قبولا وأصبحت كل ناحية منها قائمة بذاتها من ذلك التاريخ .

محمد رمزي : القاموس الجغرافي ج ٤ ص ٢٨٣ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٤ .

وبوفاة همام انتهت حياة تلك الشخصية الفريدة في عصرها وتقرر النصر النهائي لعلى بك الذى تخلص من آخر قوة كانت تؤرق مضجعه ، وتقف عقبة فى سبيل فرض سيادته الخالصة على الصعيد فغدا على بك بموت همام صيد مصر كلها وصاحب النفوذ المطلق فيها •

بعد خروج الشيخ همام من فرسوط دخلها محمد بك أبو الذهب ورجاله ونهب ما بها من أموال همام وأخذ ما كان بدياره وديار أقاربه واتباعه من ذخائر وغلال ثم رجع الى القاهرة وبصحبته درويش أكبر أبناء همام الذى قدمه الهوارة وأشاروا عليه بمقابلة محمد بك ففعل •

وقد نفرق الأمراء حلفاء همام بعد وفاته لفقدهم الأمل فى مقاومة على بك فمنهم من ذهب الى درنه ومنهم من ذهب الى تركيا ومنهم من ذهب الى الشام •

وأما درويش فبعد أن قابل محمد بك طلب منه أن يحصل له على العفو من على بك فرحب محمد بك بذلك وأخذه معه الى القاهرة وأسكنه بجوار منزله (١) ولعله قصد بذلك تحديد اقامته حتى تهدأ الأمور وبقي الشيخ درويش بمصر فترة كان يقوم فيها بالتجول فى القاهرة لرؤية معالمها وزيارة أوليائها والتنزه فيها وكان الناس يعدون خلفه لمشاهدته والنظر اليه لجماله ووجاهته ولما سمعوه عن أخبار أبيه الشيخ همام •

وبسببها محمد بك منح على بك درويشه التزام اراضى فرسوط •

كيف ادار على بك الصعيد بعد وفاة همام

استولى على بك وقائده محمدا أبو الذهب على معظم الالتزامات الهامة والتى كانت للشيخ همام من قبل وأصبح اسمهما هو الذى يرد أمام هذه النواحي وسجلت دفاتر الالتزام اسمهما بدلا من اسم همام •

فى دفتر رقم ٥٣٩ لسنة ١١٨٤ هـ عين ٨ •

ورد أن على بك أخذ اراضى طهطا ، شبنويل ، شرق بويط ، منشأة اخميم ، وشرق أخميم ، برديس ، قنا شركة مع محمد بك أبى الذهب •

ونرك على بك لأبناء همام ، درويش وشاهين وعبد الكريم (١) أراضى
محدودة فى محافظة قنا .

• ووزع باقى أراضى همام بين الأمراء المماليك مثل :

اسماعيل بك أمير الحج ، ومصطفى بك حاكم جرجا وأيوب بك ،
وقيطاس بك ، ومراد بك ، وإبراهيم بك ، ومجموعة أخرى من البكرات
المماليك .

ومجموعة من أقارب همام مثل :

• الشيخ اسماعيل عبد الله عيسى .

• إبراهيم عيسى أحمد همام (٢) .

• صالحه زوجة همام ، وابنته شريفة (٣) .

وقد تولى درويش بن همام مشيخة الهوارة بعد وفاة والده وبعد
أن توسل له محمد بك أبو النذهب لدى على بك الذى وافق على عودته الى
فرشوط وأعطاه التزامها .

ولكن درويشا لم يحسن ادارتها وجعل كل همه مضايقة من كانوا
يعملون فى خدمة أبيه بمصادرة أموالهم وانتهى أمره بالفشل وعاد ثانية
الى القاهرة لاجئا الى محمد بك أبو النذهب الذى أحسن استقباله واكرمه
وأنزله بمنزل مجاور لمنزله أيضا .

ويبدو أن محمد بك كان يحسن معاملة الشيخ درويش لاكتساب
ود الهوارة استعدادا للحولة القادمة ضد سيده وولى نعمته على بك وهو
ما وقع فعلا فعندما تمرد محمد بك على سيده خرج الى الصعيد ولحق به
درويش بن همام وسأله الهوارة عنه على بك .

وبتوزيع أراضى الصعيد بين ملتزمين من المماليك تعرض أبناءه
لأنواع عديدة من المظالم التى كان يتعرض لها الفلاحون من باقى أنحاء
مصر من نهب الأعراب وظلم الملتزمين ونقل كاهل الفلاحين بالضرائب
الجائرة .

(١) دفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣ عي ٨ مخزن تركى .

(٢) دلائل التزام الولايات القبلية القلعة - دفتر رقم ٥٣٦ لسنة ١١٨٤ م عي ٨ -

مخزن تركى .

(٣) دلائل التزام الولايات القبلية القلعة - دفتر رقم ٥٧٣ لسنة ١١٨٥ لسنة

١١٨٥ م / ١٧٧١ م عي ٩ مخزن تركى .

أثر القضاء على سلطة همام في حياة الصعيد

بعد القضاء على سيطرة عمام على الصعيد واجهت أسرته متاعب كثيرة فقد قُتل ابنه درويش كما قدمنا في تولي رئاسة الهوارة لضعف شخصيته وسوء سياسته .

وأما أبناء الآخرين شاهين وعبد الكريم فقد استمرا يشتغلان بالزراعة حتى قتل شاهين على يد مراد بك سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) لأمر نقمها منه أيام الفرنسيين ومات عبد الكريم قريبا من هذا التاريخ .

ولما تولى إبراهيم بن محمد على حكم الصعيد ساء هذه الأسرة أقسى أنواع العذاب إذ جردوا من كل ما بقى لها من التزامات وأوقاف سنة ١٢٢٣هـ / ١٨١٣م مما أدى إلى تدهور حالتها ، ولجؤ أفرادها وعلى رأسهم زوجة عبد الكريم بن همام إلى القاهرة لرفع شكواهم إلى محمد على عليه يرفق بهم ولكن محمد على تجاهلهم ولم يستمع لشكاوهم فعدوا إلى بلادهم في أسوأ حال (١) .

وكان ذلك لحرس محمد على على القضاء على العصبيات العربية وعلى كل ما كان لها من نفوذ .

وقد تابع الهوارة بعد همام التدخل فيما كان يجرى من أحداث سياسية بين أمراء المماليك ولكنهم فقدوا الأهمية التي كانت لهم في عهد همام واستهان بهم أمراء المماليك وأصبح رؤسائهم من المهانة بحيث يروحون ويحيثون في ركب الأمراء المماليك المتنازعين مع زملائهم بالقاهرة واللاجئين إلى الصعيد .

وفقد الهوارة ما كان لهم من مكانة يحترمها الجميع وغدا شيوخهم ينتقلون بين أطراف النزاع تارة ينضمون إلى مراد بك وتارة ينضمون إلى خصمه اسماعيل بك مما أدى إلى استهانة مراد بك بشيوخهم اسماعيل أبو علي فأمر بقتله ومصادرة أمواله سنة ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م (٢) .

وبنهاية همام أصبح الصعيد ملجأ للأمراء المماليك الذين نفوا واحداً تلو الآخر وظل هدفهم دائما أن يمدوا ليحكموا القاهرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٤ ص ١٨٣ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٥ .

فلما طرد على بك محمد آبا الذهب لجأ الى انصميده (١) رجع حوله
الهاوة والأمراء المنفيين واستقبلهم فى تدعيم موقفه • وزججه على القاهرة
للاقامة سبيله على بك •

وبعد وفاة محمد بك وقيام الصراع بينه أفراد بيته الذين انقسموا
الى فريقين :

١ - فريق يتزعمه حمدى بك واسماعيل بك •

٢ - فريق يتزعمه مراد بك وإبراهيم بك •

وسقط الفريق الأخير فى البداية فى الصراع فانسحب رئيساه الى
الصعيد سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٥م واستمرا يعودان الى القاهرة ثم
يخرجان الى الصعيد حتى انتهى الأمر باستقرارهما بالصعيد من ١١٩٩هـ /
١٧٨٤ م : ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م (٢) وقد أذاق أهل الصعيد فى هذه
المدة سوء العذاب وانقلوبهم بضرائب فادحة فقد استولى مراد بك وزميله
إبراهيم على أرض الصعيد وأصبحا يأخذان الأموال الأميرية بدلا من الحكومة
ومعنا وصول الغلال الى القاهرة واشتغلا فى نهب أموال الفلاحين
وأبقارهم وأغناهم •

حتى أنه عندما عادا الى القاهرة صجبا معها أشياء كثيرة من هذا
القبيل (٣) •

وقد أثرت سيطرة هؤلاء الأمراء على الصعيد أسوأ الأثر • فقد
غرضت أثناء هذه السيطرة على أهل الصعيد ضرائب لم يكونوا يخضعون
لها قبل مثل رسوم رفع المظالم وهى ضريبة أنشأها محمد بك أبو الذهب
وصرح للحكام بتقاضيتها بدلا من زياداتهم المستمرة لضرائب الكشوفية •

وتعرض أهالى الصعيد أيضا لدفع رسم جديد عرف باسم •

فردة التحرير •

(١) الحجاب : مطبوع تاريخ حوادث وموت مصر من ٧٧ •

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٩ •

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ٥١ •

وهو رسم فرضه مراد بك وإبراهيم بك وهذه الرسوم كان أبناء
الصعيد معافين منها أيام حماد (١) .

وأنشاء منازعات هؤلاء الأمراء تعرض الصعيد لهجمات الأعراب
القاسية ينجبون المسافرين ويوقعون بهم أقسى أنواع الاغارة .

وبهذا لم يتمكن للصعيد في ظل حكم البكوات المنفيين بعد وفاة
الشيخ حماد أن ينال على أيديهم أدنى تقدم وانتهت أيام الصعيد الزاهرة
التي نعم فيها في عهد حماد بالأمن والاستقرار .

خاتمة

اختلفت نظرة المؤرخين والكتاب الى الشيخ همام وتاريخه واعماله كل الاختلاف فالجبرتي (١) صور الشيخ همام كزعيم لقبيلة الهوارة بالصعيد واهتم بما كان عليه همام من كرم شمل القريب والبعيد ، وما كان له من ثراء طائل وان كان لم يمن بالبحث عن مصادر هذا الثراء ، وسجل الجبرتي ما كان من صراع بين علي بك والشيخ همام ولكنه لم يقسم لنا تحليلا وافيا لأسباب هذا الصراع .

ومن الكتاب من نسب الى الشيخ همام أعمالا رائدة فهو في نظرهم منشيء الجمهورية في الصعيد ، وهو الذي وزع الأراضي على الفلاحين ، وأقام حياة فيايبية (٢) ومنهم من تعامل على همام ونفى انه أقام حكومة أو امارة في الصعيد (٣) وبينما أفاض بعض الرحالة الأجانب في وصف ما كان عليه همام من تواضع وما كان يربطه من صلات طيبة بالدولة العثمانية وما كان له من حكومة واسعة في الصعيد (٤) فان البعض الآخر حاول التقليل من شأن همام فوصفه بأنه أمير ضئيل الشأن (٥) .

ان همام كان شخصية مغايرة للشخصيات العربية التي ظهرت في مصر العثمانية قبل أيامه وبمدها ، كان شخصية احاطتها حالات من التمجيد ، وذاع صيتها في أنحاء الصعيد خاصة ، ومصر كلها عامة ،

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) د . لويس عوض : للأثرات الأجنبية : ج ١ ص ٨ من المقدمة .

(٣) سليمان عبد الرحمن : لقب أمير الصعيد : البلاغ ١٩٣٤/١٥ .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, 23.

(٥) فولبي : ثلاثة أعوام في مصر ودير الفيل . ترجمة ادوار البستاني ج ١

ولم تكن شهرة همام وليدة أساليب البيان وسحر البلاغة ، كما لم تكن الهالات التي أحاطت بسيرته وليدة الخيال وإنما هي شهرة ومجد استمدا وجودهما من الواقع الذي لا يخفى .

لقد أحال الشيخ همام الصعيد من منبت اللغتن ومسرح للصراع بين الأمراء الممالك المهزومين أمام زملائهم في القساورة ومطارديهم المنتصرين ، الى منطقة استقرار ورخاء وأمن وازدهار وبهذا وضع أساس مجده وخلقه ذكراه .

وقد ظهر همام في وقت كان الصعيد فيه في أمس الحاجة الى وجود رجل مثله ، يقر الأمن ، ويحمي الفلاحين من ظلم الادارة ومتاعب الأعراب من نهب وسلب وتهديد .

نشر همام العدالة بين أبناء الصعيد ولم يكن يفرق في المعاملة بين أبناء قبيلته من الهوارة وبين الفلاحين أو العرب الآخرين فالجميع أمامه سواء .

فإذا ما عجز أحد العاملين في أرضه من الهوارة عن تقديم الحراج المطلوب منه في موعده سامحه همام وأجل له السداد للعام القادم كما حدث . بالنسبة لحمد محمد حمد علام الهواري (١) الذي تأخر عليه للشيخ همام مبلغ ٢٠ شريف ذهب من خراج عام ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م .

وكذلك كان الأمر بالنسبة للشيخ محمد عيسى علم الدين القليعي (من العرب الآخرين) الذي تأخر عليه لهمام مقدار ١٣٣ (تليسا) من الفلال من خراج عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م (٢) .

وأحمد نوفل من فلاحى قنا الذي تأخر عنده لهمام مبلغ ١٨٧ وريالا من خراج سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١ م (٣) .

لقد أجل همام السداد بالنسبة للجميع سواء أكانوا هوارة أو عربا آخرين أو فلاحين فالجميع عنده سواء .

وقد اهتم الشيخ همام بتنظيم الزراعة في الصعيد وأدار الحياة فيه بنشاط جم ، وكفاية فائقة ، وكان هدف همام أن يخلق من الفوضى نظاما

(١) هذا التأجيل وارد بأقرار شخصي من علام الهواري للشيخ همام وهو من الحج التي سلمها لي أخفاد همام .

(٢) هذا التأجيل وارد بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط .

(٣) هذا التأجيل وارد أيضا بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط .

يمكنه من نشر الرخاء بين فلاحي الصعيد . لذا اهتم برعاية الأمن فيه ، كما عمل على خلق شخصية بارزة له تحميه من ظلم المماليك واستغلالهم .

وقد ساعدت الظروف القاسية وقتها الشيخ همام على مد نفوذه وسيطرته على الصعيد فقد كانت السلطة العثمانية في مصر قد وصلت الى أقصى مراحل تدهورها ، والأمراء المماليك قد انقسموا في المنازعات بينهم ، وحاكم ولاية جرجا لم يعد يهتم بالبقاء فيها ، بل أصبح يقضى معظم وقته بالقاهرة .

لذا مد همام نفوذه وسيطرته على الصعيد ، وشمل كل نفوذ لحاكم ولاية جرجا وأصبح هو المسيطر على مقاليد الأمور فيه من المنيا الى أسوان .

وقد اتقن همام دوره ، وأخذ في تنفيذه مضمحا بكل ما يملك من جهده ومال ورجال ولم يكثر بما كان يبذله من تضحيات ، وما يلاقيه من جهده وعناء .

وقد وصل همام الى درجة كبيرة من القوة والسيطرة على الصعيد ، مما اضطر كبار الأمراء المماليك للتنازل له عن أراضيهم التي كانت لهم فيه وأصبح هو المسيطر على معظم الأراضي هناك بالالتزام من المنيا الى أسوان وقد مكنته سلطته كملتزم لهذه الأراضي الواسعة من بسط نفوذه وسيطرته على الصعيد في وقت غدا فيه الملتزم هو كل شيء في منطقته ، فهو يمثل الحكومة ، ومدير الاقليم ماليا وإداريا .

وبلغ همام من القوة والنفوذ حدا جعله يؤثر في تصعيد حدة الصراع بين كبار الأمراء المماليك بالقاهرة وهو باق في مكانه في الصعيد ، لم يذهب الى القاهرة ولم ينتقل من مقعده ومهد نفوذه كما حدث أثناء الصراع بين أكبر أميرين في مصر وهما الأمير عثمانبا ذو الفقار ، وإبراهيم جاويش (١) .

وقد اتصف همام بحسن تقديره للمواقف فعندما أدرك أن المستقبل لعل بك ، وأن سيادة مصر ستكون بيده قدر أنه لا فائدة من الوقوف في وجهه فساعدته وتحالف معه عن طريق صديقه صالح بك القاسبي ودعم هذا التحالف بأمدادهما بكل ما يحتاجان اليه من أموال ورجال لازاحة منافسى على بك من القاهرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٧٨ .

كان همام رجلا عظيما وصاحب شخصية جديرة بالبحث والدراسة
ولو لم تتحالف عليه قوى أكبر من طاقته لكان له فى تاريخ الصعيد شأن
اعظم وأكبر مما كان له .

وقد كانت حركة همام آخر الحركات القوية التى قامت بها العصابات
القبلية فى مصر . فقد فضى محمد على كل قوة لهذه العصابات بتجريدھا
من أراضیها وأسباب قوتها (١) فلم يشهد الصعيد بعد همام أى حركة
لهذه العصابات .

وقد ازدهر الصعيد فى عهد الشيخ همام ونعم أهله بالأمن .
والرخاء الأمر الذى جعلهم ييكون هماما بعد وفاته أمر بكاء ، ويترنمون .
بأخباره ويتمنون عودته فى مواويلهم الشعبية التى تغنوا بها قائلين :

قم يا همام وامسى وروح سنار وازرع وقوت عيسالك
فرشوط قادت عليك نار والى عندي وجالك (٢)

وفى موضع آخر تغنى أهل الصعيد بعظمة همام قائلين :

هياك يا باب هياك يس ضبتك غيروها
تسعين أوغسه وشباك فى تلا يلك كسروها (٣)

وما زال أهل الصعيد يحفظون أجمل الذكرى للشيخ همام ويرددون
أخباره ومآثره .

(١) الجيرى : عجائب الآثار : ج ٤ ص ١٨٥ .

(٢) فى هذا الموال يتمنى القائلون لو أن الشيخ همام كان قد تولى إمام حملة مصد
بك أبى الذهب وذهب إلى سنار ، وأقام مزارع جديدة لاتباعه لم يذكرن ما كان من
حملة فرشوط - مسلط رأسه ومهد تلوه - على همام عندما خرج منها وغادرها لأول مرة
على إلى مجيء (اللى) أى محمد بك أبى الذهب .

(٣) هذا الموال يشير إلى قصر همام بفرشوط وقد ذكر لى إخطاده أن هذا القصر كان
قصرا كبيرا به ٩٠ حجرة وهذا الموال يشير إلى هذا القصر الذى لحق التدمير والتخريب
بحجراته التسعين وما كان بها من تراث يسبب حملة محمد بك أبى الذهب .

الملاحق

ملحق رقم (١)
نماذج لحفظ القزعة

أسماء اشخاص : محمود / محمد ، محمد / أحمد / أحمد
مصطفى / محمد عبد العزيز / والعزيز سليمان / سلى
شاهين / أحمد ، عبدالله / والرحمان / رحمان

أسماء قرى ، ادف / ار شندويد / سدو بجرجا / هر
قوية / ارسل . حر . حر ديفة / حر

الاولاد جامع / اولد جامع
مصطلحات إدارية : بك / بك . مزاد / نر
درعده / حر / حر / شغل / حر

أرقام حسابية : ٢ / ١٥ / ٧٠ / ٨ / ٦٤
٢٧ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠
٨٦ / ٢٠ / ٢٤ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠
٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠

أسماء شهود : ربيع اول / ربيع اول / ربيع اول / ربيع اول
ربيع اول / ربيع ثانی / ربيع اول / ربيع اول

أجزاء القدان : ثلث / ثلث / ثلث / ثلث / ثلث / ثلث
قزطان / و

ملحق رقم (٢)

حجة رقم (١)

أول رجب سنة ١١٨٢ هـ

الأمر حسبما حرر فيه

ختم رب وفق أمور أحمد

نمقة الفقير اليه جل شأنه الحاج أحمد القاضي بمصر المحروسة
بالباب العالي أعلاه الله تعالى وشرفه بمصر المحروسة لدى سيدنا
ومولانا شيخ مشايخ الاسلام ملك العلماء الاعلام قاموس البلاغة ونبراس
الافهام الناظر في الأحكام الشرعية قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية
الموقع خطة الكريم أعلاه دام علاه آمين أشهد على نفسه قدره الأمراء
الكرام كبير الكبر الفخام صاحب القنور والمجد والاحتشام المقر الكريم
العالي والكوكب المنير المتسلط وصاحب العلم المنيف الخاقاني مولانا
الأمير على بك أمير الحاج المصرى سابقا وشيخ البلد حالا دام عزه آمين
يخط يده كل من قدره الأكابر وعمده الأعيان أولى الشان الفخام
الجناب العالي حازر رتب المفاخر والعالي مولانا الأمير عثمان أغا وكيل
دار السعادة العظمى بمصر حالا وقوة الأعيان العظام عين أولى الشان
الفخام الجناب العالي الأمير سليمان باش جاويش طايفة مستحفظان
قلعة مصر المحروسة سابقا دام مجدهم شهوده الأشهاد الشرعى وهو
بكمال الأوصاف المعتره شرعا اذ فرغ وترك وأسقط حقه لفخر ذوى
المحامد العظام المجلس العالي شيخ العرب همام بن المرحوم يوسف أحمد
همام شيخ عربان هواره بالوجه القبلى المشمول بوكالة مولانا الأمير
عثمان اغا (١) وكيل دار السعادة المومى اليه اعلاه الثابت فأكيله عنه
فى ذلك لدى مولانا شيخ الاسلام المومى اليه اعلاه بشهادة كل من تابع
الوكيل المومى اليه اعلاه هو قدوة الأمائل وعمدة الاعيان الجناب العالي
الأمير حسن اغا من اعيان امراء اللجاريشبة وفخر الكتاب المعترين وعمدة
الحساب والمحررين نتيجة الاصلاحات المخمين القاضى سراج الدين عمر بن
المرحوم الشيخ أحمد الكاين هو بمنزل مولانا الأمير عثمان اغا المومى
اليه اعلاه لبوتا شرعيا من التصرف والتحدث والالتزام والتقسيم
بجميع الحصة التى قدرها اثنان وعشرون قراطا من أصل أربعة وعشرين.

(١) القراءة كما جاءت فى الأصل تماما ، ومن الملاحظ أن الاسلوب الذى كانت تكتب

به الحجج الشرعية جرى فقال الهمزات .

قيراطا شايما ذلك في كامل أراضي ناحية بنى نصر وغيره تابع ولاية المنفلوطية المعلوم ذلك عندها شرعا والجارى كامل أراضي الناحية المسقط منها الاثنان وعشرون قيراطا المذكورة في تصرف وتحفت والتزام وتقسيط مولانا الأمير على بك المسقط المشار اليه اعلاه يشهد له بذلك الانتقسط الديوانى المكمل بالختم والعلامة والصح على العادة في ذلك المركب على اسمه المتضمن لكامل ناحية بنى نصر المسقط منها الاثنان وعشرون قيراطا المذكورة المؤرخ في ثالث شهر ذى القعدة الحرام سنة أحد وثمانين ومائة وألف ولولانا الأمير على بك المسقط المسمى اليه اعلاه ولاية فراغ ذلك وسقاطه عن نفسه بدلالة ما شرح اعلاه وبالتصاق على ذلك فراغا ونزولا واسقاطا شرعيا ثابتا ذلك خاليا عن رهن ووعد ووفاء من غرة شهر قوت القبطى افتتاح سنة اثنين وثمانين ومائة وألف الخراجية اتفق بينهما في ذلك يوم تاريخه بإيجاب وقبول شرعيين عن طيب وانفراح صدر لما علم السقط المسمى اليه اعلاه لنفسه في ذلك من الحظ والمصلحة باعترافه بذلك لشهوده ومن سمي اعلاه في يوم تاريخه الاعتراف الشرعى وصدقه على ذلك مولانا الأمير عثمان اغا الوكيل المسمى اليه اعلاه وقبل ذلك منه لوكله شيخ العرب الشيخ همام يوسف المسقط المسمى اليه اعلاه تصديقا وقبولا شرعيين وذلك في نظير ما قبضه مولانا الأمير على المسقط المشار اليه اعلاه لنفسه من مولانا الأمير عثمان اغا الوكيل المشار اليه اعلاه من مال موكله شيخ العرب الشيخ همام يوسف المسمى اليه اعلاه عن حلوان ذلك وقدره من الاكياس المصرية الديوانية اثني عشرة كل كيس منهم خمسة وعشرون ألف نصف فضة ديوانى ما يتاكيس اثنتان وخمسون كيسا مصرية ديوانية قبضا شرعيا بتمام ذلك وكما له باعترافه بذلك لشهوده ومن سمي اعلاه في يوم تاريخه الاعتراف الشرعى ولم يتاخر مولانا المسقط المشار اليه اعلاه قبل الوكيل المسمى اليه اعلاه ولا قبل شيخ العرب همام المسقط له المرقوم من كامل ذلك ولا من بعضه مطالبة ولا شئ قل ولا لال وبمقتضى ذلك وبما شرح اعلاه صار الشيخ همام يوسف الموكل المسقط له المرقوم مستحق التصرف والتحدث والتقسيط والالتزام بجميع الحصص التى قدرها اثنان وعشرون قيراطا المسقطه المرقومة من ناحية بنى نصر وغيره المذكورة من ابتداء السنة المذكورة بطريق البت الشرعى الخالى عن الرهن والوعد والوفاء في نظير مبلغ الحلوان المقبوض منه اعلاه دون مولانا الأمير على بك المسقط المسمى اليه ودون كل احد الاستحقاق والتصرف الشرعى بالطريق الشرعى المبروح اعلاه وتصادقا على ذلك وثبت الأشهاد بذلك لدى مولانا شيخ الاسلام

الموصى اليه بشهادة شهوده ثبوتاً شرعياً تاماً مرعياً وشهد وحرر في غرة
شهر رجب الأصم الأحب من شهور سنة اثنين وثمانين ومائة والـ
خارجية .

شهود

امضاء امضاء امضاء امضاء امضاء امضاء

ملحق رقم (٣)

أمر رقم (١) من الشيخ همام لحسن الأمير المحترم حسن الأمير

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان حضر لنا على عبد الرحيم وعرفنا
أن له ممالك حصّة في بيتين وانت له ممالك حصّة في بيت طالب وتأخذ
مخصصك الذي عنده والمذكور طالب يأخذ مخصصه الذي في بيوتكم
وانك تندفع ممالك للشرع والذي يقتضيه (١) الشرعي
تمشوا عليه .

الفقيه همام يوسف



أمر رقم (٢)

القدر الأجل المحترم الشيخ أبو بكر أحمد

بعد السلام عليه وكثرة الأشواق إليه لم يخفاه قضيت الثلاثة
قراريط ونصف الذين اشتراهم غزالي الأمير ودفع لنا ثمنهم بالكامل فانه
عرفنا ان أحمد غريب وأبو فتحي حاجزين منه قطع من ضمن الثلاثة
قراريط ونصف وانك تحرضهم عليه ولم تعرفهم لم لك دعوة تمسك
لأنه دفع ثمنهم وبقوا إليه والغفارة (٢) من أصلها لنا وشركة مع
الأمير اسماعيل .

الفقيه همام يوسف

(١) يباح بالأمس ويرجع انه كانت مكتوبة به كلمة الحكم .
(٢) الغفارة : يرجع أنها الأرض التي كانت تقع بها الثلاثة قراريط ونصف المذكورة
بالأمر .

أمر رقم (٣)

الأجل المحترم محمد على اسماعيل

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان الأمير اسماعيل محمد عرفنا ان قصده يبني قطعة بجوار شمونة لأجل ما يسكن فيها واحد خفير والمنعمائية عمالين يتعرضوا على الخرايب واذا تعرضوا تمنعهم وسابق كان كتبوا ورقة على الأمير اسماعيل ان لم يبني داخل يوابته وان ده كلام فارغ وان كان الأمر قبل حرم الجامع () (١) بعيد عن بنيانه .

الفقيه همام يوسف

وعلى هامش الأمر كتب

وأما الجامع عازفينه ده بناء المرحوم الحاج على واهو الآن اتهد ولم جاعلين لهم همة في بنيانه والسلام .



General Organization of the Alexandria Library (GUAL)
Bibliotheca Alexandrina

أمر رقم (٤)

المحترم عبد الرحمن اسماعيل الأمير

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان حضر لنا الحاج عمر وعرض علينا حجة الخريبات الأمير حسن بخمسين تليس غلال الثلث قمح والثلثاي قول من متحصل رزقهم وانه لسنة ١١٦٤ وانك تدفع لهم القدر المذكور في كل سنة وتريحهم لأن ده استحقاق والدهم والسلام (٢) .

الفقيه همام يوسف

(١) هذا البيضاء نافي من تموز الأمر مما جعل من لتعلم قراءة ما بعد كلمة الجامع ويرجح أنه كان (الذي هو) .
(٢) جميع هذه الأمور مبهورة من الخلف بتخم الفقيه همام بن يوسف بمباراة الفقيه همام يوسف لإحمد محمد همام .

ملحق رقم (٤)

فئات الملتزمين في ولاية جرجا قبل ظهور الشيخ همام بن يوسف

من دفاتر القلعة : دفتر رقم ٤٢ السنة ١١٢٠ هـ / سنة ١٧٠٨ م
عين ٣ مخزن تركي

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١ -	اسيوط ، وريفة ودرنكة ، شطب	<p>١ ط إبراهيم عبد الله نام</p> <p>١ ط محمد عبد الله مستحفظان</p> <p>١ ط علي عبد الله تابع محمد جلبى</p> <p>١ ط عمر تابع محمد جاويش</p> <p>٣ ط أحمد جلبى</p> <p>٦ ط يوسف عبد الله جاوشان</p> <p>٣ ط علي عزبان</p> <p>١ ط أحمد تابع عثمان جلبى</p> <p>١ ط محمد عبد الله حسن تابع</p> <p>١ ط قيطاس بك</p>	ماليك
		٦ ط شيخ أحمد بن محمد همام	هواره
٢ -	أبو تيج وصدا ومشايه	<p>٢ ط شيخ العرب ريان حماد</p> <p>٨ ط في أبي تيج</p> <p>٨ ط في صدا ومشايه</p> <p>٤ ط شيخ العرب حمد حماد</p> <p>٥ ط شيخ العرب علي حماد</p> <p>١ ط اسماعيل عبد الله تابع شيخ حمد</p>	عرب
		<p>٢ ط علي عبد الله تابع محمد مستحفظان</p> <p>١ ط سليمان عبد الله تابع أحمد</p> <p>٢ ط مستحفظان</p>	اتباع ماليك

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
٣ -	أبو مقروفة	<p>شيخ العرب ريان عايد ط٨</p> <p>أحمد نام مستحفظان ط٤</p> <p>علي سليمان عبد الله تابع ط٨</p> <p>أحمد جليبي ط٤</p> <p>يوسف أحمد جليبي ط٤</p>	ممالك
٤ -	نخيلة	<p>إبراهيم عبد الله تابع حمد حماد ط٣</p> <p>شيخ مصطفى أبو شنب ط٤</p> <p>شيخ حسن نصر ط٢</p> <p>شيخ محمد علي ط٢</p> <p>شيخ أحمد عبد الله ط٤</p> <p>شيخ نصر حماد ط٣</p> <p>شيخ علي أحمد ط٣</p> <p>أحمد يوسف تابع علي كتحدا ط٣</p>	عرب تابع ممالك
٥ -	فاو الكبرى	<p>شيخ حماد الخضري ط٣</p> <p>شيخ عثمان الخضري ط٣</p> <p>محمد بك مير لواء ط٤</p> <p>اسماعيل عبد الله مستحفظان ط١٢</p> <p>عثمان عبد الله مستحفظان ط٢</p>	ممالك
٦ -	طهها وتوابها	<p>حسين عبد الله مستحفظان ط٤</p> <p>أمير أحمد كمال اخيمي ط٨</p> <p>عمر تابع حسن مستحفظان ط١٢</p>	ممالك عرب ممالك
٧ -	شندويل وتوابها	<p>شيخ عمر محمد ط٣</p> <p>أمين حسن اخيمي ط٦</p> <p>عنبر تابع شيخ أحمد يوسف ط٤ ١/٤</p> <p>علي تابع شيخ أحمد يوسف ط٤ ١/٤</p> <p>علي عبد الله مستحفظان ط٦</p>	عرب هواره ممالك

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها وتصيب كل منهم	نوعهم
٨ -	شرق أخميم وتوابعها	محمد تابع شيخ حسن أمير حسن أخميمي	عرب ط١٢ ط١٢
٩ -	منشأة أخميم	أمير حسن أخميمي سليمان تابع شيخ حسين عمر تابع شيخ حسين أحمد عبد الله كوكلويان عثمان عبد الله محمد بك مير اللواد حاكم ولاية جرجا	ماليك ط٤ ط٤ ط٤ ط٤ ط٢ ط٦
١٠ -	طما وتوابعها	علي عبد الله مستحفظان حسن عبد الله مستحفظان علي عبد الله تابع حسن جاويش شيخ عمران ابراهيم شيخ علي محمد شيخ صالح قندهيل شيخ حميد مكي	ماليك عرب ط٣ ط٣ ط٦ ط٢ ١/٤ ط٢ ط٢ ١/٤ ط٥
١١ -	خولجان	حاج أحمد محمد همام حسين أبو بكر رامح يوسف همام يوسف موسى يوسف أحمد يوسف	هواره ط١٢ ط٣ ط٣ ط٢ ١/٤ ط٢ ١/٤ ط١

مستلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١٢-	بخانيس وقصير بخانيس	شيخ العرب الحاج أحمد محمد همام جوهري عبد الله تابع حاج أحمد سليمان عتير تابع حاج أحمد سيد عبد الله تابع حاج أحمد	هواراة وأتباعهم
١٣-	عرب قصاص	أحمد إبراهيم إبراهيم تابع أحمد محمد همام حسن أحمد موسى يوسف	هواراة وأتباعهم
١٤-	الأقصر	مصطفى تابع أحمد يوسف إسماعيل تابع أحمد يوسف جوهري تابع أحمد يوسف أحمد تابع عثمان يوسف	هواراة وأتباعهم
١٥-	بياضية	حسن تابع يوسف أحمد مصطفى تابع يوسف أحمد	أتباع هواراة
١٦-	برديس والبلينا	عبد الله تابع أحمد يوسف إبراهيم عبد الله مستحفظان إسماعيل عبد الله مستحفظان سليمان عبد الله تابع أحمد مستحفظان سليمان عبد الله تابع حسن كتنخدا سليمان عبد الله تابع مراد كتنخدا	هواراة أتباع الماليك

سلسلہ	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١٧-	فرشوط وتوابعها	شیخ یوسف أحمد همام شیخ محمد یوسف شیخ محمد أحمد شیخ أحمد عبد الله شیخ عبد الله ابراهيم شیخ حسنین أبو بكر	هواره
١٨-	هو وبهجورة والكوم الأحمر وتوابعها	شیخ یوسف أحمد شیخ علی عبد الله شیخ حسنین أبو بكر شیخ محمد یوسف شیخ عيسى أحمد شیخ عبد الله ابراهيم شیخ أحمد محمد همام	هواره
١٩-	حراجية	مصطفى تابع شیخ أحمد یوسف حاج حمد محمد همام جوهر تابع شیخ أحمد یوسف	هواره واتباعهم
٢٠-	قنا	عثمان تابع شیخ أحمد یوسف حسن تابع شیخ عثمان یوسف حاج أحمد محمد همام	هواره
٢١-	قوص	حاج أحمد محمد همام شیخ رافع یوسف شیخ حسنین أبو بكر عثمان تابع شیخ أحمد یوسف	هواره

ملحق رقم (٥)

صورة لزحف الشيخ همام على أراضي الصعيد من سنة ١١٣٤ هـ
الى سنة ١١٨٣ هـ من دفاتر الالتزام بالقلمة :

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٣٤ هـ / ١٧٢١ م	فرشوط وعربان عرور وغضانة وأولاد سحيم وكوم شيخية بحق ٣ ط
١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م	هو وبهجورة والكوم الأحمر وتوابها بحق ٣ ط قنا ويندر قصير ٦ ط ، بخانس ١٢ ط يضاف الى ما سبق :
١١٣٦ هـ / ١٧٢٦ م	سنابسة ٤ ط ، أينوب ٨ ط ، كوم بنار ٩ ط + دشنا ٦ ط ، أرض المنقذية ١٢ ط ، أرض دنفيق بندوره ١٢ ط +
١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م	بلصفورة ٥ ط ، نفس أخميم ٢ ط +
١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م	طهطا ١٢ ط ، إسنا وتوابها ١٢ ط . جرف أبو عميرة ٨ ط ، شرق المرج البحري ١٢ ط ، خلجان وسهمود ٤ ط الأقصر ١٣ ط +
١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م	ادفا وبنى مزار ١٢ ط ، قرأى وريفة بأمسيوط ١٢ ط العنبرية ٨ ط ، بلصفورة ٦ ط

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م	+ أولا شلول ٦ ط ، طوخ النقادة ١٢ ط برديس ١٢ ط
١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م	+ شرق المرج القبلي ١٢ ط ، الخيام أولاد طوق ١٢ ط
	ادفا وبني مزار ١٢ ط ، القبيبة والبنارس ٨ ط قنا وتوابها ١٢ ط ، فرشوط ٢١ ط ، جلاجيص ١٢ ط
	قراى وريقه ٨ ط ، خلجان وسهود ٨ ط
١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م	+ خلجان وسهود ١٢ ط ، بلصفورة ٦ ط
١١٦٣ هـ / ١٧٤٩ م	+ شرق المرج القبلي ١٢ ط ، شرق المرج البحري ١٢ ط
	بني وركان (بالنبيا) ١٢ ط ، بياضية ١٢ ط نقادة ١٢ ط ، الجرازة ١٢ ط ، عرب قصاص ١٢ ط
	قوص ١٦ ط ، بخانس ١٢ ط ، جراجوس ١٨ ط
	الحراجية ٢٤ ط ، خارقة ١٠ ط ، أولاد مامن ٣ ط
	بلاص ٢٢ ط ، أولاد جامع ١٨ ط ، الحمايدة ١٢ ط
	+

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م	أبو البدرى ١٢ ط ، رزقة أولاد العربى ١٦ ط ، طين وقف برسباى ١٨ ط ، أولاد جاد الغربى ١٢ ط ، شرق أخميم وتوابها ٤ ط ، فاوجلى ٨ ط ، رزقة أولاد الشيخ ٦ ط ، الشغب ٨ ط ، الباسكية ١٢ ط ، الحرجة ١٢ ط ، ببيج القهرمون ١٢ ط ، الشيخية ١٨ ط +
١١٦٨ هـ / ١٧٥٤ م	طوخ الجبل ٨ ط ، جرف سقلته ٦ ط ، نخيلة ٤ ط +
١١٦٩ هـ / ١٧٥٥ م	السعيرات ١٢ ط ، عربان الحراكين ١٢ ط ، اعراب الساحل ١٢ ط ، كفر همام ٨ ط ، المساعيد ١٢ ط أولاد بهيج ١٢ ط ، أولاد حمد ١٢ ط ، أولاد عادى ١٢ ط ، قضائه الكبرى والصغرى ١٨ ط +
١١٧٠ هـ / ١٧٥٦ م	بردیس ١٢ ط ، هو وبهجورة والكوم الأحمر ١٢ ط عرب قصاص ١٢ ط ، قوص ٨ ط ، قنا وتوابها ١٢ ط ، بياضية ١٢ ط ، طهطا ١٠ ط ، بنى وركان ١٢ ط ، القبيبة والبنارس ١٤ ط ، طما ١٣ ط جزيرة عطا ١٢ ط ، شغب ١٦ ط ، جرف سقلته ٤ ط أولاد جاد الغربى ٥ ط أولاد جاد الشرقى ١٣ ط أولاد شلول ٦ ط ، ولاد طوق ١٢ ط ، أولاد مامن ٣ ط ، دشنا ١٦ ط ، رزقة المسافة ٦ ط ،

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
	<p>قبالة الخميس ١٨ ط ، فادجل ١٦ ط ، رزقة البوصة ١٨ ط رزقة الشيخ علي ١٢ ط ، وقف الجيمانية ٨ ط ، جلاجيص ٦ ط ، طين زعيفة ومجنونة ١٥ ط ، تصيرية وصعايدة (باسوان) ١٨ ط ، كفر الحمايدية ١٢ ط ، ادغوا ٢ ط</p> <p>+</p> <p>شرق بويط (باسيوط) ١٢ ط ، طما ١٢ ط طهطا ٢ ط</p> <p>+</p> <p>منشأة أخميم ١٨ ط</p> <p>+</p> <p>نفس أخميم ٢ ط ، شرق أخميم ١ ط</p> <p>+</p> <p>بنى نصر بمنفلوط ٢٢ ط</p> <p>١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م كان لهمام التزام جميع أراضي السنوات السابقة .</p>

ملحوظة :

- أوردت السنوات التي حدث فيها تغير في التزامات همام فقط .
- - تعني إضافة أرض العمام الجديد الى الأرض التي كانت لهمام في الأعوام السابقة .

ملحق رقم (٦)

تقسيط رقم (١)

ختم بمحمد يرجو الأمان محمد لما يخاف وفي نوالك رغب

مقاطعة

حماية قرية حراجية تابع قوصية ١٢ ط تابع ولاية جرجا در عهدة شيخ العرب همام يوسف بقدر ١٢ قيراط وجه التزام قيد شده أول توت الواقع في ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ من اسم اسماعيل عبد الله تابع محمد أحمد مستحفظان خربوطلى ملتزم بوجه ١٢ ط يضم قرای مذکور كيرة وقيد شده بموجب بيورلدى شريف حضرة وزير ضمير روش محمد راغب باشا محافظ مصر آدام الله اجلاله الواقع في ١١ جمادى الأولى سنة ١١٦١ .

في سنة

١٥٠ قديم

٠٠٦ جديد

١٥٦

الشطر الأخير من التقسيط هو النصيحة التقليدية التي يوجهها
الباشا عادة للملتزمين وتعريبها .

انت أيها الملتزم المذكور ، انه بموجب هذا التقسيط الديواني المعطى لك قد أصبحت القرية المذكورة في التزامك بحق ١٢ ط من مصلحة المذكور فبناء عليه تصرف فيها وعليك ان تؤدي المال الميرى المفروض عليك في وقته مع التحرز من الظلم والتعدي .

توقيع

الدفتردار

محمد مصطفى

ملحق رقم (٧)

حجة رقم (٧) ١٠ وجب سنة ١١٥٦ هـ

المنسوب الى فيه صحيح الفقير عيسى أحمد همام ختم الفقير عيسى أحمد همام .

الحمد لله رب العالمين مانقه وشرح فيه صدره الفقير على عثمان عتيق الدين القرشي المولى بفرشوط حالا عفى الله عنه .

سبب تحرير الحروف وباعت تسطيرها بين يدي الحاكم الشرعي الراقم خطه ومهره باسم الكريمين منه أعلاه نزل وفرغ وتخلي وأسقط حقه حضرة الجناب العالي الصدر الأجل المحترم ششيخ العرب الشيخ عيسى الواضع اسمه وختمه فيه ابن شيخ العرب الحاج أحمد محمد همام لحضرة الجناب العالي الصدر الأجل المحترم شيخ العرب الشيخ همام يوسف أحمد محمد همام الجدة المشار اليه المسقط الجارى ذلك فى تحدث وتصرف والتزام وتقسيط الشيخ عيسى المشار اليه البعض بموجب تقسط ديوانى والبعض آل اليه بالفراغ والإسقاط سنة تاريخه من الأمير إبراهيم جاويش مستحفظان قازوغي بموجب حجة من هذه المحكمة مشمولة بعلامة الحاكم الشرعى المشار اليه وله ولاية إسقاط ذلك وذلك عن جميع الحصص التى قدرها النصف اثني عشر قراطاً شايما من أصل أربعة وعشرين قراطاً على ناحيتي سمهود والخلجان تابع ولاية جرجا وذلك فى غرة توت القبطى سنة ١١٥٦ وستة وخمسين ومائة وألف وما بعدها من السنين نزولا وفراغا وإسقاطا تباً وذلك فى نظير مبلغ الحلوان عن ذلك قدره من الأكياس للديوانية وثلاثة عشر كيساً ونصف كيس عبوة كل كيس منها خمسة وعشرين ألف نصف فضة ديوانى بحساب الشريف الخندقل مائة وستة وأربعين نصف فضة واعترف الشيخ عيسى المسقط المشار اليه بوصول ذلك اليه من الشيخ همام المسقط له المشار اليه بتمام ذلك وكماله بالاعتراف وبالتصادق على ذلك بموجب ذلك صارت ناحيتي سمهود والخلجان بالكامل فى تصرف وتحدث والتزام وتقسيط الشيخ همام المشار اليه من ابتداء سنة تاريخه وما بعدها من السنين النصف له أصلاً والنصف الآيل اليه بالفراغ من عمه الشيخ عيسى المشار اليه واذنه اليه الشيخ عيسى فى وضع يده وتعاطى الناحيتين مال وغلغل فى سنة تاريخه وما بعدها من السنين وإن يقوم بما عليها لجانب الديوان وأن تقسطه ذلك باسمه واسم من يختار على العادة وحرر فى عاشر شهر رجب سنة ١١٥٦ ستة وخمسين ومائة وألف .

شهد بذلك

إبراهيم عثمان

شهد بذلك

محمد على

iv

الحمد لله الذي جعلنا من آل أبي عبد
الله سبطا وولداً في الحجاز الكعبة الحجاز
التي فيها ربي ونصه الذي استلزم عزاً إلى الله
ودفع لنا من آل أبي عبد الله ما فيه عزاً إلى الله
وأبو عبد الله جازي من قطع من عهد
ولقد رأيت في محضر علي بن أبي طالب
عنه ما فيه دفع من آل أبي عبد الله
ما أهله إلى الله وشدته مع آل أبي عبد الله
فإن الله ورسوله

امام المجدد محمد علي عليه السلام
 السلام عليك ايها الامير المصلح
 الذي انقذه من قطع
 جوارحه لامل ما يملك
 منها واقدحوا والنمايه
 العالي تفرغوا الى احياء واداء
 انفسهم شائق كان
 لتعود قد على الامير المصلح
 ان ابي من اقله ابيه وارث
 انما انما الامير المصلح
 الذي انقذه من قطع

انجمن مجاز و شعر و ادب
 بعد از آنکه به کار خود
 انجام می دهد و عرض می کند
 که این امر به نفع مردم است
 و برای آنکه مردم را از
 وادار و انظار و اندیشه
 رنجور و رنجور کند
 و به نفع مردم و به نفع
 وادار و انظار و اندیشه
 رنجور و رنجور کند

المراجع

- (أ) وثائق غير منشورة .
- (ب) وثائق منشورة .
- (ج) مخطوطات .
- (د) مراجع عربية .
- (هـ) مراجع أجنبية .

(١) وثائق غير منشورة

وثائق دار المحفوظات بالقلمة بالقاهرة :
وأهم الوثائق التي درستها فيها وأفادتني في البحث :
دفاتر التزامات الولايات البحرية والقبلية :
وهي ...

دفاتر خاصة بالالتزام الزراعي فقط وعددها حوالي ١٥٠٠ سجل
تبدأ من سنة ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م الى سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م وهي
السنة التي بدأ فيها محمد علي إلغاء نظام الالتزام .

وقد تركزت دراستي على ...
دفاتر التزام الولايات القبلية :
وهي نوعان :

(١) دفاتر من الحجم الكبير :

وهي سنوية وخاصة ببيان مقاطعات كل ولاية وتقسيمها بين
ملتزميها والمال المطلوب من كل منهم أي أنها :

دفاتر حسابات خراج أي المطلوب من الملتزمين .. ولكل سنة
دفترها الخاص الذي يحوى حسابات الجهات التابعة لقلم ضرائب واحد ..
فولاية جرجا والفيوم والبهنساوية وأشمونين وإبريم كانت حساباتها
تدون في دفتر واحد لتبقيتها لقلم ضرائب واحد وهو قلم شهر ..

ويرد غالبا في أول هذا النوع من الدفاتر صورةا للبيورلدات التي يصدرها الباشا بموافقته على انتقال الالتزامات من شخص لآخر أو موافقته على منح التزامات أراضي جديدة .

وأصول هذه البيورلدات (الأوامر) كانت تحفظ لدى الملتزمين أنفسهم كما تقرر الدفاتر . . وهذه البيورلدات مكتوبة بالتركية بحروف عربية وبعضها دون باللغة العربية فقط ، ويوضح بها اسم الروزنامجي والوالي في هذه السنة .

وفي آخر هذه الدفاتر . .

كانت تثبت الزيادات الجديدة في الضرائب على المقاطعات .

وبالنسبة لدفاتر ولاية جرجا :

كان يرد في أولها حساب المال المطلوب من قلم شهر كله ثم حساب كل مقاطعة بالتفصيل والجملة وتقسيم مواعيد السداد ثلث أول ، ثاني ، ثالث والمطلوب في كل منها . . كما يرد بها أيضا :

تقسم المال الميرى المطلوب من كل ولاية أى المخصص منه للخرينة والمخصص لحاكم الولاية ، مصاريف الولاية نفسها .

ما يستفاد من الدفاتر الكبيرة :

منها يمكن تتبع الزيادة في الضرائب على الأرض وكيف تطورت . . . ودور الدولة بالنسبة لانتقال الالتزام من شخص لآخر (وقد ثبت لى أن الشيخ همام كان يحصل على التزاماته بأمر الدولة وبرضاها .

ومن الدفاتر الكبيرة أيضا يمكن معرفة الضرائب المقررة على كل ولاية وكل ملتزم .

النوع الثاني من دفاتر الالتزام

دفاتر صغيرة

وهي دفاتر تحصيل للمال الميرى في مواعيد سداذه سواء أكان ثلث أول / أو ثان / أو ثالث ، صيفي ، أو شتوي فهي دفاتر تنفيذ فعلي .

ففي موعد كل سداد كان أفندية الروزنامة يثبتون في هذه الدفاتر :

أسماء الملتزمين نواحي التزامهم والمال الذي سده كل منهم :

ولهذا النوع من الدفاتر صودتان

- (أ) دفاتر اثبات للمال الذى تم تحصيله من الملتزمين .
(ب) دافتر نحصيل للبواقي أى الاموال المتخلفة لدى الملتزمين قد تتراكم البواقي لمدة عشر سنوات .

تفيد هذه الدفاتر فى معرفة فئات الملتزمين

وهى أدق فى معرفة مالكو الالتزامات الجدد وعمن أخذوها أكثر من الدفاتر الكبيرة التى كانت تورود المال المطلوب أحيانا باسم الملتزم القديم بينما يكون ملتزم جديد قد حل فى الأرض بدلا من القديم وأصبح هو الذى يقوم بالتسديد فعلا كما توضح الدفاتر الصغيرة .

ومن الدفاتر الصغيرة نوع اسمه

- (أ) دفاتر قيودات تقاسييط وتحاويل تقاسييط (فراغة) وهذه كانت ترد بها التقاسييط (سندات التمكين) الجديد التى منحتها الدولة للملتزمين . . . التقاسييط التى حصل عليها ملتزمون جدد بناء على قراغ للملتزمين آخرين ويتم ذلك بموافقة الباشا ومن الدفاتر الصغيرة أيضا .
(ب) دفاتر ترويع (مساحة) للولايات : وهذه يذكر منها أقسام الولايات . . وعددها وقرى كل قسم وحدودها ومساحتها والأرض الصالحة للزراعة فيها . . ومنها أيضا دفاتر :

(ج) أصول عوايدى تقاسييط : أى دفاتر أصول عوايد (ضرائب) المقاطعات وبها ترد . . مقاطعات كل ولاية والمال المطلوب منها القديم والمستجد .

ومن هذه الدفاتر يمكن . . تحديد عدد مقاطعات كل ولاية ، والمال المطلوب منها . . والانواع الثلاثة الأخيرة توجد بأعداد محدودة بدار المحفوظات فكثير من السنوات ليس لها دفاتر من هذه الانواع . . من الوثائق الأخرى التى اطلعت عليها فى دار المحفوظات .

دفاتر السرزقى :

وهذه الدفاتر ترجع الى العصر المملوكى وتستمر فى العصر العثمانى أيضا وترد بكل دفتر أسماء قرى الولاية الموجود بها رزق .

وقد يرد بهذه الدفاتر أحيانا حجج شرعية باثبات انتقال الرزق من شخص لآخر .. ، والرُّق مفردها رُقة .

وهي أرض معفاة من الضرائب وملك حر لأربابها بغير شرط ولا قيد اذ هي من بقايا الاقطاعات والارصادات التي كان السلاطين قد انعموا بها على بعض المقربين اليهم ومنحهم حقوق التصرف المطلق فيها بمقتضى تقاسيط وعقود تملك أعطيت لهم من مصلحة الروزنامة بنص صريح فيها على أن تكون رزقه بلا مال الى مشاء الله تعالى .. وهم بناء على ذلك أوقفوا ما أوقفوه منها على المساجد وغيرها من الأماكن الخيرية .

.. ودفاتر الالتزام الزراعى الموجودة بدار المحفوظات كتبت كلها بخط القرعة . الذى يشبه الخط العربى ولكن تستخدم به كثير من الرموز السرية وتستعمل فيه رسوم لا حصر لها فى اتصال حرفين وثلاثة .. وفك رموز هذا الخط هي أهم مشكلة تواجه الباحث فى تاريخ مصر العثمانية .

٢ - وثائق المحكمة الشرعية بالقاهرة شبرا : نقلت الى دفترخانة الشهر العقارى بالقاهرة ..

موجودة بدفتر خانة المحكمة .. وهي وثائق ذات أهمية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية لتاريخ مصر العثمانية .. وتوجد بها معظم حجج المحاكم الشرعية الخاصة بالقاهرة فقط وهي محاكم متعددة تبلغ ثلاثة عشر محكمة خاصة بالسام القاهرة مثل :

١ - محكمة الباب العالى .

٢ - محكمة قوصون .

٣ - محكمة بايى سعادة والخرق .

٤ - محكمة القسمة العسكرية .

ويمكن من دراسة قضايا تلك المحاكم معرفة الكثير : عن نظام القضاء فى العصر العثمانى ونظم جيازة الأرض من فراغ (تنازل) عنها ومعلومات كثيرة عن الالتزام وتوزيع مقاطعاته وتوارثها وصرة الحرمين وركب الحاج المصرى وايرادات الأوقاف العامة والخزنة المرسلة للاستانة وتحركات ومنازعات الأوجاقات العسكرية ووفاء النيل ووضع أهل النمة وجزيتهم .

وقد وجدت بها كثير من الحجج الخاصة بفراغ أمراء مماليك لشيخ العرب همام عن أجزاء كبيرة من أراضى الصعيد وذلك فى سجلات

محكمة الباب العالي وعددها ثمانية عشر سجلا من ١١٥٤هـ / ١٢١٩هـ ، وحجج المحكمة الشرعية مرتبة في دفاتر على ورق مصقول ومزونة بالخط العسادي ٠٠ ولكن الدفاتر غير مفهومة ولا منظمة تبعا للسنوات أو الموضوعات مما يضطر الباحث لقراءة كل حجج الدفاتر ليعثر على ما يهيم منها وهذا يسبب له إرهاقا شديدا .

٢ - وثائق دار الوثائق القومية بعابدين :

(قبل نقلها الى القلعة) :

بالدار معظم الوثائق الخاصة بتاريخ مصر ابتداء من عهد محمد علي ولكن الموجود منها خاصا بالعصر العثماني ينحصر في :

١ - حجج الالتزام .

٢ - حجج شرعية .

الفترة التاريخية لهذه الحجج تبدأ من القرن ١٢هـ الى منتصف القرن ١٣هـ . وهذه الأوراق كانت قد نقلت من دار المحفوظات بالقلعة الى دار الوثائق بعابدين تمهيدا لتجميع الوثائق الخاصة بتاريخ مصر كلها في دار الوثائق القومية أو هو مشروع لم يستكمل بعد بالإضافة الى أن ما نقل من وثائق لم يترجم ولم يعد أى اعداد يساعد الباحث في بحثه .

وحجج الالتزام عبارة عن تقاسيط التزام أصلية مرفق بها حجج فراغ (ما يعادل البيع الآن) من أصحاب الالتزام الأصليين الى ملتزمين جدد ويوضح على التقسيط الأصل اسم صاحبه الجديد ومنها :

(أ) طلبات مقدمة من أصحاب التزامات يريدون الفراغ عنها وعليها أوامر عالية من الباشا وختم الدفتر دار بقبول الفراغ .

(ب) طلبات أخرى رفعها أصحابها للحصول على موافقة الباشا على ورائتهم لالتزامات أقاربهم .

وقد قمت بدراسة بعض الحجج الشرعية الخاصة : بطلب صرف مرتبات مثل ٠٠ مرتب خزينة ، مرتب جوالى (بالمدينة المنورة) ، جمر ك بولاق ، مرتب غلال باسم نظار وقف ، مرتب شمع لاجيا المولود النبوى باسم خطيبى الأزهر ٠٠

المستفاد من حجج الالتزام :

والذى كان مهما بالنسبة لى :

لا تمس هذه الوثائق شخصية همام نفسها ولكنها تتعلق بنظام
الالتزام في عصره وقبله ويعلمه .

**واتضح لي منها : أن نقل الالتزام من شخص لآخر كان يتم بتقديم
الشخصين المتنازل (البائع) والمتنازل له (المشتري) أو وكيلهما إلى
الحكمة الشرعية وأمام القاضي والشهود تتم عملية الفراغ (التنازل) .**

وتبدأ حجة التنازل (الفراغ) بذكر اسم القاضي ثم الشهود ثم
اسم المتنازل والمتنازل له ثم حدود قطعة الأرض التي تم الفراغ عنها ،
وكيف كان يملكها صاحبها وأحياناً يذكر سبب تنازله عنها مثل
(خرابها أو تمطلها ...) .

ثم يذكر الثمن (الحلوان) الذي حصل عليه المتنازل لقاء تنازله
عنها .. ثم يذكر في النهاية أنه على المتنازل له الحصول على موافقة
الوالى على اتمام هذه الصفقة ، وعليه تسديد الضرائب المستحقة عليها من
الآن بصفته الحائز الجديد لها .. ثم يرفق بهذه الحجة الشرعية التقييد
الأصلي للمتنازل وعليه البيانات المعتادة من حدود الالتزام والضريبة
المفروضة عليه وختم الباشا والدفتردار ... والنصيحة الموجهة للمتنازل
باللغة التركية لأداء واجباته ، ثم توضع على هامشه حركة الانتقال
الجديدة واعتماد الدفتردار لها .. وكل البيانات في التقييد سنة
بخط القزمية . فيما عدا النصيحة الموجهة للمتنازل لأداء واجباته فهي
بالتركية .

**وقد أمكن لي بمقارنة البيانات الخاصة بصاحب التقييد الأصلي
والواردة بخط القزمية في تقييد التزامه مثل (اسمه ونسبه ، وحدود
التزامه) بنفس هذه البيانات الخاصة به والواردة باللغة العربية في الحجة
الشرعية ، أمكن لي عن طريق هذه المقارنة حل الكثير من رموز القزمية :**

من أمثلة ذلك :

تقييد خاص بزهرة بنت محمد جلبي .. محظفة رقم (٩) بتاريخ
سنة ١١٢٧هـ ، وقد كان نظام الفراغ عن الأرض بتقديم طلب لأخذ
موافقة الباشا في البداية مطبقاً بالنسبة للجميع حتى لشمس الأيمله .

ففي محظفة رقم (٦) ملف رقم (٨) لسنة ١١٨١هـ ورد طلب من
ملتزم مقاطعة قرية القطيعة وكفرها (بولاية أسيوط) بجزءاً بخصوص
رغبته في الفراغ عنها لعل بك مير لواء أمير الحاج سابق والطلاب مرفوع
باسم الباشا برجاء إصدار فرمان باعتماد ذلك ثم دونت عليه موافقة
الباشا وختم الدفتردار .

واستمر الأمر كذلك حتى في عهد محمد علي ٠٠ محفظة رقم ١٦
ملف ٣٣٤ لسنة ١٢٤٤هـ وثيقة ٥ بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ١٢٤٤هـ ٠

كان لمحمد علي باشا والي مصر التزام ٦ ط بقرية إيشويه الملحق
وغيرها بالعربية والمنوفية ٠٠ وذلك مدون على تقسيط قديم كان باسم
آخرين ثم أخذ محمد علي منهم الأرض لنفسه ٠ فشره الالتزامات وحيازتها
كانت لحكام مصر أيضا ٠

وتوضح حجج الالتزام الموجودة بعابدين حركة توارث الالتزامات :

وثيقة رقم ٢ ملف ٨٥ - ٢٧ ذو الحجة سنة ١١٨٧هـ قرية أبو
عدري المعروفة ببني جليى بجرجا وزاثة عن والدهم وورد على الطلب
موافقة الباشا واصداره ببيورلى شريف برفع الملتزم الحالى وتسليمها
للورثة ٠

وقد كان للشخص أن يرث التزام زوجته أو معتوقى أقاربه مثل
(معتوقى عمه مثلا) أو اتباع أبيه ٠

وإذا كان طالب الوراثة من العلماء كان يأخذ تأشيرة من شيخ الأزهر
بتزكية طلبه ٠٠ وتمثل وثائق عابدين مصفرا كبيرا لتتبع نظام وراثة
الالتزام ٠٠ ومنها أيضا يمكن تتبع نظم أنواع الالتزام الأخرى : مثل
التزام الجبارك وأنواع الالتزام المدنية الأخرى ، وبالدار نوع آخر من
تقاسيط الأرض ولكنها ليست تقاسيط التزام بل تقاسيط خاصة بتمليك
الإبعاديات فى عهد محمد علي وصادرة من ديوان الروزنامجى ؛ ويعوى
التقسيم من هذا النوع ٠٠ انعام محمد علي بالإبعاديات على الشخص
باعتبارها رزقه بلا مال ثم يرد به حدود قطعة الأرض المنعم بها ثم امضاء
الروزنامجى وختم محمد علي ٠

وهذه التقاسيط تفيد فى دراسة : نشأة وتطور الإبعاديات فى عهد
محمد علي حدودها ، مساحاتها ، البطوائف التى كانت تمنح لها (رجال
الجيش ، المديرون الأغوات ، العلماء ، شيخ الإسلام ، شيوخ الطوائف
« طوائف الحرف » ٠٠) ٠



٤ - وثائق احتداد همام بمحافظة قنا :

قدم لى أحفاد الشيخ همام فى نرشوط بمحافظة قنا وفى بهجورة
أيضا مجموعة من الحجج الخاصة بتاريخ همام ، وقد أبدو أسفهم لانهم
أضاعوا مجموعات كبيرة منها نتيجة علم إدراكهم لأهميتها ٠

والمجموعة التي قدموها لي عبارة عن :

١ - حجج شرعية صادرة من المحاكم الشرعية المحلية في الصعيد .
أو المحاكم الشرعية في مصر مثل محكمة الباب العالي ومحكمة سعادق وبابى
الخرق خاصة بالتنازل عن الأرض وشرائها .

٢ - حجج أخرى عبارة عن اتفاقات والقرارات شخصية بشهادة شهود
ومنها :

(أ) نوع خاص يرهن الأرض .

(ب) نوع خاص بالتنازل عن الأرض .

٣ - ونوع ثالث عبارة عن :

صورة لحجج شرعية صادرة من محكمة قنا بأوقاف الهوارة وأوقاف
الشيخ همام ونسب الهوارة .. بالإضافة الى مجموعة من تقاسيط الالتزام
الخاصة بالشيخ همام وأولاده وأبيه .

وقد اتضح لي من دراسة هذه الوثائق أن التنازل والفراغ
عن الأرض كان يتم اما بحجة شرعية امام المحكمة واما باقرار شخصي ،
وكان يجري تبادل الأرض بين الشيخ همام وأقاربه والأشخاص الآخرين
في الصعيد امام المحاكم المحلية في أسنا ، بهجورة وفرشوط ، ادفو ..

وقد أثبتت لي هذه الأوراق أيضا امتداد أراضي همام من بني مزاد
بالتيا الى ادفو بأسيوان ، وكان يذكر دائما في حجج الفراغ أن التنازل
تم برضى الطرفين وأن على الشخص المتنازل له تسديد المال الميرى ومصاريف
الولاية لجانب الديوان .

وصلت مساحة بعض الأراضي المتنازل عنها الى ٢٥٠ فدانا ...
كان الفراغ يتم اما نظير مبلغ من المال أو نظير مبادلة أرض بأرض وأحيانا
كان الثمن يسد غلالا .

ويلاحظ انه في بعض الحجج وردت عبارة أن الأرض المتنازل عنها
صارت ملكا وحقا للمتنازل له يتصرف فيها تصرف المالك في املاكهم
وذوى الحقوق في حقوقهم مما يظهر لنا أن الحيابة غلت ملكية في النصف
الثاني من القرن ١٨م / ١٢هـ .

كان الفلاح أحيانا يتنازل عن أرضه للشيخ همام عند ما يستدين
منه مالا ويرهن له الأرض ثم يسجّز عن وفاء الرهن فيكمل له همام الثمن

ويشترئها منه ، وكان العرب فقط سواء آكانوا هواراة أو من التـبـائل العربية الأخرى يملكون أرضا عرفت (بالمخططة) (وهى أرض أخذها أجدادهم عنوة وتملكوها) .. وكان هؤلاء يقترضون أحيانا مالا من الشيخ همام ويسجرون عن وفائه فيبيعون له قطعا من أرضهم هذه ، ويكون الرهن فى هذه الحالة ليس مقابل خراج على الأرض بل مقابل مال اقترضه العربي من همام وعجز عن أدائه .

من حجج الهواراة اتضح لى أن الشيخ همام كان يتنازل عن الأرض لغيره من الهواراة ويأخذ منهم أيضا .. وكان ذلك يتم أيضا بينه وبين الأمراء المماليك وفى هذه الحالة كان الفراغ يتم امام محكمة الباب العالي بالقاهرة ، وفى معظم هذه الحالات كان ينوب عنه فى عقد الاتفاق الأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة بمصر وقد أعطاه الشيخ همام توكيلا رسميا بذلك .

وفى بعض الحالات كان ينوب عنه همام المباشرون الاقباط الذين يعملون عنده .

ولنمو قوة همام وسيطرته على معظم أراضى الصعيد اضطر على بك الكبير الى التنازل لهما من ٢٢ ط من اصل ٢٤ ط من التزامه من ناحية بنى نصر بمنفلوط وعثرت على حجة هذا التنازل بين أوراق الهواراة .



ب - وثائق منشورة

اجوية حسين أفندى الروزنامجى :

ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية الأاجوية كانت :

عن أسئلة وجهها استيف مدير الادارة المالية الفرنسية لحسين أفندى الروزنامجى الذى أجاب عليها فى ستة عشر بابا فى محرم سنة ١٢١٦ هـ / مايو سنة ١٨٠١ م .

وقد نشر تلك الاجوية وعلق عليها : المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال بمتوان (مصر عند مفترق الطرق) ..

(١٧٩٨ م - ١٨٠١ م) فى مجله كلية الآداب .. المجلد الرابع ج ١ . مايو سنة ١٩٣٦ .



الشيخ همام - ١٩٣٣ .

ج ، مخطوطات

١ - اسماعيل الخشاب :

مخطوط تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠ هـ الى دخول
الفرنسيين .

نسخة مصورة من خزانة باريس سنة ١٣٤٣ هـ .

دار الكتب بالقاهرة المكتبة التيمورية رقم ٢١٠٧ تاريخ يتناول هذا
المخطوط الاحداث السياسية التي وقعت بمصر ابتداء من سنة ١١٢٠ هـ /
١٢١٣ هـ ، ١٧٠٨ م : ١٧٩٨ م .

وكاتبه الشيخ الخشاب كان معاصرا للجبرتي وصديق له وكان من
اشهر الكتاب وقد عمل في الديوان الذي نظمه في مصر واختص بكتابة
التاريخ .

٢ - مصطفى ابراهيم عزبان :

مخطوط تاريخ وقايح مصر القاهرة كنانة الله في أرضه .

دار الكتب نسخة منقولة عن النسخة التيمورية سنة ١١٤٣ هـ برقم
٤٠٤٨ تاريخ - يؤرخ المخطوط لحوادث مصر من سنة ١١٠٠ هـ : ١١٥٠ هـ
سنة ١٦٨٨ م : ١٧٣٧ م وفيه تاريخ سياسي واجتماعي واقتصادي لمصر
في الفترة السابقة وكاتبه ينتمي الى مدرسة الاجناد الذين مارسوا كتابة
التاريخ كهواية لهم .

٣ - محمد بن حامد المالكي :

مخطوط تعظيم النواحي والارزاء بذكر من اشتهر من علماء واعيان
مدينة الصعيد « جرجا » .

دار الكتب بالقاهرة رقم ١٢٤٨٧ تاريخ المخطوط دراسة تاريخية
٣ اجزاء لجرجا تتناول وضعها في العصر العثماني وسلطات حاكمها ونزول
الهوةارة بها وحياتهم فيها ثم تناول المؤلف الحياة السياسية والاقتصادية
لجرجا الحديثة أى « مدينة جرجا » وفيه دراسة وترجمة لعدد كبير من
اعيان ولاية جرجا وطوائها من العصر العثماني الى وقت المؤلف الذى كان
من ابناء قرية المارغة بجرجا ولد سنة ١٢٨٢ هـ وتوفى سنة ١٣٢٩ هـ وتلقى
علومه بالأزهر ثم عين اماما لأحد المساجد بمدينة « جرجا » .

مراجع عربية

- ١ - الاسحاقى (محمد عبد المعلى) :
أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول القاهرة مسنة
١٣١٠ هـ .
- ٢ - الجبرتى (عبد الرحمن) :
عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٠٠ بولاق ١٢٣٦ هـ .
- ٣ - البديرى (أحمد الحلاق) :
حوادث دمشق اليومية - ١١٥٤ هـ : ١١٧٥ هـ / ١٧٤١ م :
١٧٦٢ م - تحقيق ونشر الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم -
القاهرة ١٩٥٩ .
- ٤ - القلقشندى (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد) :
صحيح الأعمش في صناعة الألقاشا > في ١٤ مجلد ١ - طبع وزارة
الثقافة والإرشاد - القاهرة ١٩٦٣ م ٢
- ٥ - السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) :
١ - الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ٠٠ القاهرة ١٣٥٣ هـ
ج ٢ .
٢ - التبر المسهوك في ذيل السلوك بولاق ١٨٩٦ .
- ٦ - القرىزى (تقى الدين أحمد بن علي) :
١ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر وتحقيق الدكتور
زيادة) ٠٠ القاهرة ١٩٣٤ بمطبعة دار الكتب ج ١ .

- ٢ - الخطط القرية المسماة بالمواظظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - لبنان ١٩٥٩ ج ١ .
- ٣ - البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب القاهرة ١٩١٦ .
- ٧ - ابن اياس (ابو البركات محمد بن احمد) :
بدائع الزهور فى وقائع الدهور بولاق سنة ١٣١١ هـ ٣ اجزاء .
- ٨ - ابن خلدون (عبد الرحمن) :
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر بيروت ١٩٦١ المجلد الاول الطبعة الثانية .
- ٩ - ابن حجر (شهاب الدين) :
الدور الكامنة فى أعيان المائة الثامنة الهند ١٣٤٨ هـ ج ١ .
- ١٠ - ابن حزم الاندلسى (ابو محمد على بن احمد) :
جبهة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١١ - أبو المعاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) :
١ - المنهل الصانف والمستوفى بعد الوافى تحقيق (احمد يوسف بخاتى) القاهرة ١٩٥٦ م ج ١ .
- ٢ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٥٦ ج ١١ ، ١٢ .
- ١٢ - ابن زنبيل (احمد) :
تاريخ السلطان سليم مع السلطان قنصوة الفورى القاهرة سنة ١٢٧٨ هـ .
- ١٣ - ابن طولون (شمس الدين محمد) :
مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان - تاريخ مصر وانشام تحقيق محمد مصطفى . القاهرة ١٩٦٤ . القسم الثانى .
- ١٤ - احمد صقر :
مدنية المغرب العربى فى التاريخ . تونس ١٩٥٩ م ج ١ .

- ١٥ - أحمد لعلى السيد :
قبائل العرب في مصر - العقيلات وانجفارة وقبائل أخرى .
القاهرة ١٩٣٥ .
- ١٦ - ابن قتيبة (محمد عبد الله بن مسلم) :
الامامة والسياسة . القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ١٧ - د . حكيم أمين عبد السيد :
قيام دولة الماليك النائية . القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٨ - وقاعة الطهطاوى :
تخليص الابريز في تلخيص باريز . القاهرة ١٩٠٥ م .
- ١٩ - طرخان (الدكتور ابراهيم علي) :
١ - النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى .
القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢ - مصر في عصر دولة الماليك الجراكسة القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٠ - عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح) :
العصر المالكي في مصر والشام . القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢١ - علي مبارك :
الخطط الجديدة التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة
والشبهية . بولاق ١٣٠٥ هـ . أجزاء ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .
- ٢٢ - مرتضى الزبيدي (الشيخ) :
تاج العروسي من جواهر القاموسي . القاهرة ١٣٠٦ هـ ج ٣ .
- ٢٣ - محمد رفعت ومغان :
علي بك الكبير القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢٤ - د . محمد عوض محمد :
السودان الشمالي سكانه وقبائله . القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٥ - د . محمد كامل موسى :
الملكية المقارية في مصر وتطورها التاريخي من عهد الفرعنة حتى
الآن . القاهرة ١٩٣١ م .

- ٢٦ - د. محمد فؤاد شكرى ، عبد القصور العناني :
بناء دولة محمد علي .. القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٢٧ - مصطفى كامل الشريف :
عروبة مصر من قباثلها .. القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٨ - محمد مختار :
التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الافرنجية
والقبطية .. بولاق ١٣١١ هـ .
- ٢٩ - ابراهيم زكى :
الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهدى الحملة الفرنسية
ومحمد علي القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٣٠ - محمد ومزى :
القاموسى الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة
١٩٤٥ .
- ٣١ - د. لويس عوض :
المؤثرات الاجنبية فى الأدب العربى الحديث القاهرة ١٩٦٣ م ج ٢ .
- ٣٢ - ليفى بروفنال :
الاسلام فى المغرب والاندلس .. ترجمة د. السيد محمد
عبد العزيز .. القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٣ - فولنى :
ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام .. ترجمة ادوارد البستاني ..
بيروت ١٩٤٩ ج ١ .
- ٣٤ - د. يوسف نحاس :
١ - الأحوال الزراعية فى القطر المصرى أثناء حملة نابليون ..
بونايرت .. القاهرة ١٩٦٢ م .
٢ - الفلاح حالته الاقتصادية والاجتماعية .. القاهرة ١٩٢٦ .
- ٣٥ - يوسف الشربيني :
هن القحوف فى شرح قصيد أبى شادوف .. اعداد ونشر محمد
قنديل البقل بعنوان قرينتنا المصرية قبل الثورة .. القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٣٦ - جرجس حستين :
الاطيان والضرائب فى القطر المصرى ١٩٠٤ م .

الدوريات والصحف

المجلة التاريخية المصرية :

١ - مخطوط بعنوان :

ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة سنة ١١٢٣هـ/١٧١١ م
تأليف الشيخ علي بن محمد الساذلي الفرا .. تحقيق ونشر دكتور
عبد القادر طليعات .. مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ .

٢ - صحيفة الاهرام :

ديسمبر سنة ١٩٣٣ ، يناير سنة ١٩٣٤ .. مقالات عن تاريخ
الهوة وإمارة الصعيد في عهد همام .

٣ - صحيفة البلاغ لسنة ١٩٣٤ :

الشهور من يناير الى مارس ..

مقالات تناولت نفس الموضوعات السابقة المنشورة في الاهرام .



المراجع الأجنبية

(١) انجليزية

BRUCE (James) : Travels to discover the source of the Nile in the years 1768, 1769, 1770, 1771, 1772.

The second Edition, London, 1804, Vol. 2.

GIBB (H.), (BOWEN)

ISLAMIC Society and the west Two parts, London 1957.

HOLT (P. M.) :

EGYPT and the fertile CRESENT 1516-1922. London, 1966.

BAER (G) :

A History of land ownership in Modern Egypt 1800-1950.

Oxford U.P. 1962.

BROWNE (W. C.) :

Travels in Africa, Egypt and Suria from the year, 1792 to 1798.

London, 1799.

VANSLEB :

The present state of Egypt London, 1678.

LUSIGNAN (S. L.) :

A History of the Revolt of ALI BEY London, 1788.

SHAW (S. G.)

The financial and administrative organization and development of ottoman Egypt, 1517-1798 P.U.P., 1862.

Ottoman Egypt in the Eighteenth Century H.U.P. 1962.

POCKE (RICHARD) :

A Description of the east and some other countries Vol. 1. London, 1743

NORDEN (F. L.) :

Travels in Egypt and Nubia, London, 1757.

POLITICAL AND SOCIAL CHANGE IN MODERN EGYPT :

Historical studies from the ottoman conquest to the United Arab Republic Edited by P. M. Holt.

P.U.P. : London, 1968.

فرنسية (٧)

LANCRET (MA.) :

Mémoire Sur le Système d'imposition territoriale et sur L'administration des provinces de L'Egypte dans les dernière années du gouvernement des Mamlouks dans : Description de L'Egypte. 2nd. ed. Vol XI, p. 480

GIRARD (P. S.) :

Mémoire sur L'agriculture L'industrie et le commerce de L'Egypte dans.

Description de L'Egypte, 2nd, ed. Vol. XVII 1-436.

Estéve (M.R.) :

Mémoire sur les finances de L'Egypte de puis la conquête de ce pays par Le Sultan Selim 1 er Jusqu'à celle du Général on chef Bonaparte dans.

Description de L'Egypte 2nd ed. Vol. XII, 41-248.



الفهرس

- ٢٤ - مقدمة ٥
- ٥٥ - الفصل الأول : الهوارة في الصعيد ٢٥
- أصل الهوارة - كيف نزلوا الصعيد
- حياتهم فيه - تحولهم الى قبيلة مستقرة -
- علاقتهم بالمماليك - علاقتهم بالعثمانيين
- علاقتهم بالقبايل العربية الأخرى في
- الصعيد - علاقتهم بالفلاحين فيه .
- ٧٤ - الفصل الثاني : ولاية جرجا أو الصعيد ٥٧
- التقسيم الإداري لمصر في العصر العثماني
- مركز جرجا في هذا التقسيم - المفهوم
- العثماني لمعنى ولاية في مصر - تطور
- جرجا الى ولاية كبيرة سنة ١١٠٩ هـ -
- ١٦٩٧ م - حدودها - الهدف من
- تكوينها - سلطات حاكمها - ممثلو
- الإدارة العثمانية فيها .

٧٥ - ١٠٠ - **الفصل الثالث : الأرض والالتزام فى الصعيد** . . .

نظام الأرض فى الصعيد - نظام الالتزام -
ادخاله فى مصر العثمانية - دوره كأساس
للنظام الإدارى والمالى فيها - سيطرة
الشيخ همام على أراضى الصعيد بالالتزام
من المتيا الى أسوان .

١٠١ - ١١٨ - **الفصل الرابع : شيخ العرب همام**

نشأته - أسرته - علاقتها بالمنطقة
وبالحكام - العوامل التى ساعدت على
ظهور همام - دوره كملتزم - ثراؤه -
نفوذه . . حكومته . أثر سيطرته فى
جرجا على الحياة الاقتصادية والسياسية
فيها .

الفصل الخامس : علاقة الشيخ همام بالأمراء

١١٩ - ١٣١ - **المماليك**

علاقة الهوارة بالأمراء المماليك - نمو قوة
همام - تحديه لبعض الأمراء المماليك مثل
الأمير إبراهيم جاويش - أسباب النزاع
بينهما - توسع همام فى أراضى الصعيد
- تنسازل الأمراء المماليك عن أراضيهم
لهمام - علاقة همام الودية بصالح بك
القاسمى .

الفصل السادس : الصراع بين الشيخ همام وعلى بك

١٣٣ - ١٥٢ - **الكبير**

شخصية على بك - أسباب الصراع بينه
وبين همام - المواجهة بينهما - نهاية

همام - كيف أدار على بك الصعيد بعد
همام - أثر القضاء على سلطة همام في
حياة الصعيد *

١٥٦ - ١٥٣	• • • • •	خاتمة -
١٨٢ - ١٥٧	• • • • •	الملاحق -
٢٠١ - ١٨٣	• • • • •	المراجع -

فهرس الملاحق

نوع الملحق	الصفحة
١ - نماذج لخط القرمة	١٥٩
٢ - حجة تنازل على بك عن معظم ناحية بني نصر للشيخ همام	١٦٠ ١٦٢
٣ - بعض أوامر الشيخ همام	١٦٣ ١٦٤
٤ - فئات المتزمين في ولاية جرجا	١٦٥ ١٦٩
٥ - صورة لزحف الشيخ همام على أراضي الصعيد بالالتزام من سنة ١١٣٤ هـ ١٧٢٩ م - ١١٨٣ هـ - ١٧٦٩ م	١٧٠ ١٧٣
٦ - نموذج لنقسيط التزام خاص بالشيخ همام	١٧٤ .
٧ - حجة تنازل الأمير ابراهيم جاويش عن جزء من أراضي للشيخ همام	١٧٥



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٥٤٤٠

ISBN ٦ - ١٤٩٣ - ٠١ - ٩٧٧

